الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

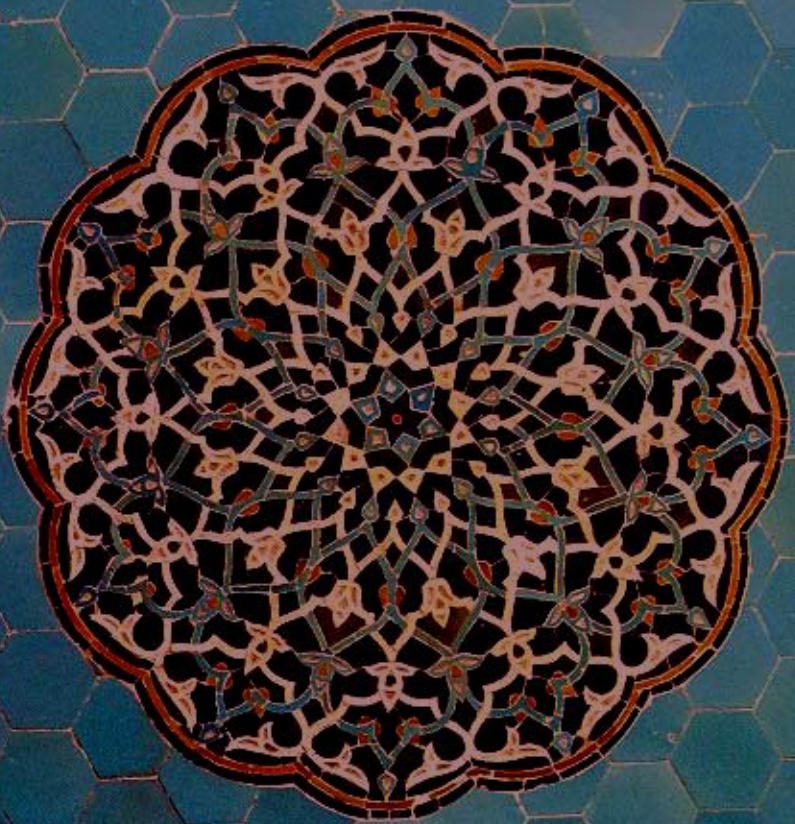

&

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية
العدد العاشر
شعبان المعظم ١٤٣٦ هـ ق

تصدر عن:
مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:
السيدمسعود بورسيدآقايي

مدير التحرير:
رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:
آيةالله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور صادق سهرابي، الدكتور مسعود بورسيدآقايي، الدكتور نصرتالله آيتي،
الدكتور جواد جعفري و الدكتور رضي موسوي الجيلاني

مطبعة:
ناصراحمدبور

تصحيف:
علي قنبري

الكرافيك:
ابوالفضل بيكدلي‌نسب

فهرس المندرجات

المنظور الخلاصي في الأوهام الأخلاقية الغربية ٥
جويدة غانم

المهدوية تبشر بنهوض إسلامي مرتقب ١٩
الدكتور أحمد الهاشمي

ضرورة إنتهاج نهج وحدوي بين المدرستين والمسلمون يعيشون إرهاصات الظهور المقدس ٣٥
الدكتورة نعيمة ابن فارس

المهدي المنتظر والصراع الحضاري ٥٥
الدكتور أحمد راسم النفيس

دور علامات الظهور في هندسة الدين ٦٧
الدكتور نصرت‌الله آيتي

التحولات الطوعية في حركة الظهور ٧٧
الدكتور على الوردى

الخصوصية الصوفية للنظرية المهدوية ٩٧
الدكتور سعاد الحكيم

عالمية الخلاص وحتمية الظهور في الفكر السياسي ١٠٧
الدكتور علي أبوالخير

دولة الموعود ومآزق الفكر السياسي ١٣١
ادريس هاني

دور المؤمنون الممهدون في العولمة التي هي من علامة الظهور ١٥٩
محمود جابر

المنظور الخلاصي في ا لأوهام الأخلاقية الغربية

جويدة غانم[1]

الملخص

لم يعد النظام العالمي يحتكم إلى تلك الأحكام التي سنها القانون البشري والكوني في المحافظة على العرض البشري وأنساقه التكوينية ومرجعياته الدينية الأصلية،بقدر ما انتظم داخل برغماتية شوفينية قسمت العالم إلى مجتمعات بدائية متوحشة غير قابلة للحضارة يجاز عليها علميا أن تطبق عليها الأحماض الكيميائية والأشعة النووية،ومجتمع آخر متجاوز في التقدم و الرقي ومن حقه التحكم في العوالم وصناعة المركزيات والتحكم فيها،ولم تعد الأخلاق في الوعي الغربي المتطرف إلا أوهاما للمستضعفين وزيفا يمارسونه على وعيهم ووعي الآخرين حتى يتم حصولهم على قدر من الشفقة والرضى والسلام وحقوق مجتمعاتهم في المحافل الدولية،لتأخذ الأخلاق البرغماتية مجرى أكبر في التوسع و الاشتمال،وقد أدى هذا الوضع إلى إعادة النظر في المنظومة القيمية للأخلاق الغربية ،انبثق عن هذا الطرح التساؤل التالي:

إلى أي حد تتلاءم فلسفة التطرف والعنف الغربيين مع المساحات الأخلاقية التي حكمت بها المجتمعات؟

لماذا يتم نخر القيم العامة للإنسانية وعدم توفير السعادة و الحرية و الأمن، والقضاء المتتالي على المجتمعات تحت مظلته العقائدية والسياسية؟

---

١. جامعة الجزائر.

مقدمة

قد تتحدد الرؤية العامة للنسق الأخلاقي في المنظومة الفلسفية على نظرة قيمية معيارية،لا تخرج هذه المعيارية عن حال تبدل الإرادات و النظم و التشكيلات الاجتماعية فكما لا تفترق في حسها الباطني عن تلك الرؤية المتممة لذلك المشروع الأبدي الذي يقر بالعودة ،أو بما علله فريدريك نيتشه العود الأبدي الذي يقتضي إعادة النظرة في مفهوم الرجعة الكونية من جديد،و إعادة استقراء فلسفة البدايات و النهايات من جديد ،حينها تضمن الفلسفة الأخلاقية مجالها في تكوين المشهد وصناعة الحقيقة مهما كان نوع الإيديولوجيات واليوتوبيات المتداولة و المطروحة حيز التنفيذ.

المستقرأ لحال المجتمعات و العلاقات الدولية، يلحظ مسارات عديدة اتجهت عنفا و مقصدا لبلورة أخلاق جديدة تتماشى مع المنظور البرغماتي الذي سيخلصها من الكوارث المستفحلة في أبنيتها الثقافية،و قد يحذو هذا التبرير إلى التساؤل عن أي أخلاق ؟و لكن الواقع يجيب عنها بشكل بيني واضح حين أعلن الغرب حرب أفغانستان و حرب العراق،و سوريا، والتهديد الذي ترسم له أميركا الحرب مستقبلا على إيران والعالم الإسلامي ككل؟

ما الغرض من هذا التفعيل الذي خرج عن كينونته الإنسانية الحقة؟

المبحث الأول: لشرك البرغماتي في التحول الأخلاقي الغربي

ما من دعوة في الأخلاق داخل المنظومة الغربية إلاّ وكانت الرؤية القيامية أساس كل تصور يصدر عن ثقافة تبحث عن معناها في التاريخ و الأديان،دون أن تجد منفذا للتعريف و التدليل رغم الضجة التي أحدثتها فلسفة الأنوار من نظريات مادية تطورية،وأبنية صناعية تقدمية،لم يكن الدين حينها سوى نهاية للعصر ظلام لا يمكن أن يتجدد أو يلقى العناية رغم الفلسفة الدينية العامة التي بشرت بهذه العناية.التي رسمت للمستقبل ذلك الخلاص المدجج بتنانين هائلة و أفاعي ضارية، سيهدم (اللابو) الحضارة إذا لم يتم استدراك الوضع وتصحيحه من الخلاص الأسطوري كما أشارت إليه الحكمة البابلية يوما ما القائلة:

تنهدت المدينة و[...] الناس.
تناقصت أعداد البشر[...]
ولم يكن لنواحهم أحد ل[...]
ولا لصراخهم أحد ل[...]
من [الذي أنجب] الحية؟...

نعامة [من أنجب الحية]...
من ذا الذي سيمضي لقتل اللابو.
وتخليص الأرض الواسعة من شره
فتكون لك السيادة من بعد على الجميع.[1]

سيعود الوحش الأخلاقي في الرؤية الأخلاقية الغربية و ستتعالى عن أخلاق البطل الذي أقرته الحكايات و الأحاجي على أنه قاهر الخوف و كجالب للرحمة و السعادة في آن،حيث أن كل هذه المآسي الملقاة على الإنسانية تبشر باستمرار الرعب ،الذي لا يدع في سياقه إدراك حقيقي لأصل الحياة الحقيقة والفاعلة بين الجماعات،وإنما يذهب في الوقت نفسه إلى تفكيك الأوهام السياسية والقومية والأخلاقية الدينية كنتيجة للكوارث و الفواجع و الظواهر الهمجية التي هزت الضمير الأخلاقي المعاصر(...)وكل هذا أدى إلى ظهور انتعاش جديد في مفهوم العدمية،ومسارها المتوجه إلى إلغاء المتعالي،ما أدى إلى أفول الميتافيزيقا اللاهوتية و الأخلاقية الحقيقية،وأفول الميتافيزيقا السياسية الحقوقية.[2]

ينبنى على هذا التحليل الرجوع إلى استقصاء مساحات العنف وتداخله مع اللاهوتي ذي صبغة التجذيرية النهائية، ليصبح جذمور هذا العنف كما يشير دريدا العلامة النهائية لاستكمال الرغبة الغربية القيامية في امتلاك العالم.

كما لا ينفصل العنف الذي ارتضاه هذا النوع من الأخلاق،عن تلك المشروعية التطبيقية المساندة للعمل الحربي المعلن بشكل دائم في أنساق مؤسسات الرقابة و العقاب،بالإضافة إلى هيئات السياسة و اتخاذ القرار، إما لتوفير الحماية لمصالحها الإستراتيجية المختلفة،أو لتهديد من يقف عثرة اتجاه المشروع العام للأخلاق الإمبراطورية التي أصبح من صلاحياتها خلق قيم جديدة و إلغاء القيم السائدة " حيث تجعل العنف ضرورة يلازم الإنسان و الجماعة (...)و إذا كان الإنسان صانع لتاريخه فهو إذن مسؤول عن العنف الذي يشهده التاريخ البشري.وإذا كان التاريخ قدرا مرسوما فمعنى ذلك أن الإنسان لا يمكنه إيقاف مد العنف،الذي ينساب على طول التاريخ،لكن كما يتطور الإنسان والمجتمع والتاريخ،يتطور كذلك العنف(...)خاصة في التاريخ المعاصر، إلى أن اتخذ صفة الإرهاب."[3]

---

١. فراس السواح: مغامرة العقل الأولى(دراسة في الأسطورة،سوريا وبلاد الرافدين) دارعلاء الدين للطباعة والنشر، دمشق،سوريا،ط١٩٩٦،١١م، ص٣٢٦،٣٢٥.

٢. محمد أندلسي: (نيتشه وسياسة الفلسفة)،دار توبقال للنشر و التوزيع،دار البيضاء،المغرب،ط٢٠٠٠،١م،ص١٦.

٣. عزيز لزرق ومحمد الهلالي:(العنف)نصوص مترجمة،دار توبقال للنشر،الدار

من ثم تفصح الثقافة على اتجاهات مخصصة لتبرير الكثير من النوايا الخلقية،خاصة إذا ما تم ملازماتها بسلسلة من الأفعال التي تنبثق طوعا من المشروع الديني العام،و بما أن العمل السياسي لا يخرج عن هذه الصورة فإن النص الديني قد أعطى أخلاقا مصلحيه لا تخرج عن تلك الخدمة الأزليّة التي يتم بها تصور العالم كما يتناقض ضمنها مفهوم الإنسان على حسب الرؤية الغربية " حيث تتحكم العقيدة في شرعية العنف أو عدم شرعيته [كما]تتفاوت المعتقدات و التقييمات تبعا للزمان و المكان والبيئة،حيث تتلازم المعتقدات،بوصفها تعريفات إدراكية،مع التقييمات بوصفها تخمينات مرغوبة".[1]

تتجاسر إذن الأخلاق على أكثر المستويات حضورا في تلك الصبغة الشوفينية التي نمطت العوالم الشرقية بأفكار متخيّلة كان سببه العصرالأنواري الذي لم يبني عقلا كليا كما ادّعى،وإنما ساهم في فصل العالم عن بعضه البعض، من خلال استغلال الفبركة الثقافية الجاهزة و الراسبة في عمله ومنطقه البرغماتي المراوغ لجدل المادة والروح،ووضعها ضمن حملات أخلاقية ذات اللكنة العنصرية المزدوجة الخطاب والنظرية والمظهر،الذي يستدعي تفكيكا للبؤر العمياء لحاله التنويري،مبعث هذه التصورات و التفاعلات،الأمر الذي دفع إلى تجييش الإعلام والكتب و الصحف لتحقيق نوع من المساندة، قصد تثبيت وتبرير الكذبة الأخلاقية المنمطة، التي تجلت في حقوق الإنسان ومنح صلاحيات الديمقراطية ومؤسساتها لتلك العوالم الهمجية التي افتقدتها.[2]

على هذا المنوال يتم الحديث عن القيم الحضارية بشكلها الموسع الذي لا يستحضر منطق الأقلية والشتات،وإنما يركز بالأساس على تدويل الحق الإنساني العام كتمحور قاعدي لا ينفصل عن رغبة أي تكتل بشري على مسرح الكون في أن يتمتع بحقوقه، ويطمح إلى تحقيق أحلامه،ليست الأحلام النووية،وإنما الأحكام الخلقية التي تستند إلى الإرث القبلي و البعدي لمحك التجربة الدينيّة والعقلية الأصلّيّة و الأصيلة.

من ثم فإن إحدى المهمات الرئيسية في النظر الأخلاقي هي التي تنتهي إلى تحليل مستوفي للأحكام الخلقية للحياة العامة للإنسانية ،حيث أن تمحورات عملها يتجلى في الكرامة الإنسانية والقيمة الأخلاقية التي يجب أن تكون ارفع الأشياء من

البيضاء،المغرب،ط٢٠٠٩،١م،ص٠٦

١. المرجع نفسه:ص٥٠.

٢. كريستوفر نوريس:(نظرية لانقدية: مابعد الحداثة، المثقفون وحرب الخليج)ترجمة:عابد إسماعيل،دار الكنوز الأدبية، بيروت،لبنان،ط١٩٩٩،١م،ص٢٠٥.

هذا المنظور كأساس العمل بها،كما تتحدد صفات العملية الخلقية بمبدأ الإلزام المتصل طوعا ومباشرة بفرض الطاعة لتلك المعقولية الكامنة في الفكر الإنساني الذي له القدرة في أن يجعل السمة المعيارية للأخلاق بالفعل لا تخرج عن خدمة العمل الإنساني.[1]

فلا جرم أن تتمفصل سياقات المشروع الغربي عن ذلك الالتزام الليبرالي المثير للاهتمام في تظاهره المعلن بالنفاق و الشرك المزدوج في كراهيته للشعوب ولما يسميه بالأقليات لعدم انسجامها مع أحلامه ورغباته،ونتيجة للإستضمان والنفاق الذي تميز به خطابه العام،فإن العملية التفكيكية للمجتمعات قدلاقت قبولا عند الكثير من الأقليات رغبة في اقتناعها إلى قبول الحد الأدنى من شروطه الحضارية أو من شروطه التبعية.

المبحث الثاني: مساحات التطرف في الأخلاق الغربية

بالتالي لا يمكن الحديث عن تعميم الأخلاق إلا إذا تم مراعاة شروط تطبيقها وآليات تنفيذها،فتبرز الفلسفة المصلحية على سائر المبادئ،حينها تصبح الشعوب مستوقفة أمام الإدعاءات السخيفة لإعلان الحرب عنها أو محاصرة أخلاقيتها ودون أن يتشكل الحد الأدنى من التوفيق بين مسلمات الغرب الأخلاقية وبين نمو النتائج الأخلاقية المترتبة من سلسلة الإخفاقات التبريرية لنشاطها البرغماتي المستمر.

وبما أن الحالة التنويرية تعتبر أن ارتكاب الشرور والخطايا ما هي إلا حقائق ذات صبغة مادية بوجهتها البرانية،فإن الجوانية الإنسانية هي أساس كل خير،فأعلنت المنظومة الغربية لعمليات الإبادة والقصف والحروب السريعة التي بررتها النية الغربية الطيبة اتجاه هذه العوالم،لتأخذ مجرى فيزيائيا وكيمائيا في تعريف الخير لتصبح الأخلاق في علاقة انفصالية مع الفضيلة والاحتياجات الروحية الحقيقية،والعواطف الإنسانية ما هي إلا تعبير عن حركة المادة وتحرك نحو الشيء المرغوب فيه.[2]

وقد انبنت على ذلك النظر الفلسفي التي ارتمت في ظله مفاهيم الخير والسعادة القصوى واللذة ولو على حساب الآخر منهجا طليعيا في تبيئ هذه الأخلاق،ورسم

---

١. إميل بوترو: (فلسفة كانط)،ترجمة:عثمان أمين،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،(دط)،١٩٧٣م،ص٣٠٦م

٢. عبد الوهاب المسيري: (فكر الاستنارة وتناقضاته)،دار نهضة مصر للطباعة و النشر،القاهرة،ط١٩٩٨/١م،ص٥٤.

حدود مشتركة لجميع المذاهب التي آنست هذه الرؤية أحادية في تقييم المفاهيم و تشكيل المعايير العامة للمجتمع الإنسان،وتحدد في ضوئها النظر إلى مذاهب عدة يذكر منها:

أ_ المذهب اللذي: ويتفق أصحابه تحقيق اللذة مهما كانت طرقها و نتائجها أي أن الفعل الإنساني لا يكون خيرا إلا متى حقق صاحبه أكبر قدر ممكن من اللذة.

ب_وقد دل مذهب اللذة السيكولوجي(Psychological Hedonism) على أن الرغبة في اللذة هي أساس وجود الإنسان.

ج_كما أشار مذهب اللذة الأخلاقي(Ethical Hedonism)إلى نشدان اللذة على الدوام،كونها الخير في ذاته،ولاشيء يحمل في ذاته قيمته.سوى الطريقة التي تحتويها وتعبر عنها وهذا ما مثلته البرغماتية الأميركية.[1]

تتقاضي هذه الصفة البرغماتية في تحولها الثقافي و السياسي و الاقتصادي والعقائدي واقعا مثبتا ضمن نسق التأويلات الممكنة التي لا تخرج عن الأخلاق النفعية التي أسست لواقع محتوم حصرته موجة من الأفكار العنصرية التي تجاوزت المسؤولية الأخلاقية في الاعتبار القيمي للحياة الإنسانية.

من هذا المنطلق تنعدم الأسئلة الأخلاقية الكبرى في نظرتها للقيمة الإنسانية من حيث أنها قيمة لا تنفصل عن القانون الأخلاقي الذي يتأسس على مطلب الرغبة " وهنا تبدو القيمة بحلة العلو الذي يبرهن أنها ليست خلاصة الحساسية البشرية ومطالبها الغرضية،بل هي ذلك المتعالي الذي يحمل السلوك البشري حملا نحو اقتضاء المثال الخلقي ،لذلك تكون الدعوى شاملة لذلك الاتجاه الذي يطالب بإحلال القيمة في الموضوع لتكون هي مبدأ الوجود لأن القيمة ليست ما يرغب فيه الواقع، ولكنها ما هو جدير بأن يرغب فيه على مستوى ما يجب أن يكون".[2]

وقد أدت النظرة الفلسفية اتجاه منظمات القيم إلى إحداث الآثار التالية:

_قد حررت الكثير من المجتمعات العلمانية الأخلاق من هيمنة رجال الدين،ولكنها في المقابل أخضعتها لعلماء النفس و الاجتماع والهندسة الوراثية وشركات الإعلان التلفزيوني ومجلات أخبار النجوم وفضائهم وشركات صناعة اللذة و الإباحية.

_ أصبحت الأخلاق مسألة اجتماعية نسبية وهي تعد تجارب لبعض

١. توفيق الطويل: (مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق)،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٣م، ص٢٣_٢٨.

٢. نورة بوحناش:(إشكالية القيم في فلسفة برغسون)،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط١٤٣١،١هـ/٢٠١٠م،ص٣٣.

الناس،وبالتالي تنعدم فيها المطلقية والثبات وتدخل فيما بعد في حالة من التفاوض والتبديل المستمر،الأمر الذي يجعل من التمسك بها أمرا صعبا وهذا ما عكسته قيم الحداثة باعتبارها نسقا يستبدل القيم بشكل متتالي.

_ أصبحت المسؤولية الفردية تنحصر في إتقان الدور وحسن الأداء،حتى ولو اقتضى الأمر إبادة المعوقين و العجزة و المرضى،وإذا حدث تقاعس في الأداء فهذا هو الشر عينه من خلال الترشيد الأداتي و الإجرائي لمحتوى الأعمال والنيّات،ومن ثم ينعدم السؤال الديني المتعلق بكيف؟ويتقدم عنه السؤال العلمي،لماذا؟ الذي يعول الإنسان إلى مفعول سلبي مطيع ومنفذ في آن،تبعا لسلسلة من التعليمات والترتيبات التي يفرضها القادة الرؤساء.[1]

وقد علل فريدريك نيتشه (F.Nietzsche)على هذه المظاهر في كونها "تاريخ الخلط الضال بين القوي و الضعيف(...)وانه من وحي الانحطاط،ومن وحي الداروينية و الاشتراكية والتعصب،وبالتالي فإن الاعتراف بهذا الضلال هو الاعتراف بحق هذه الانطولوجيا".[2]

من ثمة لا تنفصل هذه التأويلات عن الواقع المرير الذي تبنته نزعة الإبادة في المشروع البرغماتي الذي تجاوز كل الأخلاقيات والغايات الإنسانية،حيث تحرر الإنسان الغربي من أية مفاهيم متجاوزة مثل: الصالح الإنساني العام والقيم المطلقة(المساواة والعدالة)وأصبحت تحركاته ترصد تجسيدا للقوانين الطبيعة وتحولات المادة وجدليتها،فتحولت الإنسانية الغربية في جوهرها إلى إمبريالية أداتية وعنصرية حكمت بنوعين من الإنسان،إنسان أعلى(Superman)،يتحكم في قوانين الطبيعة والبشر،وإنسان أعلى(Sub man)الذي ينزع إلى إرادة الإنسان الأعلى ويخضع له ويلبي رغباته،ومن حق هذا الإنسان الأعلى أن يوظف الآخرين في خدمته.[3]

وبما أن الفلسفة الأخلاقية تستند في تموضعها على سلسلة من القيم، وعلى مجالات مصفوفة من التدليل تارة والتثبيت تارة أخرى، فإن العرض الأوّلاني للتحديد الدعوى وإقامتها على مجالها التأسيسي يقتضي النظر في البدايات النظرية

---

١. عبد الوهاب المسيري:(فكر الاستنارة وتناقضاته)ص٥٥،٥٤.

٢. بيرمونتيبيلو:(نيتشه وإرادة القوة)ترجمة: جمال مفرج،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، دارالإختلاف، الجزائر، ط١٤٣١،١/ه١٠/٢٠١٠م،ص١١٣.

٣. صفاء عبد السلام جعفر:الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتطور(رؤية نقدية في فلسفة الحضارة دار الثقافة العلمية،الإسكندرية، ١٩٩٨م،ص٦٨.

الـــذي جســـدته العديـــد مـــن التيـــارات والمـــذاهب الفكريـــة أبرزهـــا الفكـــر الليبرالي(Liberalism) الذي تنوعت مدلولاته وعلاماته التأسيسية من فكر إلى فكر ومن مساحة جغرافية إلى أخرى،حيث اشتمل على مستوى معين في الحرية والعمل الإنساني الذي تنوعت أنساقه تبعا للعملية السياسية وطبيعة المجتمع ،فعند الإنجليز يعني به التحرر من قيود الدولة،وقد أكدت على أهمية الدفاع وتوسيع الممتلكات وحماية الدولة من أي تدخل خارجي،وفي الوقت نفسه بحث الإنجليز عن أهم السبل في توسيع النفوذ لحماية الفقراء وتامين معاشهم استنادا لأهم خصائصها العامة،ألا وهي: الحياة_الحرية_ الملكية_،وقد عبرت عن هذه العناصر بالشعار لاقتصادي المعروف: دعه يعمل واتركه يمر(Laisszey faire Laissez passer)[1]

أما عند الفرنسيين فإنه يعود إلى عهد لويس الرابع عشر حين انقسمت فرنسا إلى معسكرين،أحدهما يؤيد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ونماذجها الاجتماعية التقليدية،والآخر يعارض الكنيسة ويؤيد البرلمان،وقد دفع هذا الأمر إلى تأسيس في الديمقراطية وحرية الفكر التي آلت فيما بعد إلى توسيع طموحها الأبدي في امتلاك العديد من المساحات الجغرافية حتى على سبيل التضحية بجميع مستعمراتها وإباداتهم وفقا للشعار الذي تبنته إنجلترا:دعه يعمل واتركه يمر. لتتخذ الليبرالية في الفكر الألماني حيزا ثقافيا اشتما ليا واسعا لا يخرج عن قواعد إقامة الدولة وتوسيع هيكلها الاقتصادي وذلك للذود عن وحدة ألمانيا وتأمين حاجيات شعبها ما أدى بالمد الليبرالي أن يمنح ألمانيا تطرفا أكثر في القومية والوطنية،وليزداد عمق النشاط الليبرالي مع الحدة الأميركية في تطوير الناتج الرأسمالي بمفهوم العقل الجمعي وبالديمقراطية الممنوحة خاصة لملاك الثروة وصنّاع القرارات، وصنّاع الإنسان.[2]

لتتخذ هذه لليبرالية منطلقا جديدا مع تزايد العنف العالمي المنظور إليه أميركيا مبررا لتلك العمليات العسكرية والاكتشافات العلمية المعاصرة التي قوضت مفهوم الإنسان و المادة النوع الجنس بسلسلة من التجارب لا تخرج عن منطق بافلوف و واطسن.

وإذا كانت الحالة الإنسانية العامة منذرة إلى كوارث عديدة مستقبلية فإن الوقت الراهن قد دل على حجمها وحدتها في إهانة هذا النوع من الجنس، لتبتعد السياسيات والثقافات عن إقامة اي برنامج أخلاقي يراعي أبسط الشروط

١. صفاء عبد السلام جعفر:(الحضارة الغربية والحديثة بين النشأة والتطور)،ص٢٣.

٢. صفاء عبد السلام جعفر:(الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتطور) ص٣٨

الإنسانية،ناهيك إذا استثنينا البرامج المقدمة من طرف المركزية الغربية التي لم تخرج عن المنظور العام لتأمين موضوع الأقليات القومية خاصة (إسرائيل).

مع ذلك فإن الحضور القوي لتأمين النظام الأخلاقي المشروط بآليات مقننة لا يخرج بدوره عن رغبة الرأسمالي العالمية في تعميم تجربتها على العالم لذلك أدرج علم الإنسانية المستحدث في جزء منها في سياق المعركة الغربية وسيطرتها على المجتمعات،إنه دليل ثقافي يضعه العلماء بدافع البحث ويوظفه السياسيون في صالح التوسع الاستعماري (...)كأنه عمل ميداني يجرب الغرب أفكاره وعدته الفكرية و المعرفية و البحثية على مادة خام ،ويحول بعدها أن يكتب لهذه الشعوب تاريخها الخاص ويرسم لها الجغرافيا التي يجب أن تنطوي ضمنها،ويحلل بواسطة عقلانياته المادية الكامنة أنماط العيش و التفكير ويفرضها بالقوة أو بنافق أخلاقها ضمن شعارات التمدن و التقدم و الرقي و الحضارة.[1]

وانبثقت الحقيقة الكلية لتشريع السلطات باسم الحقائق الكونية،ودخلت الأنساق القيميّة لعبة الصراع بين الضغط على الخطابات الإنسانية وبين البحث عن القدرة في امتلاك الإنعكاسات السياسية للرأسمال التاريخي و الديني و الثقافي للشعوب،ودخل العالم في لعبة حضارية لا تنفصل عن مسّلمة صراع الثقافات والحضارات التي أججتها مؤسسات العقاب والرقابة و التسلح في العالم عبر إشعال نيرانها الأبدية.والتي أبرزتها الأنساق التالية:

_ القضاء على الأخلاق التقليدية وإحداث مسخ في السلوكيات و المواقف اتجاه المراوغ المركزي للحضارة الغربية،بالتالي تقع هذه المجتمعات في تميّع حاد يؤدي و بعجالة إلى تسليم استقالته لثقافته وموروثه الميتافيزيقي الخاص به.

_توسيع مساحات انتهاك المقدس عند هذه الشعوب والإعلاء من شأن الماديات والترويج لها لتحقق أكبر قدر ممكن من التنافس وزيادة الطلب على كل المستحدثات الإشهارية و الجنسية والإباحية بمساعدة وتسهيل من طرف النسق الإعلامي الذي ابتز في الآونة الأخيرة شرف الأخلاق العامة وشرف حضارتها.

_لم ينتج هذا الانتهاك سوى خروجا عن الخصوصية النظرية والموضوعية للحضارات القديمة و المعاصرة،ولو قدرنا وسلمنا بمنهج التفاعل والتجاور بين هذه الأمم ومؤسساتها،فإن البحث فيه يقتضي بالضرورة الأخذ من منافذها والثقافية ومرجعياتها العقلية المادية بحجة تحقيق الحرية والرفاهية.حيث تجعل هذا النوع من المطلب الأخلاقي لا ينفصل عن المطالب السياسية المتكررة اتجاه هذه العوالم.

---

١. كاترين كليمان :(كلود ليفي ستراوس)،ترجمة:محمد علي مقلد،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،لبنان،ط١،كانون الثاني،يناير،٢٠٠٨م،ص٠٧.

وقد خاطب (آدم سميث)بحسه الليبرالي بكل نفعيته ودون إنسانيته معمقا في ذلك الرؤية النفعية القائمة على المصلحة الشخصية الفردية قائلا: " لا نتوقع غدائنا من إحسان الجزار أو صانع الجعة أو الخباز،وإنما نتوقعه من عنايتهم بمصلحتهم الخاصة،نحن لا نخاطب إنسانيتهم،وإنما نخاطب حبهم لذواتهم ".[١]

من هذا التوصيف في الحال الليبرالي، تكون الأخلاق قد استحكمت الأنماط المادية في الانبثاق وإعادة التشكيل في الرواسب الاجتماعية العامة،حيث لا يبقى أي تساؤل عن مقدار التأثر و التأثير الذي لامس الأساس الفلسفي في رؤيتها المادية للكائن الإنساني.ومن ثم فإن العقل الحر المستقل الذي لا تحده أي حدود أخلاقية أو إنسانية يسخر العالم لمصلحته ويلتهمه ويبدده بالتالي فهو عقل أداتي لا يدرك ماضيا ولا مستقبل كما لا يعرف هدفا ولا غاية. [٢]

وعند الحديث عن علاقة المعرفة بالأخلاق،فإنه يقتضي مباشرة الحديث عن الاختلاف البيني بين أنساق الخير و الشر وفقا لتحديد بواعث الفعل الأخلاقي في الشعور بما هو معطيات أولى لا ترد إلى غيرها،على أنه في الإمكان تصور دور الشعور على هذه الأنحاء المختلفة للحياة الأخلاقية الممكنة أو الشعور بالقيمة الأخلاقية.[٣]

لم تستطيع الإنسانية يوما مل أن تتخلى عن تلك السيادة المتمركزة في نقطة خارجها ،رغم التقدم الهائل الذي وفرته الوسائل المادية وسبل العيش الوفير،ولكن انعدام المقدرة في المجتمعات الغربية عن خلق مراتبيات للسيادة جديدة خاصة بعد محاولاتها المتكررة في سعيها المتواصل لتدمير المراتبيات القديمة في المناطق الروحية،جعل من الموقف الغربي المتعلمن بالصيغة البرغماتية أن يجد موطأ قدم له في الأديان من أجل ضمان الحد الأدنى من الصيرورة و التنظيم والحركة و الحيوية.[٤]

يقتضي في هذا النوع من الفكر أن يتم التحدث عن الكائن الحضاري الذي لا ينفصل عن القيم الحقيقية للإنسانية والعدالة والتسامح،وتعيينه ضمن مقولات القيم

---

١. الطيب بوعزة: (نقد الليبرالية) مجلة البيان،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠ه، ص٩٦.

٢. عبدالوهاب المسيري:(عصر الاستنارة وتناقضاته) ص٦٠.

٣. إميل بوترو: (فلسفة كانط)ص٣٥٥.

٤. شمس الدين الكيلاني: من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي(الأسطورة ،الدين،الإيديولوجيا،العلم)دارالكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١٩٩٨،١م،ص١٣.

الفعلية التي تستقطب الإنسانية إلى ذلك التجلي الروحي للأخلاق في واقع الفكرة والناس والجماعة والعالم،ولكن النظرة الميكانيكية للعالم عجلت واستدعت الحديث عن ذلك المقابل المثالي المحكوم بتركيزه على النوازع الأخلاقية،والقيم الكبرى المقدسة التي تنبثق من روحانية مطلقة لها من المركز ما يرشّد لتحديد جوهر الإنسان دون الاكتراث بالمجال الواقعي،الذي يجد فيه الدنس و العدم والنقص.[1]

ينتج عن هذا التصور الذهاب إلى الأحكام التأليفية ومعاينة بواسطتها أزمة الانقسام في المعايير الروحية و الفكرية والأخلاقية،حيث ينتج عن هذا التأليف البحث في مشكلة الأخلاق وعلاقاتها بالعلم من جهة،ومن جهة أخرى في علاقة الأخلاق بالدين

خاتمة

_ تعد الأخلاق بصفتها العامة النظر المأمول في بناء المجتمعات على عاتق فضائل الإحسان والعدالة والمساواة وقيم الخير العليا الذي نسجها مفهوم الإنسانية ذاته،غير أن الواقع المعاش والمضطرب نتيجة للتفوق المركزي الغربي جعل التعاطي بهذه المفاهيم تقزز تلك الهيمنة التي عملت على تطوير فضائل أخرى،كالعنف،والإبادة،وتشجيع الحروب،وتشويه المقدار الخلقي و الخلقي للإنسان بواسطة تلك العلمية الميكانيكية التي لم تخرج بدورها عن امتلاك العالم في لحظة قياسية ممكنة،وهي تصفية حسابات العقائد والتاريخ والجغرافيا والهوية مع الشعوب المقاومة لها.

_ يقتضي في هذا الحال من الفوضى العقلية،تقييما صارما لمحتوى الإيديولوجيات التي امتلكت العالم بحجج أخلاقية سواء فيما تعلق بالرأسمالية والاشتراكية،أو العولمة والحداثة ومابعد الحداثة،لأن دراسة الأحكام القبلية وتفكيكها يعيد قراءة الواقعة الأخلاقية من منظور تحرير الفرد العربي والمسلم من الانقسام الطبقي الذي يعانيه من جراء استبداد أنظمته ومصالح الطبقة الرأسمالية ونتائج التدخلات الأميركية و الأوربية في عالمه.

_ انطلاقا من هذا الوضع الأخلاقي الذي شيدته مختلف التيارات الفكرية والاقتصادية في الغرب وآثارها العملية على دول العالم الثالث أو دول الجنوب التي أدخلتها هذه السياسة المركزية في إفلاس عقلي وأخلاقي،كان لزاما عليها إقامة عمل نقدي موسع للنشاط القيمي الغربي وتخريج إفلاسه من عقر داره،والدعوة إلى تمسك شعوبها بالمرجعية الإسلامية والثوابت الوطنية الإنسانية في الأخلاق، التي

١. شمس الدين الكيلاني: من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي(الأسطورة،الدين، الإيديولوجيا،العلم) ص١٣.

لا تستثني أي لون،وأي عرق،وأي جنس في العالم.

قائمة مراجع البحث

- إميل بوترو:(فلسفة كانط)،ترجمة:عثمان أمين،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (دط)، ١٩٧٢م.
- عبد الوهاب المسيري(عصر الاستنارة وتناقضاته)دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٩٩٨،١م.
- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى(دراسة في الأسطورة،سوريا،وبلاد الرافدين)دار علاء الدين للطباعة و النشر،دمشق،سوريا،ط١٩٩٦،١١م.
- الطيب بوعزة:(نقد الليبرالية)مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠ه.
- شمس الدين الكيلاني : من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي (الأسطورة، الدين، الإيديولوجيا، العلم)دار الكنوز الأدبية،بيروت،لبنان،ط١٩٩٨،١م.
- صفاء عبد السلام جعفر:(الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة و التطور)،دار الثقافة العلمية،الإسكندرية،١٩٩٨م.
- كاترين كليمان :(كلود ليفي ستراوس)،ترجمة محمد علي مقلد،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،لبنان،ط١،كانون الثاني/يناير،٢٠٠٨م.
- بييـر مونتيبيلو:(نيتشه وإرادة القوة)ترجمة:جمال مفرج،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، دارالاختلاف،الجزائر،ط١٤٣١،١/٢٠١٠م.
- توفيق الطويل:(مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق)مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٥٢،١م
- عزيز لزرق ومحمد الهلالي:(العنف)دار توبقال للطباعة والنشر،الدار البيضاء، المغرب، ط٢٠٠٩،١م.
- كريستوفر نوريس:(نظرية لا نقدية:مابعد الحداثة،المثقفون وحرب الخليج)ترجمة:عابد إسماعيل دار الكنوز الأدبية،بيروت،لبنان،ط١٩٩٩،١م.
- محمد أندلسي:(نيتشه وسياسة الفلسفة)دار توبقال للطباعة والنشر،الدار البيضاء، المغرب، ط٢٠٠٠،١م.
- نورة بوحناش:(إشكالية القيم عند برغسون)الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط١٤٣١،١هـ/٢٠١٠م.

المهدوية تبشر بنهوض إسلامي مرتقب

الدكتور أحمد الهاشمي

نهوض وسقوط الأمم يمكن إرجاعه إلى القوانين الحاكمة. القوانين التي شرعها البشر قد تقيم حضارات على حساب معاناة البشر أنفسهم. الحضارات السومرية، والفرعونية، والساسانية أمثلة من التاريخ البعيد والقريب. الجنائن المعلقة في بابل، وهرم خوفو في القاهرة، والمدن الأثرية في بلاد فارس تشكل على التوالي ما تركته تلك الأمم. الإسلام أتى بنهج تفكير جديد. تشريعاته المقدسة تهدف إلى إنعتاق البشر. الهدف الأساس هنا هو تبديل إستعباد الإنسان لأخيه الإنسان إلى عبودية للخالق للخالق والمليك الدَّيان- الله جلت عظمته.

عندما كان يدخل البدوي على محمد في مسجده، وقف متسائلا: "أيكم محمد؟" وهكذا ضرب النبي مثالا أعلى لرجل الدولة. الخلفاء من بيوتات قريش، على أية حال، تبَنوا النمط المتعالي لحكومة قيصر. في الوقت الذي شغلوا فيه منزلة مقدسة، طرحوا أنفسهم على رعاياهم بكونهم ظل الله في الأرض. وللأسف، بعيد رحيل النبي، أوصياؤه الحقيقيون أغتيلوا وسمموا وأستشهدوا.في نفس الوقت الذي أعلن فيه القرآن أن عليا هو نفس الرسول (في آية المباهلة)، صرح النبي عن مقام الحسن والحسين بقوله: إبناي هذان إمامان إن قاما وإن قعدا. وكذلك أخبر النبي إبنته فاطمة بأن هناك تسعة أئمة سيأتون من صلب الحسين. إضافة، تنبأ النبي بأنه لو لم يبق من عمر الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يظهر المهدي (من ولده)- الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا. نفوذ أعداء الله في صفوف المسلمين جلب الوبال عليهم. مع كل هذا، الخُلَّصُ من المؤمنين على مستوى العالم يعدوا أنفسهم لإستقبال منقذ البشرية. إنها حقا وعد الله الذي.لا يُخلف "أن الأرض يرثها عبادي الصالحين".

المقدمة

يخبرنا القرآن أن قابيل قتل هابيل. بعد بيان أول مخاصمة التي كانت نهايتها مأساوية، يذكرنا الله بأنه شرع في التوراة " أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً(2:32)." التوراة أول كتاب سماوي أنزله الله على النبي موسى بعد الصحف التي أنزلها على خليله إبراهيم. والآية القرآنية في سورة الحديد (٢٥:٥٧) تبين سبب إرسال الله الكتاب: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" فبين الله الغرض من بعثه للرسل والرسالات. وإستطرد القرآن لبيان أهمية تطبيق القانون الجنائي حينما صرح : " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢:١٧٩)."

نظرا لتعدد أسباب ونتائج المخاصمات بين بني آدم، تعدد أبواب القانون الحاكم في حياة الناس. والقانون سماوي كما ألمحنا أو أرضي كما نلاحظ في تشريعات رجال القانون. لأسباب تخرج عن إطار هذا البحث. تميز رجال القانون في النهضة الأوربية عن رجال الدين. ونُسب قولا للسيد المسيح أن "ما لله لله وما لقيصر لقيصر." وهكذا فُصل الدين عن الدولة "الحديثة" وإنزوت الكنيسة في الزاوية التي نراها فيها. وإنبثق نهج سياسي بإسم العلمانية. آخذا حق التشريع من رجال الدين المسيحين على وجه الخصوص.

جسَّد الإسلام الأصيل الرسالات التي أرسلها الله لموسى وعيسى ومحمد (عليهم صلوات الله) والنبين من قبلهم. وسمَّى إبراهيم الخليل بعد تخاصمه مع نمرود الذين وحَّدوا الله بالمسلمين. ولم يهدِّم النبي محمد (ص) بمساعدة الإمام علي (ع) الأصنام فوق سطح الكعبة في سنة فتح مكة فحسب بل هدَّم الجدار بين المسجد وخارجه وإلى الأبد حينما صرح " جُعلت لي الأرض مسجدا و طهورا."

لم يتحدَّث القرآن عن أية أمة من الأمم الغابرة مثلما تحدث عن بني إسرائيل. وعندما ذكر مصير أنبيائهم "ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون،" فضح به أحبارهم بتغيير الكلم عن مواضعه في الكتاب للحد الذي يجدون تبريرا حتى لقتل المسيح بن العذراء مريم الذي أرسله الله إليهم.

The Passion of Christ

مُخرج الأفلام المسيحي الأمريكي Miller Gipson عَمِلَ فلما وثائقيا بهذا الخصوص تحت عنوان The Passion of Christ لمن أراد الإستزادة.

لم يعط الله الإنسان حق التشريع. وعندما خصص القرآن أطول سورة فيه بعد كتابة دستور المدينة، حصر التشريع بيد الله والرسول. وعرَّف الكتابُ الناسَ

بالرسالات والرسل وأولي العزم منهم. لم تكن هجرة اليهود جنوبا إلى المدينة وما حولها إلا لإستقبال النبي المبشَّرِ به في كتابهم. ولكن وقع لمحمد (ص) ما وقع لعيسى من تكذيب من قِبَلِ من إشتروا الدنيا بالآخرة.

أعطى المفسرون معنيين لكلمة الأميين في القرآن الكريم. الأول جمع كلمة أمي الذي هو وصفا للإنسان الذي لا يقرأ ولا يكتب. مثل هذا الإنسان لا حظ له من المعرفة ولم يتعلم شيئا من معلم، سوى الأمور البسيطة التي تعلمها من أمّه. إذن ألأمُّ هي المصدر الوحيد لمعارف الأمي البديهية. ونظرا للنظرة المتعالية لليهود بخصوص كونهم شعب الله المختار، فقد أطلقوا مثل هذا المعنى على جميع الذين لم يأخذوا العلم الديني منهم ولم يعتقدوا باليهودية. أما المعنى الثاني والذي أميل إليه هو أن الأميين مرادف لكلمة المكيين، على أساس الوصف القرآني لمدينة مكة، مكان ولادة النبي الأكرم (ص) بكونها أمّ القُرى.

رفض الله زعم الذين هادوا بكونهم أولياء له من دون الناس في سورة الجمعة، وصرّح بأنه هو الذي بعث هذا الرسول المبشَّرِ به ليس في التوراة وحده بل في الإنجيل أيضا. " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ"(٦٢:٢)

ذِكر التزكية قبل التعليم بيان لأهميتها. إذ أن النفوس الزكية هي وحدها قادرة على حفظ قدسية الكتاب المنزل. وعندما لا تكون النفوس زكية فتبتلى البشرية بأمثال سامري قوم موسى ومنافقي قوم محمد (ص). فيغيروا الكلم عن مواضعه في الكتاب طلبا لعرض الدنيا، ولا يحكموا بما أنزل الله.

وما نراه اليوم من إبتعاد البشرية عن خط الرسالة وما يتبعها من معاناة الا نتيجة الهجمة الشرسة على الرساليين ولكن نصر الله سيجيئ. الله هو القائل " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ "(٩:٣٣).

تاريخ الحضارات والأديان الإبراهيمية

في الألفية الخامسة قبل الميلاد كانت بداية الحضارة السومرية في بلاد الرافدين حين بنا السومريون العبيديون بجنوب العراق العديد من المدن وأتخذوا بابل عاصمة لهم. وإشتهرت بابل في ذلك الوقت بممارسة الكثير من الطقوس والتعاليم السحرية. في تلك الفترة إحتمالا، أنزل الله الملكين هاروت وماروت بمدينة بابل لتعليم الناس السحر إبتلاء من الله عز وجل وللتمييز بين السحر والمعجزة، حتى يتبين للناس صدق الرسل والأنبياء مقابل كذب الدجالين والسحرة. والآية ١٠٢ من سورة البقرة تصرح بهذا الأمر: وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

وهكذا ذكر العالم (والمفسر) الكبير فخرالدين الرازي في تصنيفه لسحر الكلدانيين بأن أهل العراق في ذلك الزمان كانوا يعبدون الكواكب. وقد أرسل إليهم الله نبيه إبراهيم لينهاهم عن تلك العبادة، وهم من نزل فيهم هاروت وماروت في بابل والذين علموا الناس السحر وعرفوا لهم الخير والشر. وكذلك ذكر المؤرخون أن إبراهيم الخليل عاش في عهد الكلدانيين في القرن العشرين قبل الميلاد، في الوقت الذي كان فيه السحر قد إستشرى في أهل بابل حتى ضرب المثل في إتقان السحر بحكماء وكهنة وسحرة بابل، الذين كانوا قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة، ويعتقدون أن حوادث العالم من أفعالها، وعملوا أوثانا على أسمائها، وجعلوا لكل واحد منها هيكلا فيه صنمه.

ثبت أن مسقط رأس خليل الرحمن كان في مدينة أور (الناصرية، العراق) والتي لا تبعد كثيرا عن بابل (مدينة الحلة حاليا). لم يكن آزر والدا لإبراهيم بل كان عمه ومن تولى شأنه في الصغر لإحتمال موت الوالد. وكان آزر هذا صانعا للأصنام. وينقل لنا القرآن جانبا من حوار إبراهيم مع أبيه آزر، ومن الجانب الآخر كيف حطم الشاب إبراهيم الأصنام في المعبد ووضع الفأس على عاتق كبيرهم الذي أبقاه.

وجائت الآية (21:69)" قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ." في هذا المقطع من حياة الخليل، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. المعروف أن لإبراهيم رحلة من العراق إلى مصر مرورا بفلسطين ليطوي المقاطع التالية في حياته الزاخرة بالإيمان والجهاد في سبيل الله. ويقال أنه كان في معبد هليوبوليس جامعة أون واحدة من أقدم جامعات العالم وفيها تدرَّس كل العلوم بما فيها السحر والذي كان له مدرسة خاصة في ذلك المعبد. ويضاف أن بردية وستكار التي ترجع إلى الأسرة الخامسة حوت على "المعجزات" التي كان يقوم بها الكاهن "جدى" أحد سحرة المعبد أمام الملك خوفو حيث كان يفصل رؤوس الطيور عن أجسامها ويضعها في أركان القاعة الأربعة ثم يتلي عليها تعازيمه السحرية فتلتحم الرؤوس بالأجساد وتعود الطيور للتحليق وهي تصيح وتغرد.[1]

يذهب بعض المؤرخين إلى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أقام فترة من الزمان في هذا المعبد ودرس الكثير من أسرار السحر. إلا أن القرآن ينسب ذبح الطيور الأربعة إلى إقتراح من الله لإبراهيم إجابة على سؤاله "ربي أرني كيف تحيي الموتى،" كما أذن للسيد المسيح أن يخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيصير

طيرا. من الأجدر على علماء اليهود والنصارى (والأقباط) أن لا يقللوا من أهمية المعاجز التي ظهرت في حياة خليل الرحمن وأن يكثروا دراسة إمامته للناس. وإبراهيم هو من سمّى الذين وحّدوا الله في عبادتهم بالمسلمين وختم دين الله الحق بقوله: "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ (6:79). قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (6:161-163) والحمد لله رب العالمين.

الكتاب وتحويره

يشير القرآن إلى إصرار البشر في معاكسة أنبياء الله ورسله. خذ مثلا كيف أن النبي نوح (ع) أمضى في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما. إذ لم يؤمن به إلا ثمانون فردا، وحتى أحد أولاده لم يركب السفينة مع نوح فارا إلى جبل ليعصمه من الماء حين الغرق. لم تصلنا أية آثار من عهد قبل الطوفان، سوى أن ذِكره قد ورد في العهدين القديم والجديد والقرآن.

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ(7:142)

ألقى موسى الألواح (المكتوبة) التي إستلمها في جبل طور سيناء، وهو في فورة غضب لما سببه السامري من نكوص قومه في توحيد الله في العبادة. وعندما خاطبه وزيره هارون يا "إبن أم،" إنطفأ غضب موسى. فأخذ الألواح التي فيها هدى لبني إسرائيل.

عانت البشرية كثيرا نتيجة لحيودها عن طريق الهداية. السالكون في طريق الحق دوما قليلون. وعبَّر القرآن عن هذه الحقيقة بالآية "وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ." وليس في مقدور السالك في سبيل الله الإستمرار في السير دون إقتحام عقبة هوى النفس وتجاوز شرك الشيطان الرجيم. فالصراع بين الأتباع القليلين للرحمن الرحيم والجند الكثيرين لإبليس الرجيم أزلي. لم ينته الصراع هذا في تخاصم إبراهيم مع نمرود، ولا في محاججة موسى (وهارون) مع فرعون، ولا حتى في نزاع محمد مع أبي جهل (وأبي لهب)، بل بقي مستمرا إلى يومنا هذا وحتى اليوم الموعود.

كل صراعات الحق مع الباطل تدور حول قيادة البشر إلى أحد الطريقين والإستحواذ على وسائل القوة المادية المطلوبة لحسم هذه الصراعات.

فهذا نمرود يوقد للحنيف المسلم إبراهيم نارا ليلقيه في الجحيم. وهذا فرعون

يطلب من وزيره هامان ليبني له صرحا ليطلع على إله موسى، منكرا جميع الآيات البينات التي جاء بها كليم الله موسى. وبعد أن وصف فرعون أتباع موسى بكونهم شرذمة من أراذل الناس، جهز جيشا جرارا للقضاء على موسى وأتباعه المستضعفين.

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (28:5)

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (21:105)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً (4:97).

السنن في هذه الحياة إما تكوينية أو تشريعية. فمثلا "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" سنة تكوينية. والذكر في الآيات أعلاه إسماً للتوراة التي أنزلها الله على رسوله موسى الذي جاء قبل صاحب الزبور النبي داوود، وشرّع الله فيها صفات القادة الذين يحكموا الأرض في نهاية المطاف. وهكذا نفهم أن هناك أئمة حق وأئمة ضلال. والعامل المميز بين الفريقين أن الفريق الأول لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً ويبتغي الدار الأخرى.

"تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (28:83)"

"مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥:62)"

في الآية الأخيرة فضح الله بلعم بن باعوراء العالِم بالتوراة من قوم موسى والذي كما يصرح القرآن وقف مع إمام الضلال فرعون الذي يدعو قومه إلى النار. إضافة إلى قصة إضلال السامري لقوم موسى المذكورة في الفصل الثاني من القرآن، يبين الله مدى خطورة تحريف، تحوير، أو إخفاء التشريعات التي أنزلها الله لتحقيق حياة هانئة للبشر على الأرض.

ونحن نعيش إرهاصات الظهور المقدس، فعلى الذين حُمِّلُوا القرآن أن يحملوه خير محمل. عليهم أن لا يقفوا في صف الظالمين من الملوك والرؤساء لتمكينهم من إطالة عهدهم. العهود هذه جميعها باطلة. لأن الله قد حرمها على الظالمين (ولو كانوا من ذرية إبراهيم) كما يصرح بذلك الذكر الحكيم. وعليهم أيضا إعداد البشرية لإستقبال شمس بقية الله الأعظم والذي بنور طلعته سيبدد ظلام الظلم المطبق حاليا في حياة الناس.

طغيان القدرة والمال

"إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ" (٢٨:٤)

"إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" (٢٨:٧٦)

نظرة في حياة المجتمعات على المسرح العالمي حاليا تؤكد أن نفس الظاهرة الفرعونية معاشة ولكن بصيغة جديدة. لا يمكن للدول المتقدمة أن تستمر في إستعمارها لدول العالم الثالث بدون تكريس الإستخفاف والتجزئة والإستعباد. وسياسة "فَرِّق تَسُد" تبنتها الإمبراطورية التي لم تغب عنها الشمس قديما ووريثتها حاليا. عصبة الأمم غيَّرت إسمها بعد الحرب العالمية الثانية إلى الأمم المتحدة (شكليا)، معطية حق الفيتو لدول مقتدرة عسكريا والتي تشكل ما يسمى بمجلس الأمن. إنتهاك سيادة الشعوب وإبتلاع مصادرها الطبيعية وتحويلها إلى أسواق إستهلاكية هو ما تطمح إليه الدول الكبرى. قبل قرن من الزمان أفل نجم الإمبراطورية العثمانية وإقتسم الحليفان الإنجليزي والفرنسي تركة من أسموه بالرجل المريض.

"ما طار طير وإرتفع إلا كما طار وقع" مثال يرسم الخط البياني لكثير من الإمبراطوريات منذ ظهورها على مسرح التاريخ ومن ثم تسنمها أوج قدرتها وبعد حين ضمورها. لم يدم الملك لأحد إطلاقا. والملوك تذكِّر بعضها البعض "لو دامت لغيرك، لم آلت إليك!" على أية حال، قسَّمت معاهدة سايكس-بيكو (السرية) المشؤومة البلاد العربية إلى أوصال. وأوعد بلفور في ١٩١٧ الصهيونية العالمية بإنشاء أرض الميعاد لهم في فلسطين. وبعدها شرَّع تشرشل لآته الثلاثة في مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١: لا رجوع للدول العربية إلى الإمبراطورية العثمانية، لا وحدة بين الدويلات المنشئة من قبل الغرب، ولا تطبيق للشريعة الإسلامية لتأسيس خلافة عربية (هاشمية).

لم تقتصر هيمنة الغرب على الدويلات العربية وتركيا وإيران في الشرق الأوسط بل وصل إلا الشرق الأقصى أيضا. فهذه أمريكا تستعمل السلاح النووي في نكازاكي وهيروشيما لتقتل ١٥٠٠٠٠ إنسانا في يومي ٦ و٩ أغسطس ١٩٤٥ ولتجبر اليابان على الإستسلام. وبعدها حرق النابالم الأمريكي عشرات الألوف من الجنود والعزل في حرب فيتنام. وإستمر البنتاغون في الإستفادة من الأسلحة المحرمة دوليا وبدون رادع (ومنها الصواريخ المزودة باليورانيوم المنضب والتي يسميها الأمريكان بالطلقات الفضية) في حروب بوسنيا، وأفغانستان، والعراق.

إستخدم الغرب الإستعماري التمويل لترويج تطبيق نظريته السياسية العلمانية. من خلال صندوق النقد الدولي، تَوفر المال لإستناد مشاريع كبرى في الدول الإسلامية الراكبة في فلك الغرب والمذعنة لشروطه. أما الدول التي إبتغت الإستقلال عن الغرب فكان الحصار الإقتصادي في إنتظارها.

ونزع الغرب من الدول العربية والإسلامية حتى سلاح "النفط في خدمة المعركة ضد الكيان الغاصب في فلسطين،" والتي دعى لها الملك فيصل عام ١٩٧٣. ولم تكترث وزيرة الخارجية الأمريكية (اليهودية) بموت أكثر من نصف مليون طفل عراقي دون الخامسة نتيجة تطبيق حصار إقتصادي غربي ضد العراق قبل عشرين عاما. أما الحصار الإقتصادي "الذكي" الذي فرضته هلري كلنتن على إيران فقد جلب ثماره بإجبار إيران إلى طاولة المفاوضات النووية والتي خُتمت مرحليا بقرار لوزان بسويسرا كما يراه باراك أوباما.

لم تكن هيمنة اليهود على المال والسوق أمرا جديدا على المسلمين. الأمر الجديد هو تعالي وغطرسة الصهيونية العالمية وهيمنتها على الإعلام والذي يعتبر السلطة الرابعة في الكثير من المجتمعات الغربية. والهجرات المبرمجة لليهود من كافة أقطار العالم إلى الدولة العبرية وما يتبعها من الحاجة إلى بناء مستوطنات جديدة لهم خلقت توترا دائما في فلسطين وتسببت لثلاثة حروب في بضعة عقود. فهناك جرح ينزف وغدة سرطانية كما سماها الإمام الخميني الراحل في جسم العالم الإسلامي ولا يصلح هذا الجسم إلى بإزالته.

عمق المعانة

إستعراض التاريخ الديني يدلل أن السيد المسيح كان أحد أنبياء بني إسرائيل ولأسباب خارجة عن نطاق هذا البحث، نأت المسيحية الكاثوليكية بنفسها عن اليهودية لكي تتمكن من العيش والبقاء. وفي التاريخ الحديث لم يعاني اليهود أي إضطهاد على أيدي المسلمين. وإتخاذ الكثير من اليهود المغرب وطنا لهم لخير دليل تاريخي على ذلك. إضافة إلى المغرب فإن الأرجنتين وأوغندا وقبرص قد وردت أسماؤها قبل إنتخاب الصهيونية العالمية لفلسطين لإنشاء أرض الميعاد ليهود الشتات.

دعاية "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ما هي إلى دعاية صهيونية كاذبة. لم يقترف الشعب الفلسطيني (بمسلميه ومسيحييه) أي جرم بحق اليهود ليستحقوا كل هذه الويلات والنكبات. وهكذا كذب ثيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤) "صاحب كتاب الدولة اليهودية" كذبة أخرى عندما إدعى بأن الصهوينية عودة إلى اليهودية قبل أن تكون عودة إلى وطن اليهود.

وللتاريخ أذكر بأن ناحوم جولدمان (١٨٩٥-١٩٨٢) كان صادقا في بيان السبب الحقيقي لإختيار فلسطين بقوله: "لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وإفريقيا، ولأن فلسطين تشكل في الواقع نقطة الإرتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الإستراتيجي للسيطرة على العالم."[2]

لم يغتر السلطان عبد الحميد (١٨٤٧-١٩١٨) (ذو صوفي النزعة والذي هو كان في أزمة مالية حادة) بالعرض المغري المرسل إليه من ثيودور هرتزل، حينما كتب الأخير له: "ترغب جماعتنا في عرض قرض متدرج من عشرين مليون جنيه إسترليني يقوم على الضريبة التي يدفعها اليهود المستعمرون في فلسطين إلى جلالته. تبلغ هذه الضريبة مائة ألف جنيه إسترليني في السنة الأولى وتزداد إلى مليون جنيه إسترليني سنويا." وقد رفض السلطان عبد الحميد عرض هرتزل، وورد عنه في ذلك قوله:"إذ أن الإمبراطورية العثمانية ليست ملكا لي وإنما هي ملك الأمة الإسلامية فليس والحال كذلك أن أهب أي جزء فيها... فليحتفظ اليهود بملايينهم في جيوبهم... فإذا قسمت الإمبراطورية يوما ما فقد يحصلون على فلسطين دون مقابل. ولكن التقسيم لن يتم إلا على أجسادنا." [2]

الأمريكي المسيحي هنري فورد (١٨٦٣-١٩٤٧) كان له خلاف مع اليهود أيضا، ولكن لأسباب تختلف بيّنها في كتاب خاص له في هذا الصدد تحت عنوان: يهود العالم: مشكلة العالم. بخلاصة كان رأيه أن أثرياء اليهود الألمان هم السبب في تأجيج الحرب العالمية الأولى. وفي صحيفته ديربورن إندبندنت كان يدعو أمريكا إلى إتخاذ موقف الحياد من تلك الحرب. نفس الموقف الذي إتخذه الرئيس الأمريكي ثوماس ويلسون (١٨٥٦-١٩٢٤) من الحرب العالمية الأولى منذ إندلاعها في عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٧. أسباب تغير موقف أمريكا في أبريل ١٩١٧ خارج عن إطار هذا البحث.

الإتحاد المسيحي اليهودي

إذا لم يكن معالم مثل هذا الإتحاد واضحا في الفترات بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فإن المعالم هذه أصبحت واضحة للعيان بعد إيجاد كيان صهيوني في فلسطين المحتلة في عام ١٩٤٨. الصهيونية المسيحية هو الإسم الذي يطلق عادة على معتقد جماعة من المسيحين المنحدرين غالبا من الكنائس البروتستانتية الأصولية. ويمكن تقصي ميلاد الصهيونية المسيحية قبل بضعة قرون في بريطانيا. وإنتقالها إلى أمريكا بعد قيام الكيان الغاصب عام ١٩٤٨. لست بصدد إدراج مواقف الكنائس المسيحية المختلفة تجاه هذا الإتحاد، بقدر ما أريد أن أبين خلفية الدعم الغير المشروط لدولة كبرى مثل الولايات المتحدة لكيان غير شرعي لا يمكنه

البقاء دون مثل هذا الدعم. ولا تسل عن دور اللوبي الصهيوني في واشنطن.

من خلال عيشتي بمدينة نيويورك لبضعة سنوات عرفت أن الصهيونية هناك حركة سياسية بحتة لا علاقة لها بالدين اليهودي المتمثل بالتوراة الذي أنزله الله على كليمه موسى بن عمران عليه السلام. سمعت هذا من طالبة صهيونية في جامعتي كانت على معتقد هرتزل الذي كان همه الوحيد إيجاد وطن قومي لشتات اليهود في العالم في مكان ما. صرحت الطالبة الصهيونية عن معتقدها في تجمع طلابي عام ١٩٨٤، أي ثمانون عاما بعد هلاك هرتزل وإتحاد كلمة الصهيونية العالمية على إستقطاع أرض فلسطين من قلب العالم العربي والإسلامي.

الأمر الثاني الذي عرفته هو إمتعاض الكثير من الأمريكان المثقفين من إنحياز السياسة الخارجية الأعمى تجاه كيان صهيوني مغتصب لأرض شعب لم يقترف بحق اليهود أي جرم. الإنحياز هذا لا يعتبر إسرئيل الولاية الأمريكية الواحد والخمسون فحسب بل أن الكيان الصهيوني في الشرق الأوسط هو الحليف الوحيد للولايات المتحدة الذي يطبق الديمقراطية. ومثلما كان للإنسان الأبيض الحق في إبادة الملايين من الهنود الحمر في أمريكا الشمالية لإقامة كل هذه الولايات، فإن للصهاينة الحق بإبادة الكنعانيين في فلسطين لتأسيس إسرائيل على الأراضي المغتصبة.

قد يستغرب القارئ أنه كيف يمكن لأمريكا راعية حقوق الإنسان وحاملة لواء الديمقراطية في العالم أن تتبنى مثل هذه السياسة الخارجية وتقدم الدعم الامحدود من السلاح والمال إلى الكيان الصهيوني وحتى لو كان ذلك الدعم يأتي من إثقال كاهل العامل الأمريكي بالضرائب. ولكن الإستغراب سيذهب لو إطلع الإنسان على إنشقاق القس الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) على الكنيسة الكاثوليكية وتبنيه البروتستانتية ودعوته إلى قراءة التوراة قراءة جديدة. صحيح أن الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية لها موقف مختلف عن موقف البروتستانتية الأمريكية تجاه اليهود في فلسطين إلا أن علاقة الكنيسة البروتستانتية بالصهيونية علاقة حميمة.

أتذكر عندما أرسل مناحم بيكن سربا من طائرات الـ F16 الأمريكية لتحطيم مفاعل تموز النووي في بغداد عام ١٩٨١، إتصل بعد العملية العسكرية بالقس الأمريكي المتطرف جيري فالويل (١٩٣٣-٢٠٠٧) (ولم يتصل بالرئيس رونالد ريغن) ليحثه على تغير وجهة نظر أعضاء الكونجرس الأمريكي من مخالفين إلى موافقين لتلك العملية العسكرية. إذن لا غرابة في الإسناد الغير المشروط لليمين المسيحي في أمريكا وكندا (والمتمثل في الحزب الجمهوري وحزب المحافظين على التوالي) للكيان الصهيوني. وفي مخالفة مشينة للرئيس الأمريكي باراك أوباما، مكّن الحزب الجمهوري بنيامين نتنياهو لتحويل الكونجرس الأمريكي إلى بطاقة

إنتخابية ليفوز بولاية ثالثة مؤخرا.

وقبله أربيل شارون (١٩٢٨-٢٠١٤) ذكّر أحد أعضاء الكنيست الذي كان يحذره من موقف أمريكي معارض لسياساته، قائلا أن القرارات السياسية تتخذ في تل أبيب وليس في واشنطن فيما يهم أمن الكيان الغاصب.

وفي نفس السياق يمكن تفسير استفادة أمريكا من حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي (الأمم المتحدة) وبصورة متكررة حين صدور أي قرار يخدش أمن ذلك الكيان.

ولا أحسب أن البرنامج النووي الإيراني سيكون في مأمن من مكائد الكيان الصهيوني، حتى بعد الإتفاق الأخير في لوزان السويسرية مع ستة دول كبرى (من ضمنها أمريكا).

أدورد سعيد الأمريكي (١٩٣٥-٢٠٠٣) ونعوم تشومسكي (١٩٢٨-....) كانا على رأس من إنتقد الإنحياز الصهيوني وفنّدا الإدعاء بكون فلسطين ملكا صرفا لليهود وخالفا سياسة الإستيطان على حساب حق الفلسطيني في وطنه ورجوع المهجَّر إليه. لو كان الأول مسيحيا أمريكيا من أصل فلسطيني، فإن الثاني هو يهودي أمريكي وكان قد إنخرط في شبابه في صفوف الصهيونية. كل مراقب منصف يرى أن تفرعن السياسيون الصهاينة هو أساس المشكلة الفلسطينية. يهود الشتات من روسيا وبولندا وأمريكا لهم حق العودة وجميع حقوق المواطنة، بينما أصحاب الوطن الحقيقيين شُرِّدوا وأغلبهم يعيشوا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين. تزامن وقت كتابة هذه السطور مع الذكرى السنوية لمجزرة دير ياسين (في ضواحي القدس) في ٩ أبريل عام ١٩٤٨. وقبل ساعتين إشتركت نبيلة أسبنيولي في تظاهرة تضامن مع مخيم اليرموك (في سوريا) من مدينة الناصرة في فلسطين المحتلة وعبرت عن سبب مشاركتها في التظاهرة على صفحتها في الـ Face Book. "نتظاهر اليوم ضد الهجمات على شعبنا الفلسطيني في مخيم اليرموك، ونتظاهر ضد دور عملاء الأمريكان والذين يقومون بما يقوم به في سوريا واليمن... نعبر عن غضبنا حيال الصمت العربي والعالمي حول ما يجري من جرائم في سوريا واليمن، ونطالب بوقف الهجمات غير المسبقة في اليمن واليرموك."[3]

وما إعتداء الصهاينة المتكر على غزة وجنوب لبنان وأهداف كثيرة أخرى عنك بعيد.

قتل إمرء في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر!

الفرعونية الجديدة والدجال

كما لمحت سابقا أن الأمريكان ورثوا قيادة العالم الجديد من الإنجليز. لتشابك المصالح الدولية في فترة الحرب الباردة، لم يكن هذا التوريث واضحا. إلا أنه أصبح جليا بعد ضمور الإتحاد السوفياتي في نهاية الثمانينات من القرن الماضي من المسرح الدولي، وإنفراد الولايات المتحدة الأمريكية في عهد جورج بوش الأب (١٩٢٤-....) في الهيمنة على القرية العالمية. كل الدلائل تشير إلى أن الصهيونية العالمية في طريقها إلى الإستيلاء على تركة القطب الأوحد في العالم.

مدينة الناصرة تقع ١٠٥ كلم شمال القدس الشريف. في تلك المدينة تمثل جبرائيل عله السلام إلى العذراء مريم بهيئة رجل وبشّرها بولدها يسوع المسيح. ونسبة إلى تلك المدينة يحمل السيد المسيح عليه السلام لقب يسوع الناصري. وهكذا إصطلاحات النصارى والنصرانية كلها من مشتقات هذه الكلمة العربية. وورد ذكر الناصرة في العهد الجديد ٢٩ مرة، ولم يرد ذكرها في العهد القديم.

أما مدينة دمشق الحزينة فتقع ٢١٧ كلم شمال شرق القدس. وهناك العديد من الروايات عن نزول الرسول عيسى إبن مريم في آخر الزمان (على منارة بيضاء شرقي دمشق واضعا يديه على جناحي ملكين) المسيحيين وطائفة من اليهود يؤمنون به، إذ أنهم يعرفونه كما يعرفون ابنائهم. أما الطائفة الأخرى، وعلى إحتمال كبير من ملأ القوم، لا يؤمنون به علوا وإستكبارا. وبعد إتمام الحجة على مثل هؤلاء، فسيقتل السيد المسيح دجال اليهود. وكما يصرح القرآن فإن البشرية ستستقبل المسيح إبن مريم الذي يُكَلِّمُ الناس وهو في كهولة (٣٣-٥٠) العمر:

"إِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنْ الصَّالِحِينَ." (٣:٤٦-٤٥)

وهكذا توترات روايات المسلمين بأنه حين نزول النبي عيسى فإن إمام المسلمين منهم- إشارة إلى الإمام القرشي الثاني عشر والذي هو سميّ النبي عليهما صلوات ربي.

فإذن قتل المسيح للدجال سيكون بالتنسيق مع الإمام المهدي. وهكذا ستُفضح أكذوبة اليهود في أن المسيح القادم في آخر الزمان هو الدجال، بإختلاقهم مصطلح "المسيح الدجال." لأنه لا منطق في أن المسيح سيقتل نفسه!

من الضروري أن يخرج أتباع مدرسة الخلافة من حيرتهم في أوصاف الدجال. فمع قبولهم أفكار كعب الأحبار، تحير علماء هذه المدرسة بين الدجال الذي قال به تميم الداري، والدجال الذي قال به عمر بن الخطاب. وفي حديث قيّم لأحد هؤلاء

العلماء (الشيخ عمران حسين) يعتبر الحكومة العالمية للمسيحية-الصهيونية هو الدجال الذي أثار مؤخرا النعرات الطائفية بين السنة والشيعة. [4]

لا يسعني المجال هنا في الرد على التناقض الذي وقع فيه الشيخ عمران حسين. من جهة تحدث هذا الشيخ على الشبكة العنكبوتية (You Tube) مقرا عن إرهاصات ظهور الإمام المهدي. ومن جهة أخرى يؤكد بأنه لا أساس في القرآن الكريم (المرجع الأعلى للمسلمين بسنتهم وشيعتهم) لنظرية الإمامة. وهكذا عندما تنطفئ البصيرة في قلب الإنسان، فإنه يخلق فضائل مصطنعة من السنة في شأن أبو بكر (الصديق) وعمر (الفاروق) وعثمان (الغني) ليطفئ نور من سمى نفسه نقطة بسم الله الرحمن الرحيم للقرآن. فهل أعطى المسلمون صفة الإمامة لشخص غير علي بن أبي طالب عليه السلام في الصدر الأول من الإسلام ؟ وهذا الإمام المهدي هو آخر الأوصياء من نسل وصي رسول رب العالمين.

ولكي أنصف الشيخ فإني أحد المعجبين بتحليلاته السياسية التي رأيتها متطابقة مع تحليلات الشهيد حسين بدر الدين الحوثي الذي أستشهد في صعدة الصمود عام ٢٠٠٤ عن عمر لم يتجاوز الـ ٤٦.

فالدجال إمام جبهة الضلال الذي سيقف بوجه المهدي عليه السلام. وما زرع الخوف في نفوس الغير المسلمين من الإسلام الأصيل وشريعته إلا حركة إستباقية. الفوضى الخلاقة التي إبتدأتها هلري كلنتن (التي رشحت نفسها للرئاسة هذا اليوم ١٣ أبريل) جلبت الوبال على المسلمين. ونجح الثالوث المشؤوم (الإنجليز والأمريكان وإسرائيل، وفق تسمية الشهيد محمد محمد صادق الصدر) بإحكام قبضته على الدول الإسلامية ومصادرها النفطية.

فسعر النفط في الأسواق العالمية الآن هو ثلث ما كان عليه قبل حوالي عام. وبإسم الإسلام أريق الدم الحرام، وهُجِّرت طوائف غير إسلامية كانت تعيش في سوريا/العراق وهُدِّمت العديد من قبور الأولياء والصالحين والمناطق الأثرية التي يعود تاريخها إلى زمان أنبياء الله إبراهيم ويونس عليهما السلام. ومن الجلّي أن الذي يقتل على الهوية ١٧٠٠ مسلما في يوم واحد، ويحرق طيارا أردنيا أسيرا، ويذبح الصحفيين الغير المسلمين الأسارى أمام عدسات الكاميرا لا يمت للإسلام بصلة.

إنه السفياني الذي سيدفع ثمن جرائمة غالية عندما تسمع البشرية النداء: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً." (١٧:٨١)

الخلاصة

عانت البشرية ومازلت من جور السلاطين. سواء النظرة الإستعلائية التي يجلبها المُلك أو النظرة الفوقية التي يوحي بها التلمود لقرائه، فإن نفوس ودماء البشرية ستكون رخيصة من أجل إستعباد الشعوب تحت ذرائع مختلفة. منذ فجر التاريخ كان فقدان التقوى في حياة الإنسان سببا لقتل أخيه. لذا حرَّمت التوراة قتل النفس البريئة. أما التلمود فهو تفسير أحبار اليهود للتوراة. وفيه الكثير من الإبتعاد عن خط التوحيد الذي يريده الله. وأما معتقد المعاد فهو ضائع بين العهد القديم السومري والعهد القديم العبري. إذن لم يطبق أتباع موسى (الذي هو من نسل خليل الرحمن إبراهيم (ع) الأحكام التي أرسلها الله إليهم، لا في زمان موسى وهارون ولا في زماننا الراهن. في مواضع عديدة من القرآن وفي أكثر من ثلثي سورة البقرة وبَّخ الله بني إسرائيل على زيغان قلوبهم بعد إضلال السامري لهم وأن تلك القلوب أشربت العجل إشارة إلى ماديَّتهم الصارخة. والإعتراض الصارخ لبعض أحبار يهود أمريكا حاليا لإسرائيل يكشف مدى ضلال ثيودور هرتزل والحركة الصهيونية التي أسسها وإبتعادها عن تعليم توراة موسى (ع).

وأرسل الله عيسى إبن مريم لبني إسرائيل ليهديهم سواء السبيل. رغم ولادته من غير أب وكلامه وهو في المهد، لقي السيد السيح ما لاقاه الأنبياء من قبله: التكذيب أو القتل. وبعد أن كذَّبوا رسالته، أوشى أحبار بني إسرائيل بعيسى بن مريم عند ملك الروم ليقتله ولكن الله رفعة إليه. لم يعش روح الله في الحياة هذه أكثر من ٣٣ سنة. والقرآن يخبرنا بأن عيسى بن مريم كلَّم الناس في المهد و وسيكلِّمهم كهلا. والكلام الثاني إشارة إلى الدور المناط به وهو في سن الكهولة حينما ينزل من السماء بعد ظهور بقية الله الأعظم أرواحنا له الفداء.

حجب الله النبي عيسى والإمام المهدي (من نسل إسحاق وإسماعيل على التوالي) في عالم الغيب ليؤدوا الدور المناط بهما في آخر الزمان.

الإمامة كالنبوة جعلية يجعلها الله في من يشاء من عباده. وهذا الأمر من السنن التكوينية. أما بعث الله الرسل والرسالات فقد إحتوت على السنن التشريعية ليقوم الناس بالقسط إقتفى المسلمون خطى بني إسرائيل، كما تنبأ الرسول عليه الصلاة والسلام. وعطِّلت الأحكام ولم تقم الحدود، فسلَّط الله على المسلمين شرارهم، فدعاه خيارهم ولم يستجب لهم. لكي لا تصب البشرية بالقنوط أعطى القرآن بشارة بإستجابة دعاء ولي الله الأعظم وكشف الضر عن البشرية المعذبة في نهاية المطاف: "

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ." (٢٧:٦٢) وهكذا تتجلى عالمية رسالة الإمام المهدي (ع).

شكر وتقدير

يود المؤلف أن يشكر عقيلته الفاضلة الدكتورة بن فارس على تفضلها بطباعة هذه الورقة.

المراجع

- [1] http://www.civilizationguards.com/2014/06/pharaohs-magic-and-magicians.htmlAdd+
- [2] http://www.nakba.ps/criminal-details.php?id=7
- [3] https://ar-ar.facebook.com/nabila.espanioly
- [4] Bridging The Sunni Shia Divide By Sheikh Imran Hosein 26 Nov 2014
- https://www.youtube.com/watch?v=2zx2lKAmv8U&sns=em

ضرورة إنتهاج نهج وحدوي بين المدرستين والمسلمون يعيشون إرهاصات الظهور المقدس

الدكتورة نعيمة ابن فارس

"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" آيتان كريمتان ترشدان المسلمين إلى مستلزمات الوصول إلى وحدة حقيقية. فالأمة الإسلامية لن تصل إلى الوحدة الحقيقية إلا بإتباع المذهب الحق وتربية أبنائها على التحلي بروح التسامح وقبول التعددية. وكم بتنا بحاجة لتبني مثل هذا المنهج خصوصا في هذا العصر وقد أصبحت الطائفية تنهش فينا وكادت أن تهدم كل صرح حضاري إسلامي. لقد أصبحنا نعيش في زمن يحاول فيه أعداء الإسلام بطرق مختلفة تشتيت المسلمين وإيجاد الفرقة والإختلاف في مجتمعاتهم سواء على الصعيد المذهبي أو الديني. ولقد نجح الأعداء لحد ما، ولظهور التشدد المذهبي في مجتمعات مختلفة أكبر دليل على ذلك. حيث أن بعض المتشددين من الطائفتين يتغالى في الدين وتصل به الجرأة والوقاحة لتكفير الطائفة الأخرى بل وحتى الإفتاء بهدر دم متبعيها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إبتعاد هؤلاء الغلاة عن الدين الإسلامي وعدم تدبرهم في معاني آيات القرآن الكريم كالمذكورة أعلاه. ولم يقتصر الأعداء على هذا فحسب بل جاؤوا مؤخرا بجهال لا يمتون بالدين أي صلة فشوهوا معالم الدين الحنيف بإسم الإسلام وتحت راية سوداء. وقد جاء هذا التشويه في أعقاب إعتناق الكثير من الغربيين للإسلام. فكانت نتيجة كل هذا ظهور فتنة الشام (بما في ذلك سوريا والعراق) فسفكت الدماء ويتمت الأطفال وترملت النساء وإنتشر الفقر وقل الوعي وعم الفساد. وبالرغم من الإختلافات بين أتباع المدرستين (الخلافة والإمامة)، فإن الإيمان بمهدي آخر الزمان يبقى عاملا مشتركا. والمسلمون يعيشون إرهاصات الظهور أضحى على كل مدرسة أن تنهض بمستوى المسؤولية وأن تنسى كل

الخلافات الطائفية إستعدادا لهذا الحدث العظيم. كيف يتم ذلك وماهو الأسلوب الأنجع لتبني منهج وحدوي بين المدرستين ليصبح العالم الإسلامي مدخرا كل طاقاته ومقوماته لظهور الإمام (عج) هذا ما ستتطرق إليه الكاتبة في هذه الورقة.

المقدمة

إن الدين عند الله الإسلام. عبارة واضحة لا تكفر أي طرف من الطرفين لا سنة (مدرسة الخلافة) ولا شيعة (مدرسة الإمامة) ما دام الإثنان يتبعان الدين الإسلامي لا غيره. إلا أننا وبالرغم من فسحات القرآن الكريم وعدم وجود أي غموض أو تعقيد في الأحكام والتشريع نجد ظهور بعض الجاهلين لهذا الدين والمتحدثين باسمه يحاولون بكل الطرق والوسائل نشر الفتن وإضلال المجتمعات الإسلامية وتوهيم الشعوب على أن إتباع طائفة غير الأخرى يعتبر كفرا وخروجا عن الدين، مما أصبح يشكل خطرا كبيرا على المسلمين، حيث أن العديد أصبح يعتبر الدين الإسلامي دين رجعية وتخلف المجتمعات والإنسلاخ عنه هو الحل الأنجح للإزدهار. ومن ثم أصبح واضحا أن كل من يحاول نشر الفتن بين المسلمين هو فئة ضلالة وعلى الأرجح فئة لها يد خفية مع أعداء الدين الإسلامي للتشجيع على القضاء على الدول الإسلامية والتفرقة بين شعوبها ومحاولة إندثار الدين الإسلامي هذا الأخير الذي يأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله، يقول تعالى: " يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" (٣٢-٣٣ : ٩).

والطائفية أو المذهبية آفة حذرنا منها الله جل وعلا حيث قال في كتابه الحكيم: "وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (٦:١٥٣). لكن الناس اتبعوا هواهم وغلوا في دينهم فاستفحلت هذه الآفة وتوغلت داخل الأمة.

بعد أن وحد النبي (ص) رأي المسلمين وعقيدتهم تأتي حادثة سقيفة بني ساعدة بعد موت المصطفى (ص) لتكون سبب إختلاف المسلمين وعدم وحدتهم. خصوصا بعد تولي الخليفة الثالث عثمان بن عفان وما عاناه المسلمين بسبب تقريبه لبني أمية لحكمه وإعطائهم إمتيازات خاصة دون باقي المسلمين الأمر الذي أدى إلى ثورة العديد من المسلمين ضده وإغتياله والتمثيل بجثته. وبعد مبايعة الإمام علي (ع) والتي كانت مبايعة من طرف جميع المسلمين دخل المسلمون في العديد من الحروب الطاحنة فيما بينهم بسبب رأس الفتنة معاوية فتكونت فرق بعضها من موالي أهل البيت وأخرى من الخوارج والأشاعرة والبعض الآخر من المنافقين

الموالين لمصالحهم والراكضين وراء دراهم ترمى إليهم من اللعين معاوية. وأبى هذا الأخير إلا أن يتشبث بالحكم وأن يجمع حوله كل من كان مريض القلب وعديم الإيمان ويعمل كل المناورات والحيل لتهديد أمن وسلامة ووحدة المسلمين. ولحقن دماء المسلمين إضطر الإمام الحسن بن علي المجتبى (ع) بعد إستشهاد أبيه ومبايعة المسلمين له للخلافة، إلى عقد مصالحة مشروطة مع معاوية إلا أن هذا الأخير نقض المصالحة ليكره المسلمين على مبايعة إبنه السكير العربيد يزيد. لكن الإمام الحسين بن علي (ع) أبى أن يبايع يزيد فخرج قاصدا الكوفة بعد تلقيه رسائل من أهلها إلا أن يزيد أرسل اليه جيشا جرارا ليقطع رأس سبط النبي (ص) ويحمل الرأس إلى دمشق لينكل به يزيد وتسبى نساء وبنات النبي (ص).

وعلى مر العصور أقيمت مناظرات بين المذاهب المختلفة ولكن طالما لم يكن الأمر يمس السلطة كان يسمح بها ولكل الحق في دينه ومذهبه. إلى أن توغل الصهاينة في الشرق الأوسط وإحتلالهم دولة فلسطين و خاصة بعد الثورة الإسلامية الإيرانية بدأت تظهر فئات بإسم الإسلام تقتل المسلمين وتكفرهم زاعمة أنها على حق، غير مبالية بأن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله عرضه. وأكثر ما نجده يشكل خطرا كبيرا هو تكفير الوهابيين والسلفيين للشيعة لمحاولة التفريق بين السنة والشيعة وخلق الفتنة والعداوة بينهم. ومع ما يجري من أحداث أصبحنا واثقين بأننا نعيش عصر الظهور. لذا كان من واجب الكاتبة أن تتطرق ولو في بضع صفحات لهذه الآفة الخطيرة للمحاولة على الأقل من تقليل الهوة السحيقة المفتعلة بين السنة والشيعة وذلك في تبيين أوجه التقارب والإختلاف المذهبي والذي سيرى من خلاله القارئ أن التقارب يكاد يكون كليا في الكثير من المجالات وإن كان كذلك في أهم العقائد والأسس الدينية. وكما تريد الكاتبة أيضا إفضاح مآمرة التكفيريين والتي باتت واضحة للعلن من خلال الأحداث الأخيرة. أنها تحاول بشتى الوسائل الحفاظ على إستقرارها ومصالحها ومصالح الدول المعادية للإسلام ولو أدى بها ذلك إلى نشر المذهبية والطائفية ونزع الأمن من الدول المجاورة لها وتخريبها وتفكيك أسرها وتشريد أبنائها.

أوجه التقارب بين السنة والشيعة

أسس الإسلام

عند الشيعة هذه الأسس تسمى بالأصول وعند السنة بالأركان وإن إختلفت الأسماء فلها نفس العدد وهو خمسة. أصول الدين هي: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، والمعاد. وأما أركان الدين فهي: الشهادتين، الصلاة، الصوم، الزكاة، والحج

لمن إستطاع إليه سبيلا.

وإذا توقف القارئ لوهلة فإنه يجد أن كلا الفريقين إتفقا على اثنين أو ركنين وهما الشهادتين عند السنة و التوحيد والنبوة عند الشيعة، وهذان أهم أسس العقيدة الإسلامية بإجماع كل المذاهب. وأمّا العدل فهو في الحقيقة راجع إلى صفات الله تعالى ويكون داخلاً في أصل التوحيد، وإنّما جعل عند الشيعة أصلاً برأسه لأهميته؛ لأنّ الأشاعرة من أهل السنة إختلفوا مع العدلية (باقي الفرق السنية)، في ثبوت هذه الصفة لله تعالى باعتبار أنّ الأشاعرة ذهبوا إلى أنّ الظلم ليس قبيحاً على الباري تعالى شأنه بل كل ما يفعله الله سواء كان ظلماً أو عدلاً، فهو حسن، وكلامهم في الحقيقة يرجع إلى نفي التحسين والتقبيح العقليين. ونتيجة ذلك إمكان صدور الظلم من الله تعالى فلا يستحيل أن يجازي الله المسيء بالثواب، ويجازي المطيع بالعقاب، ولكن الشيعة قالوا: بإستحالة ذلك، وأنّ العقل يدرك بنفسه حسن العدل وقبح الظلم، وأنّ القبيح يمتنع صدوره من الحكيم تعالى شأنه، ولأجل ذلك خصصوا العدل من بين صفات الله تعالى بجعله من أصول المذهب.

أما بخصوص الإمامة فإن الشيعة يقصدون بذلك الإمامة بمفهومها العام [١].

وهي من الأمور الأساسية في الدين إذ لا بد أن يتخذ المسلم في حياته إماما يقتدي به ويلجأ إليه لكل إستفسار أو مسألة مستعصية عليه فالإمام كل من إئتم به قوم فالقرآن إمام المسلمين، ومحمد (ص) إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقائد إمام الجند.يقول تعالى: " وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً" (١:١٢٤). (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (٣٢:٢٤). "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا " (٧١:١٧). " وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (٢٨:٥). "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ" (٢٨:٤١).

ولكن هذا لا يعني أن أهل السنة إن لم يجعلوها من أركان الإسلام أنهم لا يعتقدون بها والدليل على ذلك إتخاذهم تراث الأئمة الأربعة كمنهاج لأدائهم الفرائض والواجبات الدينية. الشيء نفسه يمكن أن ينطبق على المعاد لأن ليس هناك أي مسلم حقيقي لا يؤمن بيوم القيامة مهما كانت طائفته.

باقي أركان الإسلام عند السنة ألا وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج فإن الشيعة تتخدها كفروع للدين وهذا لا ضرر فيه لأن هذه الفرائض إذا لم يستطع أن يقوم بها المسلم فإنه يظل على إسلامه كالصلاة والصوم بالنسبة للمرأة الحائض والزكاة والحج في حالة عدم الإستطاعة المادية. وفروع الدين عند الشيعة عشرة وهي الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الحج،والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر والتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله. فإذاً يمكن أن نقول أن كلا المدرستين متفقتين على معظم أركان وفروع الدين وإن إختلفت في المفاهيم لذا يجب على الكل أن يستنكر تكفير أي مذهب من هذين المذهبين.

الوصية

يعتقد الشيعة أن النبي(ص) أوصى لعلي بالخلافة قبل مماته الأمر الذي تنكره مدرسة الخلافة أو أهل السنة. وهنا أعطي لنفسي الحق وأسأل مدرسة الخلافة لماذا يحلون أشياء على النبي موسى (ع) ويحرمونه على النبي (ص) إذا كان النبي موسى (ع) أوصى لأخيه هارون(ع) بأن يخلفه في قومه عندما ضرب الله تعالى لموسى (ع) موعدا لمكالمته، وإعطائه الألواح المشتملة على أصول الشريعة فقبل ذلك ثم صعد جبل سيناء في أول الموعد: "وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" (٧:١٤٢). والنبي (ص) قال لعلي (ع) في حديث المنزلة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي) [٢].` وهل يعقل أن يقبل من أبي بكر وصايته للخلافة لعمر وتكليف عمرللجنة من ستة مرشحين وإعطائه حق الفيتو لعبد الرحمن بن عوف لكي يختار الخليفة في حالة حدوث خلاف. ناهيك عن الملوك والرؤساء الذين ينتخبون في حياتهم أولياء للعهد ونوابا للرؤساء ولا يقبل من النبي الأكرم (ص) أن يوصي لعلي (ع)؟! من وجهة نظري أرى أن النبي (ص) والذي حطم الرقم القياسي في تسيير وتدبير شؤون الأمة وشرع قوانين الدولة الإسلامية بشهادة من أعظم مشاهير التاريخ كنابليون وغاندي أن لا يغيب عنه هذا الأمر ألا وهو توصية من يخلفه. والدليل في ذلك حديث غدير خم حيث جاء في صحيح مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خُما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، وإستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».[٣]

وأخرج الحافظ النسائي في الخصائص: عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا

علي الحوض... ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي (رض) فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه... فقلت لزيد : سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: نعم، وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه...) [٤].

ولكل من لايكتفي بما ذكر سالفا ويقول أن النبي (ص) لو كان يريد أن ينصب عليا (ع) خليفة بعده لدون ذلك، عليه أن يدرس التاريخ جيدا وليبحث في رزية الخميس حيث ردّ طلب النبي (ص) ـ وهو على فراش الموت ـ في أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا من بعده أبداً، حيث رفض عمر بن الخطاب ذلك الطلب وقال: إنّ الرجل ليهجر[٥] أو غلب عليه الوجع كما روى ذلك البخاري بسنده عن عبيدالله بن عبد الله عن إبن عباس قال: لما إشتد بالنبي(صلى الله عليه وآله) وجعه قال: أئتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده قال عمر: إنّ النبي(صلى الله عليه وآله)غلب عليه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال(صلى الله عليه وآله): قوموا عني ولا ينبغي عندنا النزاع، فخرج إبن عباس يقول: الرزيئة كل الرزيئة ماحال بين رسول الله(صلى الله عليه وآله) وبين كتابه [٦]. وفي رواية أخرى روى البخاري بسنده عن إبن عباس قال: لما حضر رسول الله(صلى الله عليه وآله) وفي البيت رجال فقال النبي(صلى الله عليه وآله): هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله [٧].

والغريب أن البخاري لم يذكر إسم الصحابي الذي قال على النبي (ص) غلبه الوجع إلا أن الحقيقة لا تخفى على أحد مهما طال الزمن وإتضح أنه عمر بن الخطاب صاحبها وذلك عل لسان العديد من علماء السنة والذين حاولوا جهدهم لتبرير هذه المقولة كالمازري كما نقله الحافظ [٨] والإمام البيهقي [٩].

ولو كانت بيعة أبي بكر عن طريق الشورى كما يزعم البعض لما إعترف عمر أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فأقتلوه... [١٠]. والأمر الثاني قول أبي بكر ساعة إحتضاره: (ليتني كنت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ثلاثة أمور:

أحدها: ليتني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر حق...) [١١].

وهذا القول يظهر شك أبي بكر في صحّة بيعته، وربما ندمه على قبول البيعة. وأيضا وقال علوان بن داود البجلي، عن حميد بن عبد الرحمن، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه. وقد رواه الليث بن سعد، عن علوان، عن صالح نفسه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه فسلمت عليه وسألته: كيف أصبحت؟ فقال: بحمد الله بارئا، أما إني على ما ترى وجع، وجعلتم

لي شغلا مع وجعي، جعلت لكم عهدا بعدي، وإخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له. ثم قال: أما إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن، وثلاث لم أفعلهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن: وددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الخرب، وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق عمر أو أبي عبيدة، ووددت أني كنت وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة وأقمت بذي القصة، فإن ظفر المسلمون وإلا كنت لهم مددا وردءا، ووددت أني يوم أتيت بالأشعث أسيرا ضربت عنقه، فإنه يخيل إلي أنه لا يكون شر إلا طار إليه، ووددت أني يوم أتيت بالفجاءة السلمي لم أكن حرقته وقتلته أو أطلقته، ووددت أني حيث وجهت خالد بن الوليد إلى الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فأكون قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله. ووددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في من هذا الأمر ولا ينازعه أهله، وأني سألته هل للأنصار في هذا الأمر شيء؟ وأني كنت سألته عن العمة وبنت الأخ، فإن في نفسي منها حاجة. رواه هكذا، وأطول من هذا ابن وهب، عن الليث بن سعد، عن صالح بن كيسان، أخرجه كذلك ابن عائذ[١٢].

ومدرسة الخلافة تعرف كل المعرفة و تعي كل الوعي أفضال علي (ع) في الدفاع عن الإسلام وفي حكمته اللامتناهية وفي نكران نفسه وذاته من أجل إنتشار العدل والإنصاف في الأمة الإسلامية الشيء الذي يجعله وبدون أي منازع لتولي شؤون المسلمين بعد النبي (ص).

الولاية

ما هو مفهوم الولي في الإسلام

عرف ابن تيمية الولي بأنه سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد. قال أعز من قائل: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (١٠:٦٢). ويقول الشوكاني في تفسيره بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته وإجتناب معصيته و في تفسير إبن كثير يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا.

الكل يشهد أنه لم يعرف التاريخ رجلا غير الأنبياء والرسل أولى بتسمية ولي الله من علي بن أبي طالب (ع). فلماذا يستخسر السلفين والوهابين عليه هذا اللقب، عشت أكثر من نصف عمري في المغرب إذ ترعرع شعب المغرب منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا على مناداة ملكي دولة الأدارسة في المغرب بالمولى إدريس

الأول والمولى إدريس الثاني وتنصيبهم وليا الله علما أنهما حفيدي الإمام علي من الإمام الحسن (ع). كما إعتاد أهل المغرب أيضا بتلقيب كل من هو رجل صالح يتقي الله ورسوله ولي الله وكما يعلم الجميع أن المغرب بلد سياحي يأتي إليه الناس من دول مختلفة وخاصة الدول الإسلامية ولم يتم ولا مرة الإعتراض على هذا اللقب ولكن عندما يسمى الإمام علي بولي الله يستنكر العديد من المسلمين هذا ويسمونه إلحاد وكفر. قد يقال إنما يستنكر أهل السنة ذكر علي ولي الله في آذان الصلاة، أولا عند الشيعة ذكر علي ولي الله في الصلاة مستحب وليس واجبا بل هناك من يذهب بعيدا أن هذه المقولات ليست جزءا من الأذان. ثانيا إذا أحل لعمر بعد وفاة النبي (ص) حذف حي على خير العمل من آذان الصلاة و إضافة الصلاة خير من النوم إلى أذان صلاة الفجر [١٣]. فكيف يحرم على علماء الشيعة إضافة علي ولي الله.

التقية

عند الشيعة التقية لغة: من وقى يقي وقاية بمعنى الحفظ واصطلاحا: بمعنى إبطان الإيمان وإظهار خلافه، وعند التقية كتمان الحق وستر الإعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا (تصحيح الإعتقاد/١١٥). ولا أظن أن أهل السنة يختلفون مع الشيعة عل التقية وقد وردت في نص الكتاب وعمل بها السلف الصالح. قال تعالى:" وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (٤٠:٢٨) وقال أيضا: "

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" (٣:٢٨) وقوله سبحانه وتعالى: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (١٦:١٠٦).

والهدي النبوي في شأن نزول الآية الأخيرة في عمار بن ياسر (رض) معروف لكل مسلم له إلمامة بسيطة في علم الحديث.

إن تشنيع الوهابيين على الشيعة بالنفاق)التقية) ليس لإبعاد الناس عن التشيع بل لصرف النظر عن نفاقهم هم في صحيح البخاري وهاك تقية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قريش: أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عن الأسود بن يزيد، عن

عائشة، قالت: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم، عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: نعم. فقلت: فما لهم لايدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة. قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديثوا عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدار في البيت وأن ألصق بابه في الأرض) [١٤].

أما قول بعض تابعي مدرسة الخلافة على أن التقية لاتجوز لمسلم إلا مع كافر فليتفحصوا الأحاديث الآتية: عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مرفوعا "ليس الكذاب الذي يصلح بين إثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا" رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم، وابي داود والنسائي.

عن أسماء بنت يزيد مرفوعا عن النبي "كل الكذب يكتب على إبن آدم إلا ثلاث خصال، إلا رجل كذب لامرأته ليرضيها، أو رجل كذب في خديعة حرب، أو رجل كذب بين إمرأين مسلمين ليصلح بينهما[١٥].

وقد روي، في الموطأ عن صفوان بن سليم مرسلا "أن رجلا قال: يا رسول الله أكذب لامرأتي؟ فقال "لا خير في الكذب فقال: فأعدها وأقول لها- أي يوعدها دون ان يفي بوعده لها؟ فقال "لا جناح عليك "[١٦]. وعن إسماعيل قال حدثني أخي عن إبن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله (ص) وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم [١٧].

والتقية عند الشيعة ليست أصلا من أصول الدين (المذكورة أعلاه) وإذا كان بعض السلفيين أو الوهابيين يستشهدون بحديث الإمام جعفر الصادق (ع) فيتوجب عليهم أن يفهموا فحوى الحديث لأن التقية المرموز إليها هي التقية لضمان الأمان من الضرر أوالخطر. ولاأدري لماذا أهل السنة يستنكرون التقية على المسلمين الشيعة علما أنهم يحللون الكذبة البيضاء والتي هي مشاعة كثيرا في الوسط السني.

زواج المتعة والزواج العرفي

زواج المتعة

الزواج المؤقت أو زواج المتعة يكون محدداً بمدة معينة لسنة أو شهر مثلاً على مهر معلوم ويشترط فيه العقد على الزوجة مع رضاها، ورضا الأب أو الجد للأب (اذا كانت الزوجة بكراً) ويمكن للبنت البالغة الراشدة أن تدخل في مثل هذا العقد في حالة عدم وجود أبيها أو جدها الأبوي. كما يشترط العدّة على الزوجة ان حصل الدخول،

ويشترط فيه عند الإمامية: (١) لا يجوز للفتاة البكر أن تتزوج زواجاً مؤقتاً بدون رضا أبيها أو جدها. (٢) أن هذا الزواج لابدّ فيه من مدّة محددة تذكر في العقد ومهر معلوم. (٣) إذا أراد الزوج ان يبدّل هذا العقد المؤقت الى عقد دائمي (عادي) فله طريقان: الأول: أن تنتهي المدة المحددة في عقد المتعة ثم بعد ذلك يعقد عليها عقداً دائمياً. الثاني: أن يهب الزوج المدة الباقية للزوجة بقوله وهبتك مابقي من مدة الزواج المؤقت ثم يعقد عليها بعد ذلك عقداً دائمياً (عاديّا). ولا تجب نفقة الزوجة المتمتع بها على زوجها الا اذا اشترطت ذلك في عقد المتعة او في ضمن عقد لازم آخر. كما لا توارث بين الزوجين الا اذا اشترط التوارث لهما او لأحدهما. وإذا ولد طفل من العلاقة فيكون ولداً شرعياً لهما كالطفل الناتج عن الزواج الدائم [١٨].

وهو شرعي بدليل من القرآن والسنة. قال تعالى:"وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" (٤:٢٤).

وكذا الطبري، فنقل عن السدّي: هذه هي المتعة، الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمّى (تفسير الطبري في تفسير الآية)، وعن ابن عبد البرّ في (التمهيد): أجمعوا على أنّ المتعة نكاح لا إشهاد فيه وأنّه نكاح إلى أجل يقع فيه الفرقة بلا طلاق ولا ميراث بينهما فقد روي عن جماعة من كبار الصحابة والتابعين المرجوع إليهم في قراءة القرآن الكريم وأحكامه التصريح بنزول هذه الآية المباركة في المتعة، منهم: عبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي، وقتادة [١٩]. أخرج البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود قال: (كنّا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثمّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثمّ قرأ عبد الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لايحب المعتدين﴾) [٢٠].

قال القرطبي: (لم يختلف العلماء من السلف والخلف أنّ المتعة نكاح إلى أجل، لا ميراث فيه، والفرقة تقع عند انقضاء الأجل من غير طلاق) ثم نقل عن ابن عطية

كيفية هذا النكاح وأحكامه[٢١]

وما زالت متعة النساء سارية المفعول مباحة للمسلمين زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزمن أبي بكر وشطراً من خلافة عمر بن الخطاب حتى قال: ((متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما)) [٢٢].

تحريم عمر بن الخطاب لزواج المتعة

ثبت من خلال هذا الاستعراض المختصر جواز ومشروعية زواج المتعة في الاسلام، ومات النبي (صلى الله عليه وآله) وهي بعد مشرعة غير محرمة، حتى حرّمها عمر في أيام خلافته

وأخرج مسلم في (صحيحه) باب: في المتعة بالحج والعمرة بسنده عن أبي نضرة قال: " كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن زبير ينهى عنها قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقال: على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء وأن القرآن قد نزل منازله فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وابتوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة " [٢٣].

- وفي رواية لأحمد في (مسنده) عن أبي نضرة قال: "قلت لجابر بن عبد الله: إن عبد الله بن زبير ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها قال: على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إن القرآن هو القرآن وإن رسول الله (ص) هو الرسول وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله: إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء" [٢٤]. - وفي رواية للبيهقي في (السنن) عن أبي نضرة عن جابر قال: "قلت: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإن بن العباس يأمر بها قال: على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إن رسول الله (ص) هذا الرسول وإن القرآن هذا القرآن وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما أحداهما: متعة النساء ولا أقدر على الرجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيبته بالحجارة والأخرى: متعة الحج افصلوا حجتكم من عمرتكم فإنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم" [٢٥]. - وأخرج مالك في

(الموطأ) عن عروة بن الزبير "أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت: إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة فحملت منه فخرج عمر بن الخطاب فزعا يجر رداءه فقال: هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيها لرجمت" [٢٦].

الزواج العُرفي نوعان:

أ - باطل؛ وهو أن يكتب الرجل بينه وبين المرأة ورقة يُقر فيها أنها زوجته، ويقوم اثنان بالشهادة عليها، وتكون من نسختين؛ واحدة للرجل وواحدة للمرأة، ويعطيها شيئًا من المال! وهذا النوع باطل؛ لأنه يفتقد للولي، ولقيامه على السرية وعدم الإعلان.

ب - شرعي؛ وهو أن يكون كالزواج العادي؛ لكنه لايُقيد رسميًا عند الجهات المختصة! وبعض العلماء يُحرمه بسبب عدم تقييده عند الجهات المختصة؛ لما يترتب عليه من مشاكل لاتخفى بسبب ذلك.

و الزواج العرفي يشابه لحد ما زواج المتعة وهو منتشر في المجتمعات الإسلامية خصوصا بين الفنانين والممثلين ولا أحد يطلق عليه إسم زنا رغم أنه لايشترط الولي ولا يحمي حق الولد المترتب عن تلك العلاقة مثلما في زواج المتعة. وهناك العديد من القضايا في المحاكم بسب الزواج العرفي حيث يتعذر على السلطات إلحاق الطفل بالأب ما دام الأخير ناكرا لأبوته.

مجالات الإختلاف بين المدرستين

ذكرى عاشوراء

عاشوراء هو اليوم العاشر من محرم والذي يصادف يوم إستشهاد الإمام الحسين سبط رسول الله (ص) وأحد سيدي شباب أهل الجنة (ع). هذا اليوم الذي بلغت فيه الأمة الإسلامية تفرقة صارخة وتشتت الرأي ووصلت العديد من المجتمعات الإسلامية الحضيض في جهلها للدين وللتاريخ. فإذا كان الشيعة يلطمون ويجعلونه يوم حزن لواقعة الطف المروعة، فللأسف الشديد العديد من الدول السنية تتخذ منه يوم فرح ويوم عيد للأطفال حيث تشترى لهم الألعاب وتدق الطبول وتغني النساء. والذي يزيد في الطين بلة هو تعليلهم لهذا الإحتفال بكونه ذكرى نجاة الله للنبي موسى (ع) وبني إسرائيل من آل فرعون عند عبورهم البحر الأحمر. إذا كان اليهود يحتفلون به حسب التقويم العبري والذي يكون في أوائل الربيع بين نهاية مارس وبداية أبريل فكيف يعقل أن يكون ثابتا بالهجري ويأتي كل سنة في محرم. وحتى إذا إفترضنا إنه فعلا كذلك أو ليس من باب الأولى أن فاجعة عظمى كقتل

إبن بنت رسول الله (ص) وقطع رأسه ووضعه على الرمح وسبي نسائه وبناته قد ينسي أي فرح في ذلك اليوم خصوصا أنه حصل بعد حادثة العبور بقرون عديدة؟ أو ليس في هذه الدول الإسلامية علماء دين على دراية بتاريخ المسلمين؟ أو لم يقرأوا قوله تعالى: "ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ" (٤٢:٢٣)؟ والعجب كل العجب أن الفضائيات تلوم المسلمين الشيعة على اللطم في هذا اليوم ولا تلوم الآخرين على فرحهم وإحتفالهم الشيء الذي يجعلنا نضع علامات إستفهام كبيرة حول أي دين يعتنق وأي نبي يتبع.

إطاعة أولي الأمر

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" (٤:٥٩). إختلف أهل السنة في تفسير من هم أولي الأمر في هذه الأية فالجيلاني يعتبرهم الولاة إذا أمروا بطاعة الله، أما الطبري فيقول: (الَّذِينَ أَمَرَ بِطَاعَتِهِمْ تَعَالَى ذِكْره مِنْ ذَوِي أَمْرنَا هُمْ الْأَئِمَّة وَمَنْ وَلَّاهُ الْمُسْلِمُونَ دُون غَيْرهمْ مِنْ النَّاس، وَإِنْ كَانَ فَرْضًا الْقَبُول مِنْ كُلّ مَنْ أَمَرَ بِتَرْكِ مَعْصِيَة اللَّه، وَدَعَا إِلَى طَاعَة اللَّه، وَأَنَّهُ لَا طَاعَة تَجِب لِأَحَدٍ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى فِيمَا لَمْ تَقُمْ حُجَّة وُجُوبه إِلَّا لِلْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَلْزَمَ اللَّه عِبَاده طَاعَتهمْ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ رَعِيَّتهمْ مِمَّا هُوَ مَصْلَحَة لِعَامَّةِ الرَّعِيَّة، فَإِنَّ عَلَى مَنْ أَمَرُوهُ بِذَلِكَ طَاعَتهمْ، وَكَذَلِكَ فِي كُلّ مَا لَمْ يَكُنْ لِلهِ مَعْصِيَة). أما القرطبي فيرجح تفسير أولي الأمر للأمراء والولاة على أهل العلم والفقه والدين. وهكذا نجد أن علماء أهل السنة يعتبرون أن طاعة الأمراء والسلاطين والحكام هي من طاعة الله ورسوله رغم وضوح الآية الكريمة ورغم أن العديد من الصحابة كمجاهد وإبن عباس وعطاء بن السائب وأبي العَالِيَة اعتبروا أولي الأمر هم أهل الفقه. وقد غالوا أهل السنة في طاعتهم لأولي الأمر فتعاموا عن جورهم وظلمهم وأزاحت خشيتهم خشية الله من قلوب علماء الدين والفقه وإبتعدوا عن الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصالح إرضاء السلاطين فإبتعد الناس عن الدين الحق وإتبعوا الشهوات وإستحلوا ما محرم الله. ولأكبر دليل على هذا ما نراه اليوم في العديد من البلدان الإسلامية حيث إنتشار الدعارة وحانات لشرب الخمر والعري وأهل اللواط ولقد أصبحت دولا مسلمة بلا إسلام.

أما أولي الأمر عند الشيعة فهم كل من اتصف بورع الله وطاعة رسوله وإبتعد عن هوى نفسه وإتقى الله في دينه ودنياه. والشيعة يعززون هذا بلفظ "منكم" في الآية الكريمة أي من ينطبق عليه ولي الأمر يجب أن يكون من المؤمنين وكما

نعرف الإيمان درجات فعندنا منافق، مشرك، مسلم، مؤمن، متقي، وموقن (الدكتور أحمد الهاشمي، بحوث خاصة في العقائد). أي أن ولاية الأمر لاينالها إلا من كان مؤمنا حقاً. فلا تصح ولاية المنافق ولا المشرك بالله لأنه قد إقترف ظلماً عظيما بحق نفسه، كما أرشد لقمان إبنه في القرآن. وهكذا إشترط الله على إبراهيم عندما جعله للناس إماما، وأراد الأخير أن تنحصر الإمامة في ذريته، فقال عز من قائل: "لاينال عهدي الظالمين." وهناك من الشيعة من يذهب لإعطاء سمة أولي الأمر المقصودة في الآية إلى الأئمة من أهل البيت (ع) وعلى رأسهم علي والحسن والحسين (ع). فالشيعة لا يؤمنون بطاعة الحاكم المستهتر الجاهل بدينه إطاعة عمياء رغم ظلمه وجوره. وقد روى البخاري عن علي بن أبي طالب (ع): (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعَث جَيشًا، وأمَّر عليهم رجلًا، فأوقَد نارًا، وقال: ادخُلوها، فأرادوا أن يَدخُلوها، وقال آخرونَ: إنما فرَرْنا منها، فذكَروا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال للذين أرادوا أن يَدخُلوها: (لو دخَلوها لم يَزالوا فيها إلى يومِ القيامةِ). وقال للآخَرينَ: (لا طاعةَ في المعصيةِ، إنما الطاعةُ في المعروفِ) [٢٧].

رواة الأحاديث

أجرى المرحوم العلامه شرف الدين العاملي إحصاءاً لأحاديث النبي (ص) فوجد أن أبا هريرة قد فاز بقصب السبق بين الرواة وروى ٧٨ بالمئة من مجموع الأحاديث، علما بأنه لم يعاصر رسول الله (ص) سوى سنتين وبضعة أشهر. وما يسمى بكتب الصحاح يكاد ينعدم فيها أحاديث الأصحاب الذين كانوا ملازمين لعلي بن أبي طالب كأبي ذر وسلمان والمقداد وعمار بن ياسر وخزيمة وحذيفة وغيرهم وكذلك قلة الأحاديث المروية عن سبطي الرسول وأبناه وبضعته الزهراء البتول وهم أهل البيت وأهل البيت أدرى بالذي فيه. ولم يروى عن الإمام جعفر الصادق (ع) في سنن الترمذي إلا واحدا أو إثنان علما بأن أبا حنيفة النعمان ومالك إثنان من الأئمة الأربعة عند السنة تتلمذا على يد الصادق (ع). وما يحزن القلب معرفة أن العديد من أحاديث كتب الصحاح أخذت عن خالد بن سلمة المخزومي الملقب بالفأفأ وهو ناصبي من الدرجة الأولى حيث عرف عنه أنه كان يبغض عليا (ع) و كان يجمع الأشعار التي هجى بها النبي (ص) وينشدها في بلاط هشام بن الملك حيث نقل عنه مسلم في صحيحه ونقل عنه ضمنيا البخاري في صحيحه والترمذي في سننه [٢٨].

الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي أحد النواصب من مبغضي آل محمد (٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ) قال في كتابه (العواصم في القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي) في الحسين (ع): وطلب الإبتداء في الإنتهاء، والإستقامة

في الإعوجاج، ونضارة الشبيبة في هشيم المشيخة و قال في قتله الحسين (ع) وقال ما مضمونه: أنه قُتل بسيف جده[٢٩].

ومن مجازفات إبن العربي أنه أفتى بقتل رجل عاب لبس الأحمر لأنه عاب لبسة لبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل بفتياه كما ذكره في المطامح وهذا تهور غريب لإقدامه على سفك دماء المسلمين [٣٠].

وتمر السنين ويأتي شيخ الإسلام بن تيمية (٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ) وقد كان بن تيمية يبغض عليا (ع) وينتقصه بطريقة دبلوماسية في حين كان يضخم معاوية كثيرا [٣١] وقد جاء في الدرر الكامنة لإبن حجر فقد جاء فيها أن إبن تيمية خطأ أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في سبعة عشر موضعا خالف نص الكتاب، وإن العلماء نسبوه إلى النفاق لقوله هذا في علي كرم الله وجهه [٣٢].

وكان بن تيمية يحكم على المبتدعة (كل واحد إجتهد وأخطأ في إجتهاده) بأن يعادون ويعذبون ويقتلون وإن لم يتمكن قتله يشهر به ويحرم من الزكاة والفيء ولا غيبة له والحبس والقتل إن أمكن حتى يتوب. إستنادا إلى (سلفه الصالح كما قال) خالد بن عبد الله القسري وهو أحد ولاة الأمويين لقتله الجعد بن درهم بعد خطبته في الناس يوم الأضحى بالبصرة. وقد كان خالد بن عبد الله القسري رجلا ينعته أصحابه أو ينعت نفسه "الإمام الفقيه المحدث، والحجة الثقة المحقق العلامة الكبير". و خالداً لما ذبح الجعد سماه تضحية لأنه إراقة دم يوم الأضحى تقرباً إلى الله تعالى، فشبهه بالأضحية المشروعة [٣٣] وقد شكر علماء المسلمين هذا العمل وأثنوا عليه، وعلى رأس أولئك الحسن البصري.وقال الدارمي: (وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري، فذبحه ذبحاً بواسط يوم الأضحى، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين، ولا يعيبه به عائب، ولا يطعن عليه طاعن، بل استحسنوا ذلك من فعله، وصوبوه من رأيه). وقال بن القيم الجوزية شيخ الإسلام (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ) وهو أحد تلامذة بن تيمية:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالدُ الـ --- ـقسري يوم ذبائح القربان إذ قال إبراهيم ليس خليله --- كلا ولا موسى الكليم الدانيشكر الضحية كلُ صاحب سنة --- لله دَرك من أخي قربان

وبعد حوالي أربعة قرون من الزمان يأتي محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ) ويعتبر من الخوارج وقد عرف بتكفيره الأمة، وحرق الكتب الكثيرة، وقتل كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم، وإستباحة دمائهم وأموالهم، وإظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى، وعقده الدروس لذلك وتنقيصه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم، وأمر في الإحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلاً لقضاء الحاجة، ومنع الناس من قراءة

دلائل الخيرات ومن الرواتب والأذكار، ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنائر بعد الأذان وقتل من فعل ذلك، وكان يعرض لبعض الغوغاء الطعام بدعواه النبوّة، ويُفهمهم ذلك من فحوى كلامه، ومنع الدعاء بعد الصلاة، وكان يقسّم الزكاة على هواه، وكان يعتقد أن الإسلام منحصر فيه وفي من تبعه، وأن الخلق كلهم مشركون، وكان يصرّح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء. قال النبي (ص) (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وفِي يَمَنِنَا. قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وفِي يَمَنِنَا. قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ: هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) [٣٤ -٣٥]. قال السيد علوي في في كتابه الذي ألفه في الرد على إبن عبد الوهاب "جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام: إن الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شيء كثير، ويكفيك أن أغلب الخوارج وأكثرهم منهم، وأن الطاغية إبن عبد الوهاب منهم، وأن رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز بن محمد بن سعود بن وائل منهم [٣٦]. فتبنى الأخير أفكار إبن عبد الوهاب الضالة والتكفيرية وأصبح له حليفا سياسيا لإرساء قواعد حكومة ملكية في نجد والحجاز من شبه الجزيرة العربية.

أخرج ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٨١) والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤٩٥/١

وأبو نعيم في المعرفة رقم ١٧٤٧ وأبو يعلى في المسند برقم ٨٠٠٧ كما إتحاف الخيرة المهرة

عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ

القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه وكان ردئا للإسلام غيّره إلى ما شاء الله فإنسلخ منه

ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك) قال: قلت: يا نبي الله أيهما

أولى بالشرك المرمي أم الرامي؟ قال: (بل الرامي). وأخرج الحاكم في المستدرك وأبو داود

في سننه الضياء في المختارة عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «سيكون في أمتي إختلاف وفرقة، وسيجيء قوم يعجبونكم، وتعجبهم أنفسهم، الذين يقتلونهم أولى بالله منهم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، ويدعون إلى الله، وليسوا من الله في شيء، فإذا لقيتموهم فأنيموهم» قالوا: يا رسول الله، إنعتهم لنا.

قال: «آيتهم الحلق والتسبيت » يعني استئصال التقصير. قال: والتسبيت استئصال الشعر [٣٦].

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن الوهابية إتخذت مشايخ لها في الدين الإسلامي أناس عشقوا سفك الدماء وتغالوا في تكفير المسلمين غير معتبرين للكتاب والسنة متخذين منهاج كره أهل البيت والتقليص من أفضالهم. ويجب على القارئ أن يتساءل لماذا كل هذا الضغينة والتحامل على الشيعة ورشقهم بالأكاذيب والكفر؟ لماذا التركيز على هذه الفئة دون غيرها رغم وجود الأشاعرة والإباضية والصوفية والمعتزلة وغيرهم؟ لماذا تدخل الوهابيون لإخماد الربيع العربي في البحرين بإرسالهم ما يسمى بدرع الجزيرة وإسناده في مصر وليبيا وتونس؟ الجواب على هذا السؤال الأخير لأن الشيعة في البحرين وليس هناك شيعة في الدول الأخرى وثورة تابعي أهل البيت يعتبر خطرا على الوهابيين الخوارج. وإلا لماذا ارسل القاعدة للإطاحة بالنظام السوري لا لذنب غير أنه موال لإيران ولحزب الله الموالين لأهل البيت(ع). لقد مولوا إرهابيي القاعدة للقيام بتخريب سوريا وحضارتها حيث نتج داعش (أصحاب الرايات السود) الذين قتلوا الرجال ورملوا النساء ويتموا الأطفال كل هذا تحت شعار لا إله إلى الله محمد رسول الله. وأي عار لحق بالمسلمين عندما تغاضوا عن دينهم وإتحدوا مع الأمريكان والعدو الصهيوني للقيام بعاصفة الحزم لإسرجاع الشرعية للرئيس اليمني. أو لم يكن من باب الأولى البدء بمثل هذه العاصفة أو حتى بهبة ريح صغيرة لإسترجاع فلسطين من الصهاينة المغتصبين؟ بالطبع في نظرهم أتباع أهل البيت (الحوثيين) في اليمن أشد خطورة وعداء لهم من الصهاينة. وها هي اليمن الآن تعيش تحت القصف وأهلها يخرجون من ديارهم خوفا على أنفسهم. والعجب قبول الإنقلاب شرعية الرئيس محمد مرسي في مصر وشرعية زين العابدين بن علي في تونس.

الخاتمة

عزيزي القارئ، حسب ما نعيشه الآن من فتن وحروب وعندما نرى راية اليماني، وراية السفياني المتمثلة في القاعدة وداعش فإننا ندرك كل الإدراك بأننا في عصر ظهور الإمام المهدي (عج). وكما ذكر سابقا فإن السنة والشيعة متقاربتان من حيث العقائد وإن إختلفت المسميات والمفاهيم وزيادة على هذا فإن المدرستين تؤمنان إيمانا قاطعا بظهور الإمام (عج). ومن عادات المسلمين إستقبال عزيز لديهم طال غيابه عن

أنظارهم بدون شجار وخصام خصوصا إذا كان القادم منقذهم. لذا أضحى من الواجب على الطرفين الجلوس على طاولة واحدة وإيجاد طريقة مثلى للوصول إلى نقطة وسطية ترضي كلا الطرفين من حيث الأحكام والواجبات. والإبتعاد عن المتطرفين الخوارج لنشر السلام والإلتفاف حول كلمة التوحيد ووحدة الكلمة. فيد الله مع الجماعة الحقة، والله ولي الذين آمنوا به حقا. أما الذين إتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون المؤمنين، فأمرهم سيتبين حينما يحكم بقية الله ووليه الأعظم الأرض ومن عليها. كما يجب تنقية الأحاديث من الإسرائيليات وعرضها على القرآن الكريم فإن تطابقت مع القرآن الكريم أخذ بها وإن خالفت القرآن لا يؤخذ بها.

رواة الأحاديث عند الشيعة من أتباع الأئمة الهداة المهديين من عترة النبي (ص) الذين أوجب الله طاعتهم. وهؤلاء الأئمة لهم مقام تكويني بحكم طهارتهم بنص الكتاب وآخر تشريعي لتصريف أمور العباد. وما أحاديث المهدي المتفق عليها بين المسلمين جميعهم والتي طرحتها هذه الكاتبه في هذا المؤتمر قبل ست سنوات إلا إعدادا للمسلمين لإطاعة الإمام المنتظر (عج) المفروضة طاعته من الله. ولا يمكن لأحد أن يشكك أو يستنقص في فقهم أو علمهم أو هيمنتهم على التفسير والتأويل. فمع مرور القرون ورغم محاولة المارقين اللاهثين على السلطة والنفوذ من الحكام والسلاطين في القضاء على عترة رسول الله (ص) والحد من نشر الدين الحق إلا أن الله سبحانه وتعالى يأبى ذلك، ولحفظ الله عز وجل لهذا الفقه لدليل قاطع على أن إصلاح الأمة الإسلامية وجمع شتاتها سيكون نهاية على يد الإمام المهدي سليل العترة الطيبة الطاهرة والذي سيصلي خلفه السيد المسيح بن مريم الطاهرة.

شكر و تقدير

أتقدم بجزيل الشكرللدكتور أحمد الهاشمي الذي شجعني كثيرا على الكتابة ونقح هذه المقالة.

المصادر

- كمال الحيدري: معنى قولنا الإمامة أصل من أصول الدين[1]
- https://www.youtube.com/watch?v=JEZFs082F3g
- [٢]] صحيح مسلم (٢٦١ هـ) الجزء٧ صفحة١١٩

- http://www.alukah.net/sharia/0/65470/#ixzz3Ynrzhzsk [٣]
- [٤] النسائي : الخصائص - ص ٣٩ - ٤٠ - ٤١
- [٥] على ماأخرجه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة كما روى ذلك ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠، طبعة مصر راجع كتاب الفصول المهمة في تأليف الأمة، للسيد شرف الدين : ١٠٥
- [٦] صحيح البخاري ١ : ٣٧
- [٧] صحيح البخاري ٥ : ١٣٧.
- [٨] الحافظ الفتح (٧/٧٤٠)
- [٩] دلائل النبوة كما نقله عنه النووي في شرح مسلم (١١/١٣٢) والإمام القرطبي كما نقله ابن حجر في الفتح (١/٢٥٢).
- [١٠] (٤٣) صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٢، ص ١٤٤ ـ ١٤٨؛ ومسند الإمام أحمد، ج١. ص٥٥ ـ ٥٧؛ وتاريخ الطبري، ج١، ص ١٨٢ ـ ١٨٤؛ المصنّف لعبد الرزاق، ج٥، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٥.. الخ، نقلاً عن د. رضوان السيّد: الأمّة والجماعة والسلطة (ط٢: دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٦)، ص ٧٨ ـ ٧٩.
- [١١] تاريخ الطبري، ج٢، ص ٣٥٣، والإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج١، ص ١٩
- http://hadith.al-islam.com/services.aspx?pageid=303&IndexItemID=6897 [١٢]
- https://www.youtube.com/watch?v=_YrUfDmliOg [١٣]
- [١٣] موطأ مالك في الرواية بالسلسلة الذهبية الشيخ طارق المصري: موقف عمر من حي على خير العمل في الصلاة
- [١٤] صحيح البخاري ٢ : ١٩٠ / ١٥٨٤ كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ط ١، دار الفكر / ١٤١١ هـ و ٢ : ١٧٩ - ١٨٠، ط دار التراث العربي، وأعاد روايتها في الجزء التاسع ص ١٠٦ باب ما يجوز من اللو، من كتاب الأحكام
- [١٥] رواه أحمد والترمذي
- [١٦] راجع احياء علوم الدين ١٣٧/٣
- [١٧] صحيح البخاري - العلم - حفظ العلم - رقم الحديث : (١١٧)
- http://www.sistani.org/arabic/qa/0501/ [١٨]
- [١٩]. (أنظر تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والكشّاف، والدرّ المنثور في تفسير الآية، وأحكام القرآن للجصّاص ١٤٧/٢، وسنن البيهقي ٧/ ٢٠٥، وشرح مسلم للنووي ١٢٧/٦، والمغني لابن قدامة ٥٧١/٧).
- [٢٠] (صحيح البخاري في كتاب النكاح، وفي تفسير سورة المائدة، وصحيح مسلم كتاب النكاح، ومسند أحمد ٤٢٠/١).
- [٢١] (تفسير القرطبي ١٣٢/٥)
- [٢٢] وقد أورد مقالته هذه جمهرة من الكتاب والحفاظ في كتبهم. (أنظر تفسير الرازي ١٦٧/٢، شرح معاني الآثار ٣٧٤، سنن االبيهقي ٢٠٦/٧ بداية المجتهد ٣٤٦/١، المحلّى ١٠٧/٧، الدرّ المنثور ١٤١/٢ وفيّات الاعيان ١٩٧/٥)

- [٢٣] (صحيح مسلم : ج ٨ ص ١٨٦).
- [٢٤] مسند أحمد : ج ١ ص ٥٢
- [٢٥] سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٦
- [٢٦] الموطأ ص ٤٤٨ وسنن البيهقي : ج ٧ ص ٢٠٦
- [٢٧].صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٢٥٧ خلاصة حكم المحدث: [صحيح].
- [٢٨] (ابن حجر: تهذيب التهذيب - ٠٣vol ج٢ ص٦٣).
- [٢٩] القاضي أ بي بكر بن العربي العواصم في القواسم ص ١٧٣
- [٣٠] الجامع الصغير للسيوطي ج: ١ ص: ٣٦٥ح.٦٩٤
- [٣١] ابن تيمية كتاب منهاج السنة ج ٢ ص ٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤
- [٣٢] ابن حجر، الدرر الكامنة ١ : ١١٤
- [٣٣] التنكيل، ٢٥٥/١-٢٥٦
- [٣٤] البخاري (١٠٣٧)
- [٣٥] مسلم (٢٩٠٥)
- [٣٦] السيد أحمد بني زيني دحلان الدرر السنية في الرد على الوهابية ص ٣٥-٣٦

المهدي المنتظر والصراع الحضاري

الدكتور أحمد راسم النفيس

في النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي برز مصطلح صراع الحضارات مشيرا للاشتباك القائم بين (الحضارات) المتنوعة من خلال خطوط للتقسيم ومن ضمنها قطعا (الحضارة الإسلامية).

لا شك أن أحد أبرز إشكاليات الحديث عن (الحضارة) سواء تعلق الأمر بصراع دائر أو بحوار محتمل هو تعريف وتحديد معنى الكلمة وهل هي فعلا حضارة؟!، وإذا قبلنا أنها حضارة فهل يمكن نسبة تلك الحضارة لأحد الأديان؟!.

التعريف لا بد أن يكون في البدء محايدا قبل وصفه أو تخصيصه في مرحلة تالية كأن يقال هذه (سيارة) ثم يقال بعد ذلك أنها ألمانية أو أمريكية الصنع.

كي يقال: حضارة إسلامية او مسيحية أو كونفوشيوسية فالأمر يحتاج منا أولا للقبول بتعريفها كحضارة وثانيا بنسبتها لهذا الدين أو لتلك الثقافة وهو سؤال لا يقتصر على ما يراه البعض حضارة إسلامية حيث هناك الآن في الساحة عدة تيارات كلهم يدعي الانتماء للإسلام بالحق أو بالباطل، والأمر ذاته ينطبق على ما يوصف بالحضارة المسيحية حيث هنالك تياران أساسيان هما المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية، حيث لا يمكن لأي باحث أن يسلم أن الغرب هو الممثل الحقيقي (لحضارة مسيحية).

لا نرغب في الدخول في متاهة تعريف الحضارة ولا بأس أن نمر على (عالم التعريفات) مرورا سريعا حيث يقول بروس مازليش في كتابه عن (تعريف الضحارة):

قبل استخدام الإسم المجرد (حضارة) بذل اليونانيون والرومان وأوربيو العصور الوسطى جهدا لتمييز أنفسهم عن الهمجيين (barabarians) بصفات تشير إلى الكياسة (civility) وإلى المراعاة الأدبية (cultivation). ٢٢

لم يظهر مفهوم الحضارة مقابل كون الفرد متحضرا أو همجيا إلا أواخر القرن

الثـــــــــــــــــــــــــــــــــامن عشر. ٢٣.

في عام ١٧٤٣ تحدث ميرابو عن الحضارة باعتبارها (مصطلحا قانونيا) يشير إلى مجتمع ما حيث يحل المجتمع المدني محل المجتمع العسكري، وفي غضون عقد أو يزيد اكتسح معنى الحضارة أوروبا وأصبح مألوفا في الفكر التنويري، هذا التفكير الذي أسقط الدين بشكل متزايد ليصبح معلمنا (مؤلها للعقل) كما شكل جزءا من فكرة التقدم. ٢٤

لماذا انتظر مفهوم الحضارة المجسد حتى عام ١٧٥٦ ليظهر؟.

تجلت جذور المفهوم مع بدء التوسع الأوروبي في القرن الخامس عشر واللقاء مع بدائيي العالم الجديد وشعوب جزر المحيط الهادي مما أدى لطرح سؤال: كيف نشأ الإنسان المتحضر ومن ثم تعريف الحضارة التي تحدد المرحلة الأخيرة من تطور البشر من الهمجية والتوحش الأصليين.

عامل آخر في تطور مفهوم الحضارة وهو (التهديد التركي) وهو عام ١٤٣٥ عندما سقطت القسطنطينية بيد الأتراك العثمانيين. ٢٥

ويرى ستيفان غيغر في كتابه (أصول اللطف) أن ظهور الأخلاق سبق عصر النهضة وحدث في الواقع بين العامين ٩٣٩ و١٢١٠ ميلادية كما حدث نتيجة التعليم الذي كان ضروريا بالنسبة لمواقع الدولة الإدارية والكنسية، وضمن هذا التدريب وجد المفكرون والأدباء والفنانون طريقة لكبح عنف الحكام المحاربين، ولخص غيغر نفسه ذلك قائلا: عندما يُعلِم مجتمع ما أفراده جيدا لدرجة تكون كل المجموعات فيه قادرة على التنازل عن العنف، آنذاك يمكن الحديث عن الحضارة وليس فقط عن المجتمع. ٢٧.

يرتبط مفهوم الحضارة أيضا بشكل متأصل بمفهوم الحداثة وما يستلزمه هذا المصطلح وأن النقاش الذي نشأ وقتها بخصوص الثقافة والحضارة كان في جزء كبير منه نقاشا حول مزايا الحداثة وهو ما شكل عودة إلى المعركة القديمة بين القدامى والمحدثين.

يقول كانط: عندما تبلغ ثقافتنا درجة عالية من الفن والعلوم فإننا نتحضر لدرجة نكون فيها مثقلين بكل أنواع اللياقة الاجتماعية والعفة. وأن فكرة الفضيلة تعد جزءا من الثقافة. ٢٩

أما صامويل هنتجتون فيعرف الحضارة في كتاب (صراع الحضارات) قائلا: الحضارة هي الكيان الثقافي الأكثر اتساعا وتعرف بعناصر موضوعية مشتركة مثل اللغة والدين والعادات والمؤسسات والتماثل الذاتي بين الناس وتمثل الحضارة الأنا الكبرى التي نشعر داخلها وكأننا متميزين ثقافيا عن كل من يمثل الآخر.

التعريف الأحدث وهو الأفضل من وجهة نظر بروس مازليتش جاء من دارس إيراني يعتقد أن الحضارات الكبرى تحتوي على قسمين منفصلين الأول يتمثل في رؤية عالمية واضحة يمكن أن تكون عبارة عن مجموعة من الأنظمة الثقافية أو الأيديولوجية أو دين من الأديان في أغلب الأحوال، والقسم الثاني فيمثل نظاما سياسيا وعسكريا واقتصاديا متناسقا عادة يجسد باعتباره أمبراطورية أو نظاما تاريخيا وأدعو حضارة بتلك الصلة بين رؤية عالمية ونظام تاريخي. ٣٢.

أما من وجهة نظرنا فالحضارة مُنْتَج إنساني أي لا بد له من صانع بشري وهي كيان مركب من عدة عناصر أهمها نظام سياسي يسعى لهذا التأسيس، ومكلف حصريا بإعداد وتوفير المواد الأولية اللازمة لتحقيق هذا الهدف وعلى رأسها العقول البشرية القادرة على التعامل مع العلوم بشتى صنوفها وتسخيرها لخدمة الأهداف الأخلاقية والنبيلة، لا من أجل تعميم الشر والموت والدمار أو لاستعباد الآخرين ونهب ثرواتهم، ولا يفوتنا عنصر المال والثروة الذي يمكن من دمج هذه العناصر وتحقيق التفاعل المطلوب بينها تماما كما يستخدم التسخين لإنجاز تفاعل كيماوي معين يقدم للصانع المنتج المطلوب، وهناك العنصر الأخلاقي الذي يمنح الحضارة صفة الحضارة ويخرجها من إطار الجاهلية الهمجية، كما أن امتلاك القوة بشتى صنوفها يعد عنصرا أساسيا يمنحها القوة والمنعة في مواجهة أعداء الداخل والخارج على حد سواء.

أخيرا فإن الحضارة لا تستحق هذا الوصف إلا إذا تميزت بالجمال والكمال سواء تجلى هذا في فنون ترقى بالنفس الإنسانية أو في تنظيم تكاملي للمجتمع في نواحيه المختلفة بعيدا عن القبح والقذارة التي هي الآن جزء من المشهد العشوائي الذي يميز الكثير من المجتمعات المسماة بالإسلامية.

وحسب علي شريعتي في كتاب (العودة إلى الذات)

الحضارة هي مرحلة سامية من النضج الثقافي والمعنوي في المجتمع وتربية الروح الفردية الإنسانية وتهذيبها والتسامي بها ومن أجل تحويل نصف بدائي إلى متحضر فهذا يحتاج إلى أيديولوجية وخطط ومشروعات وعمل وتضحية وتحمل وألم وصبر ورياضة وتغيير في الأصول والمبادئ الاجتماعية وثورة فكرية وعقائدية وتغيير للقيم والمبادئ والوصول إلى رؤية كونية منفتحة أو بكلمة واحدة: ثورة أيديولوجية. ص ١٨٦.

الحضارة لا توجد في الاستهلاك والمظهر والكماليات بل توجد في الرؤية والفكر وعمق الإحساس والعلاقات الإنسانية والأخلاقية ومنظومة القيم وقوة الثقافة وغناها والدين والفن والاستعداد للخلق والتحليل والاختبار والقياس.

لا تحتاج العصرية إلا إلى التقليد ولكن الحضارة على عكسها تماما فهي نوع من الفوران الداخلي والتحرر من التقليد والوصول إلى حدود الخلاقية والتمييز المستقل.

التحضر ثورة في الفكر ووعي وتمييز ورؤية كونية وتحليل للحياة والمجتمع والدنيا وتقييمها وتتضح من السلوك الاجتماعي والتكتل السياسي والحياة الفردية في المجتمع. ص ١٨٧.

الحضارة تعني حراثة الأرض وتسميدها ومدها بالمياه ثم بذر البذور ورعايتها وتطعيم النبات ومقاومة الآفات ثم يأتي النمو وهو ما لا يمكن له أن يحدث بين يوم وليلة بل يحتاج إلى كدح وعمل متواصل وصبر وإرادة وذكاء واستعداد أما الحضارة الاستهلاكية فهي ليست حضارة بل سوق لا أكثر.

إن ما يجعل الأرض في رأيي صالحة للإنبات هو الأيديولوجية، رؤية كونية متحركة وأهداف مشتركة أو ما يعبر عنه بكلمة واحدة بالإيمان وهو ما يوجد حركة وقدر ووسائل ووحدة في المجتمع ثقافة الهند الروحية العميقة والمسيحية والحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية الحديثة كل واحدة منها كانت وليدة حركة فكرية وقومية ودينية. ١٨٩

لقد ظن البعض أن الفلسفة والثقافة والعلوم والتقنية هي التي تصنع الحضارة وهذه غفلة ذهنية عجيبة لأنهم وضعوا المعلول مكان العلة وكل هذه الأمور هي النتيجة الحتمية للحضارة الحقيقية. ص ١٩٠.

من وجهة نظرنا ليست كل الحضارات سواء خاصة من ناحية القيمة ولا يمكن أن تكون سواء فالعبرة تتعلق بمنظومة القيم العملية وقواعد السلوك التي تتبناها هذه الحضارة أو تلك خاصة في علاقاتها الدولية والداخلية وليست تلك المدونة في الدساتير والقوانين.

ما أروع تلك المبادئ المدونة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما أبعد البون بين هذه الوثائق وعالم الواقع وحسبنا ما تعرض له الشعب الفلسطيني من مظالم وما صدر (لصالحه) من قرارات لم تجد طريقها يوما للتنفيذ.

الحضارة الإسلامية

قلنا أن الحضارة هي منتج إنساني مركب وليس وصفة جاهزة يمكن تطبيقها في أرض الواقع بمجرد قراءة (الكتالوج)، والآن يمكننا أن نضيف إلى ما سبق أن المسلمين في الغالب الأعم لم يكن يعنيهم لا المصطلح ولا المضمون، فهم يلهثون خلف قوى الأمر الواقع التي تفرض إرادتها عليهم أولا ثم يحاولون بعد ذلك أن يفلسفوا وينظروا ويقعدوا لهذا الواقع، تارة باسم الفقه والآن باسم الحضارة!!.

كي تستحق حضارة ما وصفها بالإسلامية فلا بد أن يكون المحتوى الفكري والأخلاقي والقيمي مستقى من الإسلام.

أي إسلام؟!.

إسلام أهل البيت المبني على قاعدة التلازم بين القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة؟!.

أم ذلك الإسلام الذي قام الأمويون بصياغته أولا في أرض الواقع من خلال أفعالهم التسلطية القبيحة وما حوته من أفعال وأفكار دموية يئن منها المسلمون قبل غيرهم؟!.

الأمر ذاته ينطبق على أتباع الديانة المسيحية الذين خرجوا عن مسارها الأصلي ولم يبق لديهم إلا أقل القليل مما يمكن نسبته للسيد المسيح عليه السلام.

في العالم الإسلامي لم يستفق المفكرون من هيمنة الأمر الواقع إلا مؤخرا وبدأوا في محاولة استلحاق تصوراتهم بمفاهيم الحضارة بدلا من الاكتفاء بالسير وراء دولة السيف والغلبة ومن هؤلاء سيد قطب الذي قال ما نصه في كتابه (معالم في الطريق):

الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات مجتمع إسلامي ومجتمع جاهلي.. والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاما وخلقا وسلوكا، أما المجتمع الجاهلي فهو المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام ولا تحكمه عقيدته وتصوراته وقيمه وموازينه ونظامه وشرائعه.

والمجتمع الجاهلي قد يتمثل في صور شتى كلها جاهلية

قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود الله تعالى ويفسر التاريخ تفسيرا ماديا جدليا ويطبق ما يسميه بالاشتراكية العلمية نظاما وقد يتمثل في مجتمع لا ينكر وجود الله تعالى ولكن يجعل له ملكوت السماوات ويعزله عن ملكوت الأرض فلا يطبق شريعته في نظام الحياة ويبيح للناس أن يعبدوا الله في البيع والكنائس والمساجد ولكنه يحرم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة الله في حياتهم..

والمجتمع الإسلامي بصفته تلك هو وحده المجتمع المتحضر والمجتمعات الجاهلية بكل صورها مجتمعات متخلفة ولا بد من إيضاح هذه الحقيقة الكبيرة.

كنت أعلنت مرة عن كتاب لي تحت الطبع بعنوان "نحو مجتمع إسلامي متحضر" ثم عدت في الإعلان التالي وحذفت كلمة متحضر مكتفيا بأن يكون عنوان البحث "نحو مجتمع إسلامي". معالم في الطريق ١١٦-١١٧

كلمة متحضر هي "لغو"!!!

أما عن سبب اكتفاء سيد قطب بكلمة إسلامي وإسقاطه لكلمة متحضر فيكشف عنه بقوله (عندما فكرت في الكتابة عن هذا الموضوع كانت المشكلة عندي هي "تعريف الحضارة" ولم أكن قد تخلصت بعد من رواسب الثقافة الأجنبية والغربية التي كانت تغبش تصوري وتطمسه.. ثم انجلت الصورة لأرى أن المجتمع المسلم هو المجتمع المتحضر وأن كلمة المتحضر هي لغو لا يضيف شيئا جديدا وعلى العكس فإن هذه الكلمة تنقل إلى حس القارئ تلك الظلال الأجنبية الغربية التي كانت تغبش تصوري وتحرمني الرؤية الواضحة الأصيلة!! والاختلاف إذا هو على تعريف الحضارة) ص١١٨.

معضلات سيد قطب

تبدو المعضلات الفكرية التي يجابهها الإسلاميون ومن ضمنهم قطعا سيد قطب في التعامل مع الفكر والفقه والواقع بلا حل نظرا لاعتمادهم التبسيط المخل في نظرتهم إلى الدين وهي معضلة ناجمة عن رؤيتهم لتاريخ المسلمين.

لن نستفيض هنا في مناقشة سيد قطب، ويكفي أن يعتمد الرجل نظرية (الجيل القرآني الفريد) التي هي امتداد للرؤية القائلة ب(يوتوبيا) ما بعد العصر النبوي على خلاف الواقع لندرك أن ثقافته ومن ثم فكره لا تعدو كونها ثقافة عناوين تخالف كل الحقائق والمضامين.

مضامين الحضارة في القرآن الكريم

بديهي أن كلمة حضارة لم ترد في القرآن الكريم، إلا أن الثابت لدينا أن المفاهيم السالبة للحضارة وتلك المثبتة لها متوافرة في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

نقصد بالمفاهيم السالبة تلك الآيات التي تحدثت عن امتلاك البشر منظومة أو أكثر من تلك العناصر إلا أن خللا أخلاقيا اعترى هذا المجتمع قاده نحو الهلاك بسبب ارتكاب إحدى الخطايا التي تجر الدمار.

يقول تعالى:

(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ). الحج (٤٥).

(كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) الشعراء ١٢٣-١٣٥.

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ *فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) سبأ ١٥-١٨.

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) غافر ٢١.

الآيات السابقة تشير إلى حضارات أتيح لها فرصة الوجود في هذا الكون وكان لأصحابها قدرات غير عادية في البناء مثل عاد قوم هود الذين كانوا ينحتون بيوتهم على ارتفاعات شاهقة في قمم الجبال ويوصلون إليها المياه (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أو مثل أهل اليمن (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية)، الذين أقاموا سد مأرب لحجز مياه المطر وري البساتين والجنان التي كانت تثمر لهم أشهى الزروع والثمار ثم تلاشى كل هذا بسبب إعراضهم عن أمر الله وطاعته ومبارزته بالذنوب والظلم والمعاصي.

كما يشير القرآن الكريم لحضارات أخرى امتلكت عناصر القوة بشكل يفوق من جاءوا بعدهم ولكن أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من عاصم ولا واق.

امتلكت هذه الحضارات عناصر القوة والقدرة على تسخير العلم والمعرفة والسيطرة على الطبيعة وتوفير الرخاء كقوم عاد الذين بنوا ناطحات السحاب وأمدوها بما تحتاجه من وسائل الرفاه وهو ليس بالأمر الجديد في التاريخ الإنساني إلا أن أهم ما افتقدته تلك الحضارات التي غصت الأرض بآثارها الشامخة كان الارتباط والالتزام بالقيم الإلهية وعلى رأسها بالقطع قيمة العدل.

من البديهي أن إثبات وجود هذه الحضارات لا يتوقف على ذكرها في القرآن فهاهي الآثار الفرعونية موجودة في الكثير من مناطق مصر وهاهم برابرة داعش الوهابيين يدمرون آثار العراق الآشورية، أما ما ورد في القرآن فيفسر لنا سبب انهيارها وزوالها من الوجود كي تتجنب البشرية الوقوع في ذات الأخطاء.

وإذا كان بعض المفكرين الذين أشرنا إليهم سابقا يضعون مفهوم الحضارة مقابل الهمجية فنحن نعتقد أن الصواب هو ما قاله القرآن الكريم من وضعها مقابل مفهوم الجاهلية.

(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) الأنفال ١٥٤.

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) المائدة ٥٠.

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) الأحزاب ٣٣.

(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) الأحزاب ٢٦.

ومن الواضح أن المقصود بمصطلح الجاهلية هي تلك الأوضاع التي تختلط فيها التقاليد والأعراف البالية التي لا تستند لقانون أخلاقي سماوي مع العصبيات القبلية الجاهلية التي تعلي شأن العرق أو الطائفة على قواعد السلوك الاجتماعي النابعة من رسالات السماء السامية.

الجاهلية هي المقابل للحضارة وهي أوسع من مجرد الجهل وانعدام المعرفة فالجهل يمكن أن يكون حالة جزئية أما الجاهلية فهي منظومة (متكاملة) من الفساد والحكم بما تهوى الأنفس وغيرها من الأوضاع الشاذة التي عاشتها المجتمعات العربية وغير العربية والتي تناضل من أجل الاستمرار والبقاء حتى الآن.

معارك التدمير الحضاري

المتابع للهجمة الضارية التي تتعرض لها المنطقة الإسلامية والتي تشكل التنظيمات الوهابية رأس حربتها يلاحظ ما يلي.

أن هذه الجماعات التدميرية تركز هجومها على الإرث الحضاري للمنطقة والذي يشكل الجزء الثابت من هذا التاريخ الموجود على الأرض.

الملاحظة التالية: أن هذه الجماعات التدميرية تكمل ما بدأه الآباء المؤسسون لهذا النهج بدءا من عمر ابن الخطاب الذي أمر بإخفاء قبر النبي دانيال والتعمية على ما وجد فيه من مخطوطات والرواية لابن كثير في تفسير قوله تعالى: {فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ} أي: سدوا عليهم باب كهفهم، وذروهم على حالهم {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ. ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد" يحذر ما فعلوا وقد روينا عن عمر بن الخطاب، أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم وغيرها.

استمر هذا النهج التدميري الذي سنه الخليفة الثاني وتجلى بعد ذلك في أوضح صوره في التدمير الشامل الذي قام به يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين الذي أنهى بصورة كاملة وجود العديد من المكتبات في مصر ومن أهمها مكتبة القصر الفاطمي التي حوت ما يربو على مليوني كتاب فضلا عن تدميره لأهرامات الجيزة حيث أزال أكثر من ثمانية عشر هرما واستخدم أحجارها في بناء القلعة المسماة باسمه حتى الآن ناهيك عن قيام الأيوبيين بتسوية أعظم مدينة في العالم كانت تقوم بإنتاج النسيج في الشمال الشرقي لمصر هي مدينة تنيس التي هي الآن مجرد أكوام تقع على الحافة الشمالية الشرقية لبحيرة المنزلة (تنيس) سابقا ثم جاءت الجماعات الطالبانية لتكمل ما بدأه الآباء الهمج البرابرة المؤسسون.

المهدي المنتظر والنهوض الحضاري

من البديهي أن تحقيق العدل الإلهي يرتبط ارتباطا وثيقا بنهضة حضارية وعلمية سابقة ولاحقة على هذا الظهور المبارك وأن العدل لا يمكن أن يتحقق إلا في مجتمعات الوفرة التي تستثمر الثروات الطبيعية المتوفرة في البر والبحر والتي عجز الناس عن استثمارها بسبب الفساد والاستئثار الذي عم البلاد والعباد (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم (٤١).

مقابل هذا الفساد والإفساد البشري الذي أنتج فقرا وتخلفا وظلما واستئثارا وإفقارا للمستضعفين سواء كانوا راضين قانعين بالذل أو مغلوبين على أمرهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) النساء ٩٨، فإن إعادة الأمور لنصابها ورد الولاية لأصحابها وأهلها، أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا كفيل بأن يحيي الله الأرض بعد موتها ويعيد إليها بهاءها ونورها الذي غيب عنها طيلة القرون الماضية.

(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الحديد ١٧.

روي في كمال الدين عن الإمام الحسين عليه السلام: منا إثنا عشر مهديا، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الامام القائم

بالحق، يحيي الله به الارض بعد موتها ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما إن الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن البديهي أن مفهوم الحضارة يساوي مفهوم إحياء الأرض بعد موتها الذي هو مفهوم قرآني تمتزج فيه الإرادة والقدرة الإلهية بسعي الإنسان وجهده الدؤوب لتحقيق الاستفادة القصوى من خيرات الأرض لصالح الإنسانية ولتحقيق العدالة التي هي الركن الركين لتحقيق الأمن والسلام في ربوع الدنيا.

روي في نهج البلاغة وتحف العقول عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

ألا إن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به الانبياء عليهم السلام في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم وأين تذهبون. يا معشر من نجا من أصحاب السفينة هذا مثلها فيكم، كما نجا في هاتيك من نجا فكذلك من ينجو في هذه منكم من ينجو، ويل لمن تخلف عنهم، إنهم لكم كالكهف لاصحاب الكهف، سموهم بأحسن أسمائهم، وبما سموا به في القرآن، هذا عذب فرات سائغ شرابه اشربوا وهذا ملح أجاج فاحذروا، إنهم باب حطة فادخلوا، ألا إن الابرار من عترتي وأطائب أرومتي أعلمالناس صغارا وأعلمهم وأحلمهم كبارا، من علم الله علمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن تدبروا عنا يهلككم الله بأيدينا أو بما شاء، معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تخلف عنها محق، وبنا ينير الله الزمان الكلف، وبنا يدرك الله ترة كل مؤمن، وبنا يفك الله ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا يختم الله لا بكم).

وفيه (.. بنا فتح الله عزوجل وبنا يختم الله وبنا يمحو الله ما يشاء وبنا يدفع الله الزمان الكلب وبنا ينزل الغيث لا يغرنكم بالله الغرور، لو قد قام قائمنا لانزلت السماء قطرها ولاخرجت الارض نباتها وذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على نبات، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه).

الأمة الإسلامية ومعارك التدمير الحضاري

الآن تدور على ساحتنا الإسلامية عدة معارك ربما كان عنوانها الأبرز هو (معارك التدمير الحضاري) وهي خطط ربما استلهمها مخططوها من تلك الحرب الكبرى التي شنها صلاح الدين الأيوبي بالتحالف مع السلاجقة القدامى على مركز الحضارة الإسلامي القائم في مصر قبل قرابة الألف عام.

أدرك الغرب المعادي أن سلاحه الأمضى هو تأجيج نار العداوة المذهبية ونيران

الحقد الطائفي وأن استخدام هذا السلاح يمكنه من حشد آلاف من المقاتلين الذين لا هم لهم إلا تدمير كل ما تطاله أيديهم تحت شعار الانتقام للطائفة بغض النظر عن الدمار الذي سيلحقه هؤلاء بمجموع الأمة وثرواتها وتراثها الحضاري.

نرى بوضوح أصابع الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية تخطط وتدير تلك المعركة القائمة على استنهاض غرائز الحقد والانتقام والتدمير لتبقى أمتنا داخل هذا المستنقع التدميري عاجزة عن مغادرته، مستنقع التدمير الحضاري من أجل القضاء على أي إمكانية لإعادة البناء الحضاري المرتكز على إعمال العقل والتدبر وهي كارثة ليس لها من دون الله كاشفة.

دور علامات الظهور في هندسة الدين

الدكتور نصرت‌الله آيتي[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا يقوم بدين الله إلّا من أحاطه من جميع جوانبه».[2]

يمكن دراسة وتحليل المباني والمفاهيم الدينية من منظارين:

المنظار الأول:دراسة وتحليل المباني والمفاهيم الدينية بشكل مستقل وعلى حدة أما المنظار الثاني:فهو الالتفات إلى كل مبنى ومفهوم من خلال المجموعة الدينية والدور الذي يلعبه في

هندسة الدين، وكذلك النسبة مع سائر أجزاء الدين.

ومن الواضح أن المنظار الثاني يمكن الوصول إليه عبر التصوير الصحيح والتحليل الأكثر شمولية، لأن الدين حلقات متصلة مع بعضها ومنسجمة، لها أهدافها الخاصة.إذ يمكن التعرف على المنزلة الحقيقية لكل مفردة من تلك المباني والمفاهيم من خلال ما تشغله من ثقل وحجم في داخل المجموعة وتناسبها مع سائر الأجزاء.

ويمكن مشاهدة علامات الظهور عبر هذا المنظار أيضاً، والحصول على نظرة شاملة وجامعة، يعني تحليل مفردات تلك المباني والمفاهيم من خلال الالتفات إلى المجموعة الدينية، وتناسبها مع أهداف الدين والمشروع الديني وسائر أجزائه.

وماذكر في الكتب المبينة لفلسفة علامات الظهور إنما هو منظار مستقل للعلامات عادة، أي بمعنى:لحاظ علامات الظهور بشكل مستقل، وأن لكل منها أداءها الخاص، ولكن يبدو من ذلك، أن هذا المنظار لا يحكي عن كافة الحقائق

---

١. عضو الهيئة العلمية في مؤسسة المستقبل المضيء (كلية العلوم والدراسات المهدوية).

٢. كنز العمال، المتقى الهندي، ج٣، ص٨٤.

حول علامات الظهور، والذي يكمل تصويرنا لهذا المبنى والمفهوم الديني هو تلك النظرة الشمولية والجامعة تحديداً.لأننا إذا قبلنا أن للدين هدفاً، وأن له مشروعاً للوصول إلى هذا الهدف، فمن الطبيعي في القيام بدراسة وتحليل صحيح للعلامات التي تعد بنفسها جزءا من المباني والمفاهيم الدينية، أن يكون هناك التفات إلى ذلك الهدف والمشروع وسائر أجزاء الدين.

أما في ظل الالتفات إلى هذا الهدف والمشروع وسائر أجزاء الدين، فبإمكاننا تفسير ماهية بحث العلامات وأداء كل منها، وينبغي متابعة البحث حول علامات الظهور في الدين كله والهدف والمشروع الديني في مكان آخر.

إن ما يمكن بحثه وتناوله هنا هو علاقة ونسبة بحث علامات الظهور في مقارنتها بأجزاء الدين الأخرى، والتي لها ارتباط بهذا البحث.

والذي يبدو من المجموعة الدينية أن هناك تقارب وصلة عميقة بين الأصول الحاكمة[1] على الحركة بصورة خاصة مع بحث علامات الظهور.لأن علينا تكاليف بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة، هذا من جهة، فهي وإن كانت من سنخ التكاليف الفردية، لكن أساس مسئولياتنا تجاه الإمام المهدي عليه السلام تعد مسئوليات اجتماعية، لأن للإمام أهداف، منها:

الإعداد للظهور وتحقق الأرضية له في التمهيد لبناء وتشكيل المجتمع.فعلينا إذاً في حدود مسولياتنا وقابلياتنا أن ندعم الإمام لكي يصل إلى أهدافه المنشودة، ولا يتحقق هذا الإنجاز العظيم بصورة فردية، والسير إلى الأمام، وعلى هذا، ينبغي مرافقة جماعة، واصطحابهم، وهذه هي بداية الحركة الاجتماعية لتحقيق الهدف الاجتماعي.

ومن جهة أخرى، ستتزامن هذه الحركة الاجتماعية الواسعة والشاملة مع حركة السفياني أو اليماني التي عدت من علامات الظهور، ومن هنا نعلم:أن لو كان

---

١. لتوضيح الاصول الحاكمة ينبغي القول بأن للدين مباني و اهداف، و تكاليف أيضاً ملقاة على عاتق المكلفين. لكن السؤال هو:هل بمحض وجود التكليف الشرعي، يمكنني القيام بعمل، أم أنه مضافاً للوظيفة المذكورة، لوحظت معايير أخرى أيضاً ؟فمثلاً، هذا التكليف هو:لا ينبغي التعامل مع نظام الطاغوت، يسمعه الجنود بآذانهم في أحد المعسكرات؛ فعلى اساس هذا التكليف الديني، هل على الجميع أن يفروا ويهربوا من داخل المعسكرات ؟ من الواضح هنا أن الجواب هو النفي؛ لأن التكليف العام في ظل المعايير و الاصول الحاكمة التي يمكن أن تقول لي:ما هو دورك الآن في قبال الحكم الشرعي ؟ وماذا عليك أن تفعل بدقة؟فمثلاً، أداء التكليف المذكور للجنود لا يجنى منه شيء لعدم فاعلية معسكرات الجنود بانيفروا ويهربوا هناك، وتقول للآخر الذي يعيش في لويزان، عليكم أن تنظفوا تلك المساحات، ومعناه البقاء واحتدام حدة الصراع دون جدوى، ويقول للآخرأيضاً عليك البقاء والحصول على معلومات، وللثالث عليك البقاء واصطناع الحلقات و النفوذ.فيكون قصدنا بناء على هذا أن نعرف الاصول الحاكمة:على أنها معايير وضوابط تبين وتظهر للمكلف أداء التكليف العام الملقى على عاتقه، ما الذي عليه أن يفعل بدقة؟.

لعلامات الظهور استراتيجيات وأداء معين؛فإن أهمها سيتعلق بالجانب الاجتماعي، يعني أن تكون علامات الظهور الدليل لحركة المجتمع للإعداد للظهور، والقيام بالوظائف والمسئوليات المرسومة في قبال الحركات الاجتماعية التي تمت كحركة اليماني والسفياني.

ومع هذه التوضيحات، السؤال المطروح هنا هو:

هل أن الطريق الوحيد أمام الدين هو هداية المجتمع، في شأن الإقدام و الحركة، أو في كيفية المواجهة مع الحركات التي بدأت، وأنها من علامات الظهور؟إذ ليس في الدين أصول ومعايير:أن المؤمنين إذا واجهوا حركة اجتماعية أو كانوا هم ينوون القيام بنشاط وحركة اجتماعية، فمسئوليتهم تقتضي أن يعرفوا ماذا عليهم أن يفعلوا؟ومن أين يبدأوا؟وفي أي الظروف يمكنهم القيام بذلك؟وإلى أين يتقدموا ويواصلوا هذا الزحف والمدّ؟و...

ومن الواضح أن الإسلام هو دين شامل وجامع، يتضمن الهداية و العديد من البيانات والإرشادات، وهي تعلمنا كيفية القيام بالوظائف والمسئوليات في كل حالة وفي أي زمان ومكان، وعلى هذا ستكون الإجابة

على تلك التساؤلات والتساؤلات المشابهة، مرتكزة على أصول حاكمة على الحركة، فلو واجهنا مثلاً حركة اجتماعية كحركة اليماني أو السفياني، فستظهر لنا الأصول الحاكمة على تلك الحركات:من نساير من تلك الحركات ومن نعارض؟فتقول لنا هذه الأصول الحاكمة مثلاً:إذا لم تكن دعوته لنفسه بل دعوته للإمام، كان ذلك في محله، وبمنظار ضعف العدو أو قوة الأنصار في وضع مطلوب وجيد و...غيره، وإلا فلا، بل أعد القوات وتغلغل في أعماق صفوف العدو، وأعد العدة للقيام بحركة ومواجهة مطلوبة!وعلى هذا الأساس، عرفنا أن من يخطط ويبرمج إنما يخطط ويبرمج لمباني وأهداف الدين من جهة، وتكاليف الدين من جهة أخرى، وصياغة الأصول والمعايير الدينية في ظروف مختلفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى:قدرته على التعرف على وظائفه ومسئولياته في أي الحالات وتناسب الظروف تجاه الإمام، ويكون له حركة أيضاً مع الحركات الموجودة في المجتمع، والإقدام على ذلك من خلالها، سواء حصلت علامات الظهور أم لم تحصل!.

فلسفة علامات الظهور

يظهر على ضوء التوضيحات المذكورة المتقدمة السؤال التالي:أننا لو أردنا القيام بمسؤلياتنا ووظائفنا في كافة الظروف والحالات من خلال دعم الإرشادات الدينية والأصول الحاكمة على الحركة، فبأي الأهداف يتم استعراض علامات الظهور؟وماذا يهدف الأئمة المعصومين عليهم السلام في بيانهم علامات الظهور؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال:

بأن علامات الظهور يمكن أن تثمر في موضعين على الأقل:

الموضع الأول:المحل الذي يجهل فيه الناس، بسبب إهمال المتصدين والمسئولين في المجال الديني، أو غفلتهم عن هذه البيانات والمعايير.

الموضع الثاني:المحل الذي لا يصلون فيه إلى الهداية على أساس المعايير والضوابط الموجودة، بسبب الابتلاء بفخاخ الشبهات والضجيج الإعلامي وافتعال الأجواء من قبل جبهة الباطل وتعقيد الأوضاع.

فيمكن للعلامات هنا أن تحل المشكلة، لتتم الحركة بالاتجاه الصحيح على ضوئها.

وللتوضيح أكثر:يمكن مراجعة ما قام به النبي صلى الله عليه وآله في زمن الفتنة والتعلم منه ذلك.

كلنا يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد تحدث كثيراً عن إمامة علي عليه السلام وخلافته من بعده، وأظهر ذلك بالشواهد والبينات والنصائح والإرشادات والمواعظ، وأثبت أحقية الإمام علي عليه السلام، ولزوم اتباع الناس له من بعده، وقد بلغت الشواهد والبينات من الكثرة، أن أحداً لو أراد اتباع الحق ومعرفته، فبمجرد قراءته لهذه الشواهد واطلاعه عليها، لأمكنه التعرف والوصول إليها.

وعلى كل حال، بيّن النبي صلى الله عليه وآله علامات أخرى بعد الإفصاح عن تلك الحقائق والكشف عنها، وعرض ضوابط وقرارات في ذلك، فقال:

«تقتل عمار الفئة الباغية»[1].

أفهم النبي صلى الله عليه وآله المسلمين من خلال هذا الحديث الصحيح أنهم متى ما عجزوا عن تشخيص الحق من الباطل في أجواء الفتنة، أن يعلموا أن الذي يقتل عماراً هم جبهة الباطل.

أو ماذكره صلى الله عليه وآله عن كلاب الحوأب، وأن إحد نسائه لا تخطو في مسير الحق تنبحها كلاب الحوأب[2].

وأكد أيضاً على صدق لهجة أبي ذر الغفاري، فما دام أبو ذر ينطق بصدق لهجته عن انحراف عثمان، فالناس الذين ابتلوا بالفتنة قادرون على تشخيص البئر من الطريق كما يقال، فقال صلى الله عليه وآله:

١. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج١، ص٦٨.
٢. رسائل المرتضى، السيد المرتضى، ج٣، ص٦٣.

مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَ لَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِيذَرّ[1].

ومن الواضح أن وجود هذه العلامات لا يعني عدم الحاجة إلى البينات والمعايير، وليس معناه أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكشف عن تشخيص الحق من الباطل، بل شهد التاريخ أنه صلى الله عليه وآله كشف عن هذه الحقيقة في كافة مراحل رسالته صلى الله عليه وآله، وبين تلك المعايير. ومع ذلك كله، وضع صلى الله عليه وآله منتمات لذلك وهي العلامات، فعرّف عنها في وقت الحاجة والضرورة لمن جهل الأصول والمعايير، أو التبست عليهم الشبهات، وكانوا عاجزين في الأجواء الملوثة التي أثارها العدو عن الفهم الصحيح لتلك المعايير، والقدرة على بيان مسير الحق.

ولعلامات الظهور أيضاً إلى جانب الأصول والضوابط الدينية دور مكمل ومساعد، وكونها مفيدة أثناء الجهل أو سيطرة الشبهات، ولها أداء سلبي وإيجابي. ففي ظل الأداء السلبي يمكن معرفة المدعين كذباً وزوراً، وكذب المدعين للمهدوية قبل تحقق العلامات الحتمية، وإمكان الأمل والتسريع في الإعداد والتهيؤ في الأداء الإيجابي.

وينبغي التأكيد أيضاً أن لهذه كلها دوراً مكملاً فقط، والدور الأصلي في الهداية إنما يتم على عهدة تلك الأصول، والضوابط الموجودة في الدين، والأصول والضوابط المقررة المتعلقة بكافة الأزمنة والأمكنة وكافة الحالات والظروف، ومنها عصر الغيبة.

تمايز الأصول الحاكمة وعلامات الظهور

اتضح مما سلف أن هناك وجوهاً للتمايز بين الأصول الحاكمة وعلامات الظهور، وهي عبارة عن:

١. أصالة الأصول وإكمال العلامات

لعلامات الظهور في المقارنة بالأصول والمعايير دور فرعي، لتحل في الرتبة الثانية، وبعبارة أخرى:لها دور المكمل، وأن أداء المؤمنين في عصر الغيبة هو أكثر من الاستناد لعلامات الظهور، بل ينبغي أن يرتقي إلى الرتبة الأولى على أساس الأصول والضوابط العامة.

---

١. علل الشرايع، الشيخ صدوق، ج١، ص١٧٦.

٢. استخدام الأصول في كافة الحالات والعلامات في حالات خاصة

عندما تعاني الروايات والنصوص لعلامات الظهور في كثير من الحالات من ضعف السند أو عدم وضوح الدلالة، أو وجود الشكوك والترديد في تشخيص مصاديقها وتطبيقاتها على الموارد في الخارج، فلا تكون روايات علامات الظهور محل ثقة واعتماد، إذ في عصر الغيبة المليء بالصعود والنزول، وقعت أحداث جمة، تجاوزت الألف حدث اجتماعي، لم يشر لها في روايات علامات الظهور، وعلى هذا، إذا أردنا صرف النظر عن الأصول الحاكمة ومعايير الدين العامة، واكتفينا بروايات علامات الظهور فقط، فلا نقدر أن نتخذ موقفاً صحيحاً تجاه هذه الوقائع والأحداث، ولكن في مثل هذه الحالات، ومع التمسك بمثل هذه المعاييروالملاكات الدينية، فبإمكاننا اتخاذ موقف صحيح تجاه الوقائع والأحداث الاجتماعية، وعلى هذا، لا نظير لدور الأصول والمعايير الدينية في مقارنتها بعلامات الظهور.

ومن ناحية أخرى، لو كان هناك ثقة واعتماد بسند ودلالة روايات علامات الظهور، ولم يكن هناك مشكلة أيضاً في شفافية التطبيق على المصداق الخارجي، فهناك احتمال وجود مصداق آخر كذلك، يعني أن هناك احتمال أيضاً، يمكن أن يتحقق في المستقبل مصداق آخر، قد تنطبق عليه الروايات والنصوص، وأن هذا المورد الآخر هو غرض الإمام الحقيقي، وليس المصداق الأول، إلا إذا تحققت مجموعة من علامات الظهور بعضها إلى جانب البعض الآخر، وفي هذه الحالة، يضعف جداً احتمال تكرار المصداق، فمثلا، ينتفض شخص في الشام، ويحتل خمس مناطق كما ذكرت الروايات، فيقتل الكثير في العراق والمدينة، ويخرج في مثل هذا الوقت رجل مصلح من اليمن، ويعلو لواء الحق في خراسان أيضاً، و...فنثق من خلال مجموع الوقائع والأحداث المذكورة أن الذي انتفض في الشام هو السفياني، وأن الذي ظهر في اليمن هو اليماني، والثالث في خراسان هو الخراساني.

ومن الواضح أيضاً، أننا لو أردنا الانتظار في هذا المورد، ليتم تشكيل هذه المجموعة، ثم نفهم بعد ذلك، ماذا علينا أن نفعل؟لضاعت منا فرصاً كثيرة أدراج الرياح، بل ربما انتهى كل شيء، في حين أننا التفتنا إلى المعايير والبينات والارشادات والمواعظ الدينية مسبقاً، وعلمنا منذ البداية بهذه التحركات بل حتى قبل تحققها وتواجدها، لكن ماذا علينا أن نفعل؟وماهو القرار والموقف الذي علينا أن نتخذه؟

يريد هؤلاء أن ينتظروا، ليخرج السفياني، اليماني، الخراساني، ومن ثم يفهموا

ماذا عليهم أن يفعلوا؟مثلهم كمثل من لايشخص الحق ما دام عماراً لم يذهب إلى الجلاّد ولم يقتل!

حقاً!!كم هناك فرق بين هؤلاء قبل استشهاد من هم أشبه بعمار، بالركون إلى البينات وموازين الدين، فيعتقدوا أن علياً على الحق، وبين هؤلاء الذين لم يستيقضوا ويستفيقوا من غفوتهم ما لم يرق دم عمار على الأرض؟!

٣. لايمكن تفسير الأصول خطئاً ويمكن ذلك في العلامات

النقطة الأخرى التي تبين مدى الأهمية الغير مشابهة للأصول ومعايير الدين العامة في المقارنة بعلامات الظهور، هي:أن بعض العلامات التي تمتلك خصائص التفسير الخاطئ أو إعداد المشابه المضاهي لها، كما قام معاوية بتوجيه قتل عمار لإضلال الرأي العام فقال:جاء علي بعمار فألقاه بين أسيافنا، فالقاتل لعمار هو علي!أو كما ورد في الرواية، أن صيحة من السماء تنادي بوقوع حادثة مدهشة ومعجزة، فيصيح الشيطان مثلها يسمعه من في الأرض والسماء، فيشتبه الأمر على كثير!والملفت للنظر أن الروايات صرحت أن من ينجو من فتنة الشيطان هم من عرفوا الأصول والمعايير، وإليك ألفاظ الرواية كما يلي:

عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ فُلَاناً هُوَ الْأَمِيرُ، وَ يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ عَلِيّاً وَ شِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ. قُلْتُ: فَمَنْ يُقَاتِلُ الْمَهْدِيَّ بَعْدَ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يُنَادِي: إِنَّ فُلَاناً وَ شِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ _ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ _. قُلْتُ: فَمَنْ يَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ؟ قَالَ: يَعْرِفُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْوُونَ حَدِيثَنَا، وَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُحِقُّونَ الصَّادِقُونَ[1].

نشاهد على أساس ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام:أن تشخيص علامات الظهور بالعودة إلى الحقائق كاعتماد معيار أهل البيت عليهم السلام، والثقة والاعتقاد بأحقيتهم، هي بنفسها أصول ومعايير أسمى من علامات الظهور، وهي قابلة للتشخيص أيضاً.

٤. تقديم الأصول على علامات الظهور في مقام التعارض

نستنتج مما سلف:

إذا تعارضت الأصول الحاكمة على الحركة مع علامات الظهور، كما لو نهي مـــــــــــــــــثلاً

١. الغيبة للنعماني، الباب١٤، ح٢٨، ص٢٧٢.

عن معايير دينية ترافق حدثاً اجتماعياً، إلا أن روايات علامات الظهور تأمر به، فلو أمكننا تطبيق الروايات على مصداق خارجي بصورة قطعية ومتيقنة، ففي هذه الحالة، تقدم الأصول والضوابط العامة على علامات الظهور، لأن الأصول ضوابط عامة تتواجد في كل مكان، ولها صبغة الدوام والشمول، أما العلامات فهي ناظرة إلى المصداق الخارجي والتوصيات الفرعية.

وبعبارة أخرى:إنما قيلت العلامات لأجل هذا وهو: إننا من خلالها يمكننا تحديد المعايير والمفاهيم الدينية العامة، والعمل على ضوئها، وعلى كل حال، تقدم الأصول والمعايير على علامات الظهور عند التعارض.

إن ما سلف ذكره، يمكن أن يتضمن هذا الخطاب وهو:أن وظيفة ومسئولية علماء الدين في أمر هداية المجتمع في الدرجة الأولى هو:اعتماد الدين على الإرشادات والبينات، فإذا أراد علماء الدين إيصال الناس إلى مرحلة الانتظار والإستعداد، وتدفق ينبوع الإنتظار المتصل بأعماق نفوس الشيعة وأرواحهم، فينبغي بناء هذا الأمر الهام على معارف عميقة في الدين، كالالتفات إلى قدر ومنزلة الإنسان والاستعدادات الظاهرة والباطنة فيه، وحالات الارتقاء والتعالي الحاصلة عنده، وبإمكانه نيلها والوصول إليها، والاضطرار إلى حجة الله-العالم بكافة الأمور والمتحررمن كل القيود-لإظهار ارتقائه وتعاليه، ومسايرته إلى الأبد حتى الوصول إلى منزله المنشود.

إن هذه النقاط العميقة ونظائرها:

هي تلك الإرشادات والمعايير الدينية، التي لو تفطن لها الانسان، فسوف لن يغفل لحظة واحدة عن الإمام، بل يعد الثواني واللحظات للقائه ورؤيته، ويرى أن العيش بدونه خسارة، والتنفس في عالم لا يظهر فيه إمامه، صعب لا يستساغ ولا يطاق، وأنه سينفق كل ما عنده من مال وثروة من أجل الوصول إليه.

إن من وصل إلى هذه المنزلة والنظرة، لا يهمه أن تلك العلامة هل وقعت أم لا؟ليفتح عينيه ويستيقظ على رؤية طلعته البهية ووجهه الكريم، وتتقد في قلبه ووجدانه شعلة أمل الظهور، فيستعدد ويتهيأ له، ويستيقظ ويستفيق قبل هذا، تزامناً مع الأمل بالظهور، وليس الاستعداد والتهيؤ فقط لإدراك محضر إمامه عليه السلام، بل اتصاف هذا المجرى بالسرعة، فلا يقف بوجهه مانعاً يعيق طريقه.

وينبغي التأكيد على هذه النقطة أيضاً، وهي:

لا يعني هذا عدم إبداء الأهمية لعلامات الظهور، بل عده تنقيحاً وتصفية لروايات علامات الظهور، وتبليغه ونشره في لمجتمع، وهذا جو مفيد و مطلوب، واستخدامه

أيضاً في زمان الجهل والغفلة عن المعايير.

وقد تكون هذه العلامات- شئنا أم أبينا-أعذاراً وحججاً بيد المدعين المروجين لها بإساءة والمستغلين، وتطبيقهم هذه العلامات كذباً وزوراً على أنفسهم أو غيرهم، ليصلوا إلى أهدافهم المشئومة من خلالها.

وعلى هذا، ينبغي البحث عن أساليب وطرق وملاكات لمعرفة الروايات الصحيحة من السقيمة وخصائصها المتعلقة بكل واحدة من تلك العلامات وطرق تشخيصها إن أمكن.

ولكن ينبغي فهم أن الدين جاء لهداية البشر، فأكد في أول خطوة منه على المعايير والأصول، لذا، ينبغي تواصل الجهود لمعرفة العلامات بحسبها ومنزلتها، على ضوء الأصول لا أكثر.

التحولات الطوعية في حركة الظهور

الدكتور على الوردى

هدف البحث

التأكيد على ان الأمام المهدي(عج) حين يظهر ويدعو الناس الى حركته ستستجيب لها غالبية أمم وشعوب الأرض طواعية، وكما ورد في دعاء الفرج "حتى تسكنه ارضك طوعا" اي بمحض ارادتها ومن غير ممارسة اي ضغط او اكراه من قبل الأمام(عج) "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا"، وأنها حركة تنساب في تكاملها بشكل تدريجي، تصاعدي ومتسلسل وفق سنن تغييرية محكمة. ودفع شبهة ان التحولات في حركة الأمام(عج) تأخذ شكل قفزات فجائية او تحولات دفعية من الظلم الى العدل ومن الجور الى القسط ،وانها تعتمد السيف او القوة لقهر الأمم والشعوب لكي تتبنى اطروحته، او انه(عج) يتخذ من الحروب وسيلة لبسط نفوذه ونشر رايته.

منهجية البحث

لأن طبيعة البحث جزء منه نظري والجزء الآخر عملي او تطبيقي فهو في حقيقته اذن بحث استقرائي واستنباطي وتتلخص منهجيته بأعتماد الخطوات التالية :

١. محاولة استحضار الآيات القرآنية والروايات الصادرة عن المعصومين(ع) المتعلقة بظهور الأمام(عج).

٢. السعي لأستقراء ما يمكن استقراءه من الواقع المعاصر والمتوقع اتصاله بظهور الأمام(عج).

٣. استنباط ما يمكن استنباطه من الآيات والروايات الواردة في المقام.

٤. ايجاد نقاط الألتقاء بين ما تم استقراءه وما استنبط من الآيات والروايات للخروج برؤية عامة يمكن ان تساهم في الكشف عن جوانب مستقبلية في التحولات

لحركة الظهور.

منهج التحولات الطوعية في القرآن الكريم

ان منهج التحولات الطوعية للرسالات السماوية يمكن تشخيصه بشكل جلي من خلال تتبع حركة الأنبياء(ص) في سعيهم الدؤوب لأقامة المجتمع الصالح، وبالرجوع الى القرآن الكريم سنلاحظ ان هذه الحركة تتصف بما يلي:

١. الواقعية في المنطلقات: ان حركة كل نبي كانت تنطلق دائما من أرضية واقع القوم الذي يريد تغييره "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ"، لأن الأنبياء(ص) انما يبعثون من وسط ذلك الواقع الذي خبروا مواطن قوته وضعفه وتحسسوا آلام الناس وآمالهم، فهم الأقدر على التأثير فيه لمعرفتهم الأسلوب الأمثل الذي يمكن مخاطبة الناس به "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" ٤ - ابراهيم

لقد ذهب القرآن الى ابعد من ذلك حين اعتبر الحوار الذي كان يجري بين الأنبياء واقوامهم كما لو كان حوارا يجري داخل العائلة الواحدة بين اخ واخوته اذ انه يعبر عن النبي بلفظة اخاهم ولعل في هذا اشارة لمدى قرب النبي من قومه حينذاك، كما في قوله تعالى:

"وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا" ٦٥ _ الأعراف

"وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا" ٧٣ - الأعراف

"وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا" ٨٥ _ الأعراف

على ان هذا لا يعني انهم كانوا يقرون الواقع الموجود برمته، بل كانت المشتركات بين الطرفين - اي ما يتوافق مع قيم الرسل- هي نقطة الأنطلاق، و بصورة تدريجية ما استطاعوا الى ذلك من سبيل "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ" ٨٨-هود، ولم يصادف ان الرسل قفزوا على الواقع يوما ما او أقحموا مجتمعاتهم فيما لم يألفوه فقد روي عن الرسول الأكرم(ص) قوله: " امرنا معاشر الأنبياء ان نخاطب الناس على قدر عقولهم" بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٨٤

٢. العقلانية في الأساليب: بأعتمادهم الدليل العقلي في دعوتهم لمحاورة الآخر، مهما كان هذا الآخر. ان استعدادهم لحوار الآخر يستبطن الأعتراف به ثم الأنفتاح عليه ليكون مستعدا لحوارهم "انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين" ٢٤ - سبأ

ولأن الرسل دعوتهم دعوة حق ومن الحق فهي لا تخاف الحوار بل تدعو اليه

بكل قوة وتعتبره خطوة على طريق التغيير، لأنها تمتلك كل الأدلة والبراهين التي تثبت صدقها وتتحدى الآخرين على ان يأتوا ببرهان واحد يثبت صدق دعواهم

"قل هاتوا برهانكم ان كنت صادقين" ١١١ - البقرة

كما انها تنبذ القوة و تكره اكراه الناس لقبول ما لا رغبة لهم في قبوله "انلزمكموها وانتم لها كارهون " ٢٨ _ هود

وبعد ان تقيم عليهم الحجة تترك لهم الحرية في قبول الدعوة او البقاء على ما هم عليه ان هم ارادوا ذلك، بشرط ان لا يتعرضوا لحركة الأنبياء.

"وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ" ١٢١ - هود

لقد كان الأنبياء على علم تام ان فرض اي فكرة من الخارج على اي انسان لا تحدث تغييرا حقيقيا لان ارادة التغيير تنبع من داخل الأنسان دوما " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" ١١ _ الرعد

٣. أنسانية في أهدافها: لان دعوة الأنبياء تنسجم مع حقيقة الطبيعة الأنسانية المتمثلة بالعبودية المحضة لله الواحد الأحد- التي كانت تدعو لها على طول الخط - او ما يسمى بالفطرة التي فطر الله الناس عليها " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" ٣٠ - الروم

لذا نرى ان هذه الدعوات لم تكن لتروج لعقائد وهمية او زائفة لا تمتلك اي رصيد من الحقيقة والواقع ولا تمت للأنسانية بأي صلة " مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ....." ٤٠ _ يوسف

لتكره الناس على قبول ما لا ينسجم مع طبيعتهم، بل ما نجده هو العكس، اذ ان هذه القيم الأنسانية السامية ما جاءت الا لتضع المسيرة البشرية في موضعها المناسب التي ينسجم مع طبيعتها ثم لترتفع بها الى الدرجات التي يمكن ان تجد فيها الحياة الطيبة " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً " ٩٧ - النحل

وتحصّنها من السقوط المحقق في الهاوية

" وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...." ١٠ _ آل عمران

الهاوية التي لا تؤدي الا الى الضنك في العيش " وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا "١٢٤ _ طه

فحركة الأنبياء لا تريد اقحام الأنسان فيما لا ينسجم وطبيعته بل هي حركة تكاملية تسعى لبناء الأنسان وتوفير اجواء تكفل له الحرية التي تحفظ له انسانيته وتحفظ له حرية اختيار الطريق الذي يريد بنفسه، وبالمقابل تحصنه من السقوط في اجواء الأستعباد الذي تصادر فيه ارادته ويفقد حريته.

٤.ربانية في غاياتها: من خلال المعجزة الربانية التي تعجز الناس عن الأتيان بمثلها والتي تأتي مع كل رسول لتعضد دعوته الحقة كناقة صالح وعصى موسى(ع) او القرآن الكريم " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" ٨٨ - الأسراء

فضلا عن ان الأنبياء(ص) ان لم نقل بثبوت الولاية التكوينية لهم في تصريف أمور العباد والبلاد، فهم على الاقل لو دعوا الله سبحانه في هلاك اعدائهم والنصر عليهم لما ردّت هذه الدعوة، وعليه فهم ابعد ما يكون عن الحاجة لأستخدام السلاح لأجبار الناس قبول دعوتهم. بل لعل علم الرسول الأكرم(ص) والأئمة الأطهار(ع) بما فيهم الأمام المهدي(عج) بالسنن الألهية التي تتحكم بحركة التاريخ او ما يسمى بالسنن التاريخية- ولعل اعجازهم يكمن في هذا العلم - لم تضطرهم يوما من الأيام بالدعوة على اقوامهم بالهلاك، وانما كانوا يسعون على الدوام لتوظيف هذه السنن لبلوغ الحياة الطيبة للناس بدعوتهم الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولما كان اهل البيت(ع) هم عدل القرآن بنص الرسول الأكرم(ص) لقوله(ص) : "اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض" عيون اخبار الرضا للشيخ الصدوق ص ٦٨ - بل هم القرآن الناطق فقد ورد عن امير المؤمنين(ع): "هذا كتاب الله الصامت وانا كتاب الله الناطق" الفصول المهمة في اصول الأئمة ج١ ص ٥٩٥

وتأسيسا على ما تم انتزاعه من القرآن الكريم يمكننا القول ان حركة الأمام(عج) - بأعتبارها امتداد لحركة الرسل- ينطبق عليها نفس المعايير السابقة، فيما يلي:

١- واقعية في منطلقاتها الموضوعية
٢- عقلانية في أساليبها العصرية
٣- انسانية في أهدافها السامية
٤- ربانية في غاياتها المعنوية

وكل هذه المعايير بعيدة كل البعد عما يفيد الأكراه او القهر وعلى نحو سياتي توضيحه عند التعرض لطبيعة التحولات مفصلا.

التحولات الطوعية في حركة ظهور الأمام(عج)

يمكن تصنيف التحولات التي تتحقق على يد الأمام(عج) اعتمادا على طبيعة هذه التحولات، وتسلسلها المرحلي (الزمني)، وعلى عقائد وافكار الشعوب والأمم التي نتوقع انها ستستجيب لدعوة الأمام(عج) طواعية الى ما يلي:

المرحلة الأولى: التحول الطوعي السياسي لأتباع مدرسة اهل البيت(ع)

ان اول تحول طوعي في حركة الظهور يتوافق مع بدايات الظهور المبارك للأمام(عج)، اذ بعد انطلاق النداء السماوي او الصيحة الذي يعلن ان الحق في آل محمد، تهب الملايين من اتباع مدرسة اهل البيت(ع) بقياداتهم لمبايعة الأمام(عج) بأعتباره هو القائد المنتظروبيادر اصحاب الرايات الثلاث او القادة الربانيون السياسيون للساحات الثلاث (الخرساني والحسني واليماني) الى بيعة الأمام(عج) ليتحقق التحول الطوعي السياسي بانتقال مقاليد السلطة من القادة الثلاث الى الأمام(عج)، لتكون تحت تصرفه كل القدرات العسكرية والاقتصادية والسياسية لتلك البلدان ويبدأ الأمام(عج) دوره السياسي علانية فضلا عن دوره الرسالي كأمام للأمة وعن دوره العقائدي كخليفة لله في الأرض.

فقد ورد عن علي(ع): "اذا نادى مناد من السماء ان الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على افواه الناس ويشربون حبّه ولا يكون لهم ذكر غيره" مخطوطة ابن حماد ص ٩٢

ان الأمام(عج) حين يتقرر انتقاله من عصر الغيبة الى عصرالظهور لينطلق في حركته المباركة الى العالم اجمع فأنه سوف لن ينطلق من فراغ بل من ساحات ثلاث تحققت لها المكنة على الأرض في اقامة نظم صالحة تنتمي في منهجها وولاءها الى الرسول الأكرم(ص) والأئمة الأطهار(ع) ثم الكيان المرجعي.

فقد ورد عن ابي جعفر(ع): "تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الى الكوفة فأذا ظهر المهدي بعثت له بالبيعة" البحار ج ٥٢ ص ٢١٧

عن الرسول الأكرم(ص): "ثم يبعث الله المهدي في اثني عشر الفا ان قلوا وخمسة عشر الفا ان كثروا وعلامتهم امت امت على ثلاث رايات" بشارة الأسلام ص ١٨٣

ان هذه الساحات الثلاث المشار اليها _ ممثلة على الأغلب بالدولة الأسلامية في أيران وحزب الله في لبنان وأقليم الوسط والجنوب في العراق المزمع اقامته - ما هي الا نتاج للنخبة من الكيان المرجعي والخط العلمائي المجاهد في الحوزة العلمية عصر الغيبة، والكيان المرجعي هو بدوره ما هو الا نتاج للنخبة من اتباع مدرسة اهل البيت(ع) عصر الحضور المعصوم والتي تعرف (الجماعة الصالحة) ممثلا بشبكة الوكلاء التي تم اعدادها من قبل الأئمة الأحد عشر(ع). وبوصول الجماعة الصالحة الى درجة من التكامل والرشد طيلة عصر حضور المعصوم تمكنت من الأنتقال بسلام من عصر الحضور الى عصر الغيبة. ولابد من التذكير هنا ان (الجماعة الصالحة) هي الأخرى نتاج للنخبة من الأمة المسلمة والتي يطلق عليها (الأمة المؤمنة)- ممثلة بأمير المؤمنين(ع) وسلمان وعمار وابي ذر واضرابهم -

التي تم بناءها ورعايتها من قبل الرسول الأكرم(ص) نفسه في العصر النبوي الشريف.

اذن ان شرط ظهور الأمام(عج) هو تحقق المكنة للجماعة الصالحة وبلوغها درجة من الرشد يمكنها اللاحق به لو انطلق في حركته "فالمتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق"، وكنتيجة لهذا التطور النوعي يصبح من الطبيعي ان يغيير الأمام(عج) من طبيعة حركته نتيجة تغير الظروف لتصبح اكثر وضوحا، الأمر الذي يسهّل على الأعداء حصر المناطق التي يتواجد فيها من خلال الآثار التغييرية الدالة عليه حتى يكاد الأعداء يظفرون به عندها يفصح عن ظهوره ويجهر بدعوته، فقد ورد عن امير المؤمنين(ع) "لو لم يخرج لضرب عنقه" البحار ج ٥١ ص ١٢٠

وبتطبيق المعايير التي خلصنا اليها في تحديد ملامح المنهج الطوعي لحركة الظهور (الواقعية، العقلانية، انسانية الأهداف، ربانية الغايات) وبالأستفادة من الروايات الواردة في المقام يمكننا ان نتوقع الأجراءات السياسية التالية:

أ. اقرار الأمام(عج) لهيكلية النظم الثلاث

انطلاقا من واقعية الأمام(عج) التي اثبتناها في تحديد المعايير نتوقع انه(عج) سيقر هيكلية الكيانات السياسية الثلاث الممهدة له، ويحافظ على تنوعها وعلى خصوصية كل تجربة لأننا نعتقد انها ترعرعت في ظله الشريف عصر الغيبة ولكن بصورة غير مباشرة، وهذا التوجه ينسجم مع اقرار القرآن لتنوع الشعوب ومراعاته لخصوصيات الأمم

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ١٣ - الحجرات

كما ان الأمام(عج) اول الأمر لا نتوقع انه سيحدث تغيرات جوهرية دفعة واحدة، ولو اراد تغيير نوعيا في مكان ما فأنه سيكون تدريجيا لا دفعيا وعلى مراحل.

أن مثل هذا التنوع السياسي للنظم الثلاث يوفر مساحة كبيرة لأي حركة سياسية في تعدد خيارتها وتحقيق برامج ومخططات سياسية متنوعة، والتأثير في مجرى السياسة العالمية بشكل نوعي، خصوصا مع وجود قيادة استثنائية مثل قيادة الأمام(عج).

ب. توجيه خطابات مطمئنة لشعوب العالم

لأن غالبية الشعوب والأمم من غير اتباع اهل البيت(ع) لا يعرفون عن الظهور شئ الا سعي الأمام(عج) لاكتساح الدول واسقاط العروش وفرض الواقع الذي يريد على شعوب العالم واجبارها على تغيير افكارها ومعتقداتها بحد السيف وبقوة

السلاح!! فأننا نتوقع ان الأمام(عج)

سيبادر الى توجيه خطابات متعددة وبلغات العالم المختلفة مفادها ان رسالته تعتمد على الدليل العقلي في حوار الآخر ومهما كان هذا الآخر فقد ورد عن الأمام الصادق(ع): "يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة _ اي اهل مكة- فيطيعونه ويستخلف عليهم رجلا من اهل بيته" البحار ج ٥٣ ص ١١

وان دعوته هي دعوة سلم وسلام ومثل هذه الدعوة لن تلجأ الى القوة الا في حالة الدفاع عن النفس، فليبق اهل المذاهب الاخرى على مذاهبهم فالوحدة الأسلامية هي منهج اصيل في حركة الأمام(عج) وليبق اهل الاديان الأخرى على اديانهم ما لم يتعرضوا للأمام(عج) وانصاره

"وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ" ١٢١ - هود

ج. الكشف عن باطن القرآن والصحيح من الحديث

معلوم ان الأمام(عج) سيتخذ من الكوفة مكانا لأستقراره - وعاصمة لدولته العالمية- يدير من خلالها الأمور، علما ان هذه المدينة اصبحت ملتحمة اليوم بمدينة النجف المعروفة بمكانتها العلمية فلعل في هذا اشارة الى سعي الأمام(عج) لرعايته المباشرة لحوزاتها -المستقرة منذ زمن وحتى اليوم في النجف الأشرف- في نشر علوم آل محمد(ص) وتخريج طبقة من المبلغين القادرين على ايصال رسالة الأمام(عج) القائمة على الحق والحقيقة والداعية الى السلم ةالسلام الى كل العالم الأسلامي ان لم يكن العالم كله. كما ان الحديث القائم اليوم في العراق عن اقليم الوسط والجنوب وجعل النجف عاصمة لهذا الأقليم قد يزيد من اهمية هذه المدينة في التهيئة للدور الذي ينتظرها في المستقبل فيما لو تحقق هذا الأمر واصبح واقعا.

ولعل الأمام(عج) عندما يريد ان يبث علوم اهل البيت(ع) فان اول مصدر يبدأ منه هو القرآن الكريم والعلوم المرتبطة به ومن اهمها هو علوم باطن القرآن باعتبار ان للقرآن ظاهر وباطن، وان الباطن " لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ" ٧٩ _ الواقعة

والمطهرون هم اهل البيت(ع) الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا لقوله تعالى "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْتَطْهِيرًا" ٣٣ - الأحزاب

ان الكشف التدريجي للأمام(عج) عن باطن القرآن وبالقدر الذي يمكن استيعابه ممن حول الأمام(ع) من علماء سيفتح افاقا واسعة في انعاش الحركة العلمية من جهة، ويبين لعامة المسلمين وخصوصا المخالفين منهم فضل الأمام(عج) وعلو مقاماته الرفيعة ومكانة اهل البيت(ع) في القرآن الكريم.

كما اننا نعتقد ان الأمام(عج) احسن من يستطيع اثبات صواب مدرسة اهل البيت

بالأعتماد على كتب المذاهب الاخرى لألزام المقابل بما الزم به نفسه، وهو افضل من يستطيع تحديد الأحاديث المكذوبة عن الرسول الأكرم(ص) اما من خلال تعارضها مع القران او مع احاديث اخرى ثابتة لديهم، وكل هذا يمكن ان يزيد من اهتمام المخالفين بالتعرف على حركة الأمام(عج) طواعية.

وقد وردت عن اهل البيت(ع) بعض الروايات التي تشير الى انتعاش علوم القرآن وعلوم الحديث وشيوع هذا الأمر بين الناس، فقد ورد عن الأمام الباقر(ع) :"تؤتون الحكمة في زمانه حتى ان المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله" البحار ج ٥٢ ص ٣٥٢

د. تحديده للأحكام الواقعية وتشخيصه الدقيق للموضوعات:

لما كانت الأحكام الشرعية زمن الغيبة قسمان، ظاهري و واقعي، لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب في استنباط الأحكام، لكن اذا ظهر الأمام(عج) فأن الأحكام جميعها ستكون واقعية لعصمته ولكونه سيكشف عن خفايا القران وباطنه وعن الروايات الصحيحة الواردة عن المعصومين(ع)، وكل هذا سيساعد بشكل كبير في تطوير البلدان المحكومة من قبل الأمام(عج) بشكل كبير جدا ويجعلها تقترب من حالة التكامل لأن الأمام(عج) سيقدم لهم الجواب الأمثل لكل واقعة بنصّه على الأحكام الشرعية الصحيحة وبشكل كامل ولشتى جوانب الحياة، فضلا عن قدرته الدقيقة في تشخيص الموضاعات واختيار الحكم المناسب الذي ينطبق على الموضوع باعتباره هو(عج) الحاكم الشرعي المعصوم.

ان النجاح السريع والكبير في بناء واقع اسلامي جديد في الساحات الثلاث الممهدة والقفزات النوعية التي نتوقع حدوثها ضمن فترة قياسية سيساعد بشكل كبير في جذب اهتمام غالبية المسلمين- ان لم نقل كلهم - من اتباع المذاهب الاخرى واقبالهم طواعية على معرفة حركة الأمام(عج) والأطلاع على فكر مدرسة اهل البيت(ع) والتأثر بها كل بحسبه.

نخلص من هذا ان التحول السياسي الطوعي يتمثّل في انتقال مقاليد السلطة من قبل اصحاب الرايات الثلاث وبشكل طوعي الى الأمام(عج)، وان الرقعة الجغرافية للتحولات هي البلدان التي استطاعت ان تجعل من الأسلام المرضي المتمثل بمدرسة أهل البيت معمولا به في مجتمعاتهم وهي ايران ولبنان والعراق كما نعتقد.

المرحلة الثانية: التحول الطوعي الفكري للمخالفين

وفيه يتحول طواعية غالبية المسلمين من اتباع المذاهب الاخرى في بقية البلدان الأسلامية من الصين شرقا وحتى بلاد المغرب غربا..... الى الأيمان بمدرسة اهل البيت كمنهج اوحد والأيمان بالحجة (عج) كأمام مفترض الطاعة لما يرون فيه قائدا

استثنائيا وقد نجح بشكل ملفت برفع لواء الأسلام عاليا رغم كل التحديات المحيطة به، فضلا عما يمارسه الأمام(عج) من ادوار فكرية لافتة.

على ان هذا التحول لا يحدث مباشرة بعد الظهور كما حدث مع اتباع مدرسة اهل البيت(ع) في المرحلة الأولى لوجود موانع تحول دون انفتاح المخالفين على الأمام(ع) بشكل كامل واهم هذه الموانع هم حكام الجور وائمة الضلال امثال السفياني واضرابه الذين يحاولون تصوير الصراع مع حركة الأمام(عج) بأنه صراع طائفي بين السنة والشيعة وليس صراع بين الحق والباطل. اما اهم ما يتوقع في هذه المرحلة بالأعتماد على المنهج الطوعي والروايات الواردة فهو :

أ. تطوير الأمام(عج) لطرق البحث والأستدلال

ان الفتح الذي يتحقق على يد الأمام(عج) في الكشف عن باطن القرآن والمفاهيم الحقة لمدرسة اهل البيت(ع) سيساهم بشكل كبير في تطوير طرق البحث العلمي والأستدلال المنطقي بشكل عام الأمر الذي يساعد على التفاعل مع مدرسة اهل البيت(ع) التي تعتمد الدليل العقلي طريقا للوصول للحقيقة من خلال ايمانها بأن الحسن والقبح عقليين، بينما ترى المدرسة الأخرى انهما شرعيين.

ان تحرير العقل البشري من كل الوان التقييد والحجر غير المبرر بالتأكيد سيساعد البشرية بشكل عام والمخالفين بشكل خاص ان تنظر للحقيقة بعين حيادية ومن غير زيادة او نقصان، وان تراجع نفسها فيما وجدت عليه آباءها. ان مجرد المراجعة قد تمهد الطريق للمخالفين في الأنفتاح على حركة الأمام(عج) وبالتالي القبول بها طواعية.

ب. اشاعة الأمام(عج) لثقافة الحوار والتسامح

لما كان المنهج الطوعي للتغيير يعتمد الحوار المستند الى الدليل العقلي كما اثبتناه سابقا، فلاشك ان الأمام(عج) سيشجع عليه ويدعو له لأن قبول الآخر بالحوار اول خطوة على طريق التغيير المحتمل. ولو قدر ان الحوار لم يوصلنا الى نتيجة حاسمة فلابد للطرفين المتحاورين من احترام احدهما الآخر. اما اللجوء الى القول بالتكفير والضلال فأنها لن تؤدي الا الى القطيعة والحروب المدمرة وفي هذا مخالفة واضحة لمنهج الأنبياء. ان مواقف اهل البيت(ع) من مخالفيهم كانت تمتاز بالتعبد بأسمى الأخلاق وانبل القيم، فأمير المؤمنين(ع) لم يمنع الماء عن جند معاوية في حرب صفين، واما الأمام الحسين(ع) فأنه سقى عسكر الحر بن يزيد حين جعجع به.

ان الرسول الأكرم(ص) واهل البيت(ع) قد حكّموا الأخلاق حتى في ساحات القتال فأننا لا نتوقع ان الأمام المهدي(عج) سوف ينأى بنفسه عن هذه القيم في

الساحات الأجتماعية والفكرية عند ملاقاته للمخالفين الذين يسعى لضمهم الى حركته.

ج. الكشف عن النعم الباطنة بتطويره للعلوم الطبيعية

ان ما يتحقق على يد الأمام(عج) من فتوحات في علوم القرآن وما يتصل به من علوم آل محمد(ع) سيمهد الطريق لأحداث ثورة علمية في طرق البحث والأستدلال _ كما اسلفنا _ وهذا بدوره سيساعد بشكل كبير في الكشف عن خفايا العلوم الطبيعية وبالتالي تحقيق نقلات نوعية على طريق البناء والتقدم بحيث يمكن للبشرية بلوغ النعم الباطنة التي لم تستطع كل الأقوام السابقة بلوغها والمشار اليها في قوله تعالى:

"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً " ٢٠ - لقمان

ان عجز الأقوام السابقة عن بلوغ النعم الباطنة ما هو نتيجة طبيعية لما يعلمون فهم

"يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" ٧- الروم

فالمؤهّلون اذن لبلوغ النعم الباطنة هم فقط سالكوا الطريق الى الله العارفون لحقه، المستحقون للظفر بأسراره من معارف وعلوم لتطويعها في بناء أرضه، والظاهر ان هذا لا يكون الا في ظل الحضارة المهدوية بعد ان يقوم الأمام(عج) بالكشف عن هذه الأسرار

فعن الأمام الصادق(ع):

"اذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس الأنام فجمع بها عقولهم وكملت به احلامهم" الكافي للكليني ج١ ص٢٥

ليتحقق مصداق قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ " ٩٦- الأعراف

وتتحقق جنة الله في الأرض التي طالما حلمت بها البشرية "وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا " ٣٤ - ابراهيم

ان كل هذه الفتوحات العلمية السالفة الذكر التي يحتمل ان يكشف عنها الأمام(عج) يمكن ان تحدث رغبة جامحة في صفوف عامة المسلمين من بقية المذاهب الأخرى للأطلاع على حقيقة هذه الحركة الواعدة، ولعل البعض ينفتح على مدرسة اهل البيت وعلى حركة الأمام(عج) بدرجة تجعله مقتنعا بها تماما الأمر الذي يؤدي الى اثارة هلع حكام الجور في المنطقة ويثير الفزع لدى ائمة الضلال. ان الترجمة المتوقعة لهذا الخوف هو ممارسة الحكام مزيدا من القمع

والأرهاب ضد كل من يحاول ولو التعاطف مع الحركة الجديدة، وتحريك الماكنة الأعلامية لممارسة ادوار تضليلية عن طريق وعاظ السلاطين. الا ان رصانة المنطق الذي يتحدث به الأمام(عج) وادلته القوية تجعل القدر الأكبر من هذه المخططات المعادية تنهار وتفشل، عندها يحاول اعداء الأمام(عج) تصوير الصراع على انه صراع طائفي وحجتهم في ذلك ان الأمام (عج) يريد القضاء على مذهب اهل السنة والجماعة وانه شيعي والشيعة يسبون الصحابة ويعبدون القبور و و و.... وكل هذا يستدعي محاربتهم و وجوب القضاء عليهم !!

ثم تجتمع كلمة اعداء الأمام(عج) على مهاجمة البلدان المحكومة من قبل الأمام(عج) ويحاولون البحث عن فرس الرهان الذي يستطيع تنفيذ هذه المهمة فلا يجدون افضل من السفياني المنطلق في نفوذه المتنامي في المنطقة. ولعل غالبية الدول التي اعدّت للحرب المفروضة على الجمهورية الأسلامية عام ١٩٨٠ ميلادي- حين وجدت في المقبور صدام ضالتها - تعيد نفس السيناريو لمحاربة الأمام(عج) من خلال دعمها لحركة السفياني. وبالفعل يشن السفياني ومن وراءه الحرب فيتم التصدي لهم ويندحر قسم منهم في حرب ضروس وقاسية، واما القسم الآخر فيخسف الله بهم في البيداء فيكونوا عبرة لمن سواهم ويتحقق النصر لجند الأمام(عج) وتسقط عروش الجائرين ويهلك الله المضلين ويرتفع المانع الذي كان يحول بين الشعوب المستضعفة المسلمة وبين حركة الأمام(عج) ويتحقق شرط التحولات الطوعية وهو الأنفتاح على حركة الأمام(عج) في أجواء تسودها الحرية،

عن الأمام الباقر(ع): "يظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون له همّة الا آل محمد صلى الله عليه وآله وشيعتهم فيبعث بعثا الى الكوفة فيصاب بأناس من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله قتلا وصلبا" البحار ج ٥٢ ص ٢٢٢

عن امير المؤمنين(ع): "فاذا كان ذلك خرج السفياني فيملك قدر حمل امراة تسعة اشهر يخرج بالشام فينقاد له اهل الشام الا طوائف مقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه ويأتي المدينة بجيش جرار حتى اذا انتهى الى بيداء المدينة خسف الله به" غيبة النعماني ص١٦٣

وفي ظل أجواء الأنتصار الحاسم وهلاك السفياني يعلن الأمام(عج) موقفه المحايد والعجيب من المخالفين والمستند الى معايير المنهج الطوعي للتحولات وهو:

"وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ" ١٢١ - هود

فيتحول غالبية المخالفين الى الأيمان بمدرسة اهل البيت(ع) طواعية بسبب وجود مقتضي وهو قيام حركة الأمام(ع) على اساس الحق، وتحقق شرط وهو أنفتاح المخالفين على حركة الأمام(عج)، وارتفاع مانع وهو هلاك السفياني ومن

معه من حكام الجور ومن أئمة الضلال.

ليتحقق قوله تعالى:

"إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا"

المرحلة الثالثة: التحول الطوعي العقائدي للشعوب الغربية

وفيه يتحول معظم الشعوب الغربية التي تدين بالنصرانية التي تنطوي على عقائد محرفة وفاسدة الى عقيدة الوحدانية الخالصة والتي لا يمكن بلوغها الا بالرجوع الى الأسلام المحمدي الأصيل والتمسك بولاية ولي الله الأعظم الأمام الحجة(عج). ان القيم الحضارية التي تجسدها حركة الأمام(عج) على ارض الواقع من حيث الشكل والمضمون على رقعة جغرافية تمتد على كل الوطن الأسلامي _ والذي قد يصبح وقتها قوة عظمى- مضافا اليه التحاق عيسى(ع) بحركة الأمام(عج) تجعل الكثير من هذه الشعوب تقبل دعوة الأمام(عج) طواعية، ولكن بعد ارتفاع المانع المتمثل بأنهيار النظم الأستكبارية الغربية التي تواجه اخطارا حقيقية محدقة، وبعد زوال الكيان الصهيوني المحتل الذي تكون له ادوارا خبيثة في هذا المجال.

ان ما نتوقعه على ضوء المنهج الطوعي وما لدينا من روايات صادرة عن المعصومين(ع) في هذه المرحلة هو ما يلي:

أ. كشف الأمام(عج) عن المضامين الحقيقية للقيم الأنسانية

في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وقد جاء في بعض مواده:

١. يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق

٢. لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر.

ان اقرار مثل هذه المواد ولو بصورة نظرية والتي تنطوي على مبدأ يعتبر من اهم المبادئ الأنسانية وهو مبدأ المساواة بالتأكيد هو خطوة ايجابية في الحياة البشرية نحو الأستعداد للتكامل ودلالة واضحة على تطور العقل البشري لأدراكه مثل هذه القيم، بعد ان كان التمييز على اساس اللون او القومية او الجنس حقيقة قائمة في مختلف بقاع العالم.

ان الأمام(عج) حين يدعو الشعوب الغربية الى حركته المباركة سوف ينطلق من أرضية هذه القيم الأنسانية ولكن بعد ان يعطي للقيم الحضارية كالحرية والعدل والمساواة وغيرها ابعادا حقيقية على ارض الواقع ولن يكتفي بالشعارات كما تفعل

اليوم النظم العربية. فالمساواة مثلا ليس شعارا مجردا يرفعه الأسلام بل هو قيمة حقيقة في الأسلام (فما دام الله سبحانه وتعالى واحد ولا سيادة الا له والناس جميعا عباده ومتساوون بالنسبة اليه فمن الطبيعي ان يكونوا أخوة متكافئين في الكرامة الأنسانية والحقوق كأسنان المشط على ما عبّر الرسول الأعظم ولا تفاضل ولا تمييز في الحقوق الأنسانية). الأسلام يقود الحياة للشهيد محمد باقر الصدر ص١٣٥

ان الأمام(عج) حين يسعى لتوحيد الشعوب في العالم ببناءه للأمة الموحدة انما ياتي بعد تثبيته لمبدأ المساواة بين البشر، لأن محور حركة هذه الأمة هو اقرارها بالعبودية لله الواحد الأحد، والكفيل بصهر كل الفوارق بين البشر مثل اللون او الجنس او القومية. كما ان العبودية الحقيقية لله هي وحدها التي تعطي للأنسانية معنى حقيقي للحرية، اذ تستطيع تحرير الأنسان من كل عبودية سواء كانت نتيجة للأستكبار او حب الدنيا او عبادة الهوى "يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ". ١٥٧ - الأعراف

ب. الكشف عن المنهج التوحيدي الذي تتطابق فيه السنن التكوينية والتشريعية

ان الأنجازات العلمية التي أحرزها الأنسان المعاصر في مجالات العلوم التجريبية كالطب والفلك والكيمياء وغيرها قد ساعدت كثيرا في الكشف عن دقة النظم المودعة في الأنسان والحيوان والنبات والكواكب وبقية الموجودات، كما لاحظ الباحثون ايضا ان هذه النظم منسجمة فيما بينها باختلاف عوالم الموجودات وهو ما يصطلح عليه بدليل الأنسجام بين النظم " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ". ٤٤ - الأسراء

وقد توصل الباحثون الى اكثر من ذلك فوجدوا ان هناك عناية خاصة بالأنسان في طبيعة الأنسجام بين النظم بأعتبار ان الأنسان هو سيد المخلوقات"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً " ٢٠ - لقمان

وهو ما يعرف عند الفلاسفة الأسلاميين عند تعرضهم لوحدانية الخالق بأدلة الصانع او الخالق:

أ- دليل الخلق

ب- دليل النظام في الخلق

ج- دليل الأنسجام بين النظم

د- دليل العناية في انسجام النظم

ان الكثير من الفتوحات العلمية التي تم انجازها في عصرنا الحاضر يمكن ان تمهد الطريق لحركة الأمام(عج) لو اراد الكشف عن السنن التكوينية التي تحكم خلق الموجودات والتي تتجسد في منهج توحيدي، الغاية والمنتهى فيه هو مسبب الأسباب وعلة العلل بارئ الخلائق اجمعين وهو الله سبحانه وتعالى، ومن هنا جاء قول الأمام السجاد(ع): "رأس الحكمة مخافة الله".

أغلب الظن ان الأمام(عج) سينطلق في دعوته لبيان العقيدة التوحيدية للشعوب الغربية من آخر ما توصل اليه الباحثون في العلوم التجريبية ويوصلها بالسنن التكوينية

او السنن الألهية التي تحكم الكون كاشفا عن حقيقة العلوم التي تتعلق ببواطن الموجودات، عندها يدرك الباحثون ضخامة الفجوة بين ما توصلوا اليه وبين العلوم التي يبثها الأمام(عج)

- عن الأمام الصادق(ع): "العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين فاذا قام قائمنا أخرج الخمسة وعشرون حرفا فبثها في الناس وضمّ اليها الحرفين حتّى يبثها سبعة وعشرين حرفا"

وسيدرك الباحثون ايضا ان ما جاء به الأمام(عج) معجز بكل المقاييس لأنه كاشف

عن بواطن العلوم بينما هم "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" ٧- الروم

الأمر الذي يجعل الشعوب خصوصا المتطورة منها يقبلون عليه(عج) طواعية ويدخلون في دين الله افواجا

ان كشف الأمام(عج) عن باطن القرآن من جهة، وباطن النعم التي ستحيل الأرض الى جنة تنعم بها البشرية المعذبة من جهة اخرى انما يأتي نتيجة لوجود التلازم الخفي بين السنن التشريعية والسنن التكوينية، اذ انهما في نهاية المطاف سنن ربانية مصدرها هو الله الواحد الأحد. ان الكشف عن ما يسمى المنهج التوحيدي الذي يبين وحدة المصدر في السنن والذي يبين ان اصل المعرفة او اصل العلوم هو توحيد الله الواحد الأحد، فقد ورد عن الأمام السجاد(ع):"رأس الحكمة مخافة الله"وسائل الشيعة ج١١ ص ٤٢٩

عندها يدرك الناس ان لاتعارض بين الدين وبين بقية العلوم الأخرى بل ان هناك تلازم بين الأثنين وغيابه عن الناس لا يعني عدم وجوده فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

ج. تقديمه للحلول الناجعة للأخطار المحدقة بالعالم

مما يزيد من اهتمام الشعوب الغربية بحركة الأمام(عج) هو الحلول الناجعة والجديدة التي يقدمها الأمام(عج) للعالم ليس من اجل تطوره فحسب بل من اجل انقاذه من المخاطر الوشيكة والمحدقة به والتي يمكن ان تودي به الى الهلاك والزوال.

ان كل الدراسات والأبحاث المستقبلية تشير ان البشرية تسير بخطى متسارعة نحو الهاوية بسبب حجم التحديات الخطيرةالتي تواجهها اليوم فعلى سبيل المثال:

- سياسيا: الأزمات السياسية والصراعات الدولية المستمرة والتي تنذر بحرب عالمية مدمرة

- اقتصاديا: التضخم العالمي الذي اصبح حقيقة ماثلة، قد يؤدي في اي وقت الى ركود ينهارعنده النظام الاقتصادي العالمي.

- بيئيا: ظاهرة الأحتباس الحراري الناتجة عن المعدلات العالية للغازات الصناعية والتي أدت الى ذوبان الجليد في المناطق المنجمدة مما يهدد بغرق الأرض.

ان هذه التحديات المرعبة هي نتاج طبيعي للنظم الأجتماعية والسياسية والأقتصادية والبيئية المطبقة اليوم في الغرب والفارغة من اي مضمون، فضلا عن ان صانعي القرار في هذه النظم قد تطورت ايضا قدراتهم للظلم وخبراتهم على الأجرام لتسخير الموارد المتاحة على الأرض لصالحهم وعلى حساب كل المستضعفين في العالم "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" ١٢٣ - الأنعام

ان تداعيات هذه التحديات وما يماثلها قد يجعل المسيرة البشرية تواجه طريقا مسدودا تشبه النقطة التي وصلت لها حين بعث الرسول الأكرم(ص) "وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" ١٠٣ _ آل عمران

مما يجعلها تتطلع بشوق الى من يستطيع انقاذها من المحنة، عندها يصبح الظهور حاجة ملحة للبشرية وليس خيارا ترغب في قبوله او رفضه.

د. تحول دولة الأمام(عج) الى دولة عظمى

ان القدرات البشرية والموارد الطبيعية لدولة الأمام(عج) الأسلامية والتي يمكن ان تمتد - في المرحلتين الأولى والثانية- من الصين شرقا الى الجزائر والمغرب غربا وما يتحقق في ظله من تطور استثنائي وتقدم كبير تجعل الكثير من الشعوب الغربية تنظر اليه نظرة اعجاب واكبار الأمر الذي يمهّد الطريق لكي تنفتح على حركته.

ان انفتاح الشعوب الغربية على حركة الأمام(عج) حتى لو كان محدودا اول الأمر لكن هذا المقدار المحدود يثير الخوف لدى القوى الأستكبارية في الغرب والهلع لدى الكيان الصهيوني الغاصب. اما النظم الغربية فيقنعها الأمام(عج) في عقد هدنة معه، لكن الكيان الغاصب لا يحتمل كل هذه التحولات العالمية لصالح حركة الأمام(عج) فيبادر الى تأليب العالم على حركة الأمام(عج) لكن الأمام(عج) يكون قد سبقهم الى الهدنة السالفة فينفرد الصهاينة بشن حرب على دولة الأمام(عج) يكون فيها هلاكهم وانتصار الأمام(عج) عليهم بشكل ساحق وكامل، فقد ورد عن امير المؤمنين(ع): "ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وتنقل اليه الخزائن وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته"

بعدها تخرق النظم الغربية الهدنة لأنها لا تحتمل نجاحات الأمام(عج) المتلاحقة فتحاول شن حرب على الأمام(عج) فيباغتهم(عج) في حرب خاطفة يكون فيها النصر حليفه وبخسائر قليلة نسبيا لحروبه في المرحلة الثانية ولعل هذا السيناريو يحاكي فتح الرسول الأكرم(ص) لمكة المكرمة في قلة الخسائر وعظمة الفتح. اغلب الظن ان كل هذا السيناريو ستتم اعادته مع الغربيين فيدخلون طواعية في دين الله افواجا "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا"

ففي مخطوطة ابن حماد ص ١٤٢ " يكون بين المهدي وطاغية الروم صلح بعد قتله السفياني"

عصر الظهور للشيخ الكوراني ص ٣١٢

عن الأمام الباقر(ع): "ثم تسلم الروم على يده فيبني لهم مسجدا ويستخلف عليهم رجلا من اصحابه وينصرف" بشارة الأسلام ص ٣٥١

لما كانت دول العالم اليوم تنظر الى العالم الغربي نظرة اعجاب وانبهار وتسعى لتقليده باعتبار ما حقق من تقدم صناعي وعمراني وعلمي.... فأن تسليم الغرب للأمام(عج) ودخوله في طاعته سيشجع كل الدول المتبقية في اللحاق بركب حركة الأمام(عج)، عندها تكون الأرض بأجمعها محكومة بحكم الأمام(عج) ويتحقق الوعد الألهي:

" يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"

٣٣ - التوبة

دور السيف في حركة ظهور الأمام(عج)

لقد شاع بين عموم الناس فكرة طارئة مفادها ان الأمام(عج) لن يتمكن من تحقيق تغييرات عالمية سريعة وكبيرة الا بحد سيفه الذي به سيجتث كل قوى الشر في العالم ويطيح برؤوس من يقف في طريقه،عندها يمكن للبشرية من تحقيق قفزة فجائية من الظلم الى العدل ومن الجور الى القسط ،وهذا يعني انه(عج) لن يتمكن من بسط نفوذه وتحقيق أهدافه الا عن طريق الحروب المدمرة والمعارك الضارية!!

أغلب الظن ان هذه الفكرة تسللت الى الذهنية العامة بسبب الفهم الخاطئ للروايات الكثيرة الصادرة عن المعصومين(ع) والتي تشير الى ضرواة المعارك التي يخوضها الأمام(عج) في مواقع مختلفة من العالم،مثل المروي عن الأمام الباقر(ع):

(يقوم القائم بأمر جديد وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه الا السيف ولا يستتيب احدا ولا تأخذه في الله لومة لائم)

(ان رسول الله صلى الله عليه واله سار في امته باللين كان يتألف الناس والقائم يسير بالقتل بذلك امر في الكتاب الذي معه ان يسير بالقتل ولا يستتيب احدا)

(فاذا هو فعل ذلك قالت قريش اخرجوا بنا الى هذا الطاغية فوالله لو كان محمديا ما فعل..... فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية..... فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرة اليها بشئ) البحار ج ٥٢ ص ٣٤٢ عن تفسير العياشي

لكن غاب عن هؤلاء ان هذه الحروب هي في الغالب حروب دفاعية بالنسبة للأمام(عج) وان المبادر اليها بالأساس هم أعداء الأمام(عج) الذين تطيروا من النجاحات و التحولات الهائلة- كمّا ونوعا- التي ينجزها الأمام(عج) في فترة قياسية والتي يرون فيها تهديدا جديّا لمواقعهم "قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" ١٨ - يس

فيبادر المتحجرون والمعاندون وحكام الجور والمستكبرون في كل العالم لمحاربة الأمام(عج) وبكل ما لديهم من قدرة وقوة لأيقاف هذا الزحف المبارك، وهذا هو منطق المعادين للرسل على طول الخط "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا" ١٣ - ابراهيم

كما غاب عن هؤلاء الروايات التي تتحدث عن الوجه الآخر لحركة الأمام(عج) كقول الأمام الصادق(ع): "يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة _ اي اهل مكة- فيطيعونه ويستخلف عليهم رجلا من اهل بيته" البحار ج ٥٣ ص ١١

عن امير المؤمنين(ع): "فيقول _ اي المهدي- اخرجوا اليّ ابن عمي حتى اكلمه فيخرج اليه فيكلمه فيسلّم له الأمر ويبايعه...." في مخطوطة ابن حماد ص ٩٧

اذن ان ضـرواة المعـارك وتعـدد جبهاتهـا لا يتحمـل مسـؤوليتها الأمـام(عج) لأن دعوته دعوة سلم وعدل وحق، والحق قوي بذاته (وانما يحتاج لى الظلم الضـعيف)، بل ان منهج الأمام(عج) هو نبذ العنف بالأساس ومحاولة تجنب القتال ما أمكنـه الـى ذلك من سبيل ولن يستجيب للحرب الا بعد أقامة الحجج وتقطّع السبل عندها يكـون من اللازم والمنطقي أزالة العقبات التي تحول دون انطـلاق مسـيرة الحـق وانبعـاث النور.

الأمداد الغيبي لحركة الأمام(عج)

ان الأمـداد الواضـح والبـيّن الـذي يتلقـاه الأمـام(عج) مـن الله تعـالى الـذي بيـده مقاليد السموات والأرض " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ " ٣٨ - الحج

ستزيد حتما من قناعة الشعوب والأمم بالأمام(عج) في الأستجابة لدعوته بصورة طوعية فضلا عن منهجه انجازاته وخطاباته ومواقفه.

ففي المرحلة الأولى على سبيل المثال تذكر الروايات الصيحة او النداء السماوي فقد ورد عن امير المؤمنين(ع): "اذا نادى مناد من السماء ان الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على افواه الناس ويشربون حبّه ولا يكون لهم ذكر غيره" مخطوطة ابن حماد ص ٩٢

وفي المرحلة الثانية يكون الخسف بالبيداء لجند السفياني فعن الباقر(ع) في رواية تفسير العياشي: فاذا خرج رجل منهم معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا.....حتى يقول هذا مكان القوم الذين يخسف الله بهم.

واما المرحلة الثالثة فهو نزول المسيح(ع) وصلاته خلف الأمام(عج) فقد ورد عن الأمام الباقر(ع): " ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا فلا يبقى اهل ملة يهودي ولا نصراني الا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي" البحار ج ١٤ ص ٥٣٠

أستنتاجات البحث

١. ان استجابة عامة الأمم والشعوب لحركة الأمام(عج) طواعية تأتي لوجود مقتضي وهو قيام الحركة على اساس الحق والعدل الواضحين، والعقل يحكم بحسنهما فمن الطبيعي ان ينجذب اليهما.

٢. ان سرعة هذه الأستجابة بالنسبة لكل شعب وامة مرهون بتحقق الشرط وارتفاع المانع، اما الشرط فهو بلوغها درجة من الرشد يمكّنها من الأنفتاح على هذه الحركة ثم الألتحاق بها، واما ارتفاع المانع فهو الأنفلات من هيمنة قوى

الأستكبار وحكام الجور وأئمة الضلال الذين يستضعفون الناس ويحولون بينهم وبين الحركة المباركة.

٣. ان الأسهام في التمهيد لظهور الأمام(عج) في عصر الغيبة يمكن ان يكون من خلال ما يلي:

آ- دعم ومساندة التجارب الأسلامية الحقة في ايران ولبنان والعراق بأعتبار انطباق معايير الكيانات الممهدة عليهم.

ب- الأنفتاح على المخالفين ومحاولة التخفيف ما امكن من الحواجز النفسية التي اوجدها حكام الجور وأئمة الضلال عبر قرون من الزمن.

ج- التشجيع على المنهج النظري التطبيقي في مختلف مجالات البحث وخصوصا العلوم الطبيعية او ما اسميناه (المنهج التوحيدي الذي تتطابق فيه السنن التشريعية والتكوينية) لأنه الطريق الذي يمهد لتحقيق فتوحات علمية واعدة.

الخصوصية الصوفية للنظرية المهدوية

الدكتور سعاد الحكيم

يُحمد لهذا المؤتمر اليوم حول "النظرية المهدوية" عدة أمور، لعل أهمّها من وجهة نظرنا ثلاثة: (١) إنّه يطرح مساحةً مشتركةً للحوار واللقاء وتبادل الرؤى في مسألة الخلاص بين المذاهب والأديان والفلسفات والحضارات. (٢) وهو أيضاً يفتح المجال لأن يمتدّ شعاع البصر إلى المستقبل في سياق تجديدي متفائل، مشبوك بالخوارق والقوى الروحيّة، ويختلف جذرياً عن مسارات الفكر الإصلاحي السائد منذ أكثر من قرنين. (٣) كما أنّ المذاكرة في الإمام المهدي تستحثّ الوعي على نقد الواقع، ومحاكمة الدول، لا بالنظر إلى التقدّم والتخلّف وأسباب العمران المادي، بل بالنظر إلى ما تملأ به الواحدةُ منهم الأرضَ من ظلم وعدوان أو من حقّ وعدل.

وبناءً على هذه الفائدة الراهنيّة للموضوع أفتح دواوين محي الدين بن عربي لأصوغ نظريته في الإمام المهدي، وأجعل مداخلتي على أربعة أقسام آمل أن تحيط بالموضوع في حدود المتاح:

القسم الأول: التاريخ قبل الإمام المهدي

١. الإمامة الظاهرة والإمامة الباطنة

يستند ابن عربي إلى حديث نبوي يقول: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير مُلْكاً" [١] ليفسّر نشأة دولة الباطن الصوفية في مقابل الدولة الظاهرة. في البدايات _ وطوال الحكم الراشدي _ كان الخليفة الحقّ أي "المستخلف عن الله" هو نفسه الخليفة

---

١. الحديث رواه أحمد في مسنده، والترمذي وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان عن سفينة مولى النبي ﷺ، ورواه أبو داود في السنة والنسائي في المناقب. [أنظر فيض القدير للمناوي ٥٠٩/٣].
ورواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي، وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه، عن سُفينة ورمز له السيوطي بالصحة، [انظر الجامع الصغير للسيوطي متن فيض القدير ٥٠٩/٣].

الظاهر. ولكن، بعد الخليفة الرابع الإمام عليّ كرّم الله وجهه، انشرخ واقع الحكم والسلطة إلى واقعين: واقع ظاهر يحكمه "الخليفة الظاهر" الذي أخذت خلافته شكل المُلْك المتوارث، وواقع باطن على رأسه الإمام الباطن أو الخليفة الباطن أو القطب وهو الخليفة الحقّ.

وحيث أن فكر ابن عربي مستمدّ من الفضاء السنيّ، نرى أنّه لا يقول بقطيعة بين الخليفتين، بل يخبر بأن الخليفة الباطن يدعم الخليفة الظاهر ويمدّه.

يصوّر في عنقاء مغرب واقعة المبايعة وكيفيّة تداخل الظاهر والباطن فيها، يقول: "واعلموا أنّ المبايعة لا تَقع إلا على الشرط المشروط [...] فقد يُبايَع شخص على الإمامة وفي غيره تكون العلامة. فتصحّ المبايعة على الصفات المعقولة [...] فيمدّ عند تلك المبايعة، للخليفة الناقص في ظاهر الجنس، الخليفةُ المطلوب يَدَه من حضرة القدس، فتقع المبايعة عليها من غير أن ينظر ببصره إليها" [1].

ويقول في بلغة الغواص ورقة ٦٠ _ ٦١: "قال (ص): الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثمّ تصير مُلْكاً. فإنّه لما ضعف الخليفة الحقّ الذي هو القطب القائم بوراثة النبوّة عن الظهور بها احتجب بالملك الذي هو الخليفة ظاهراً، وأطلق عليه اسمه لبقاء صلاح العالم به، والخليفة الذي هو القطب ناظراً إليه وقائم به وممدّ له بحسب قبوله واستعداده".

إذن، نحن أمام عالمين؛ الظاهر منهما لا يلتفت إلى الباطن، أما الباطن فيدعم الظاهر ويمدّه بحسب قبوله لهذا الإمداد ولهذا العون، لأنه إمداد لا تسيير. ولا تنحصر سلطة الإمام الباطن بإمداد الملك الظاهر بل له الإمامة الكبرى التي تجعله صاحب السلطة الفعلي في الوجود.

٢. دولة الباطن

يرسم ابن عربي في الفتوحات المكية ج ٢ ص ص ٣ _ ٢٩ هيكلية دولة الباطن. على رأسها شخص واحد هو القطب أو الإمام الباطن أو الخليفة الباطن وغير ذلك من أسماء، وتضم دولته إمامين [وزيرين] هما إمام اليمين وإمام اليسار، كما تضم أربعة أوتاد يحفظ الله بهم الجهات، وسبعة أبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، وغير ذلك كثير من رجال معدودين [عددهم محصور في الوجود] ورجال لا يحصرهم عددهم رجال المراتب [الملاميّة، العباد، الزهّاد...]. وهذه الدولة الباطنة

١. عنقاء مغرب، ص ٦٣.

المستمدة من العطاء الإلهي، بيدها القوّة الحقيقية، ولكن لا حكم لها في الظاهر في حياة البشر العامة.

٣. دولة الإمام المهدي

مع تعاقب العصور ازداد خلفاء الظاهر ابتعاداً عن الخليفة الباطن، وامتلأت الأرض ظلماً وعدواناً، وقَتْلاً وفِتَناً.. ويذكر الحديث الشريف أحداث آخر الزمان قبيل قيام الساعة، وخروج المهدي بعد ظهور الظلم والجور في الدنيا وغلبهما على الحق، وأنّه رجل من أهل بيت النبوة من بني فاطمة عليها السلام يواطئ اسمه اسم رسول الله (ص) واسم أبيه اسم أبيه (ص)، يملك الناس ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً[١].

ويتشارك المسلمون جميعاً الإيمان بخروج المهدي وبقيام دولته، نظراً لما ثبت من الحديث الصحيح. يقول ابن عربي: "إن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة، من عترة رسول الله (ص) من ولد فاطمة، يواطئ اسمه اسم رسول الله (ص)، جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله (ص) في خَلْقه - بفتح الخاء - وينزل عنه في الخُلق - بضم الخاء - لأنّه لا يكون أحد مثل رسول الله (ص) في أخلاقه، والله يقول فيه [القلم/ ٤] : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

إذن، المهدي يملك الناس ويقيم دولة بأمر من الله، لا برغبةِ إصلاحٍ يجدها في نفسه أو يدفعه إليها محيطه البشري. وفي قيام هذه الدولة مصالحة للتاريخ المنشرخ تاريخين بين الإمامة الظاهرة والإمامة الباطنة، لأنّ إمامها يردم المسافة بين الديني والسياسي بجمعه بين السلطتين الروحية والزمنية. وبالتالي يسكت النص الصوفي عن الكلام على دولة باطنة، لاتحاد الظاهر بالباطن والغيب بالشهادة.

---

١. أنظر، صحيح ابن حبان، أبو حاتم التميمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ج١٥، ص ٣٣٦، حديث رقم ٦٨٢٣ و ٦٨٢٤. والمستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ج٤، ص ٦٠٠، حديث رقم ٨٦٦٩ و٨٦٧٠ و٨٦٧١. وفي تحفة الأحوذي، يرد وخرج أحاديثه المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود والترمذي وابن ماجة والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها إلى جماعة من الصحابة.

القسم الثاني: الإمام المهدي: هويته ومنهجه

١. الهوية الروحية للمهدي المنتظر

أ. الولاية والخلافة والإمامة

إنّ المهدي_ في رؤية ابن عربي _ هو واحد من أهل ولاية الله سبحانه، بكل ما تستتبع الولاية من عرفان علمي وتصرّف في الكون بقدر ما ملّكه الله سبحانه من التصرّف فيه.

كما أنّ المهدي _ في رؤية ابن عربي _ هو واحد من أهل الخلافة الباطنة عن الله سبحانه، بكلّ ما تستتبع الخلافة من حُكْم ومُلْك.

والمهدي أيضاً _ في رؤية ابن عربي _ هو واحد من الأئمة في الكون، والإمامة "هي المنزل الذي يكون النازل فيها متبوعاً وكلامه مسموعاً" [١].

إذن، إنّ المهدي هو ولي وخليفة وإمام معاً، ولكن هل هو مطلق ولي ومطلق خليفة ومطلق إمام أم له رتبةٌ مخصوصة في هذه الدوائر لا يشارك بها ؟ وللإجابة على هذا السؤال ننتقل إلى الفقرة اللاحقة.

ب. خَتْم الإمامة بالإمام الأكبر.

يرى ابن عربي أنّ لكل أمر يخص الإنسان ختماً، فالرسالة والنبوّة خُتمتا بشخص رسول الله (ص)، فلا نبي بعده ولا رسول. وكذلك الولاية العامة خُتمت بشخص عيسى(ع)، والولاية المحمّديّة الخاصة خُتمت بشخصٍ نستشفّ من نصوص ابن عربي أنه يدلّ على نفسه.

وبناء عليه، فإنّ للإمامة أيضاً ختماً هو المهدي وهو الإمام الأكبر. وقولنا إنّ المهدي هم ختم الإمامة يعني أنّ الله سبحانه جمع له في إمامته كافّة وجوه الإمامة التي ظهرت متفرقة فيمن سبقه من الأئمة، هذا من جهة. ومن جهة ثانية إنّه لن يأتي بعده إمام يكون هو الواحد المتبوع في الزمان [٢].

يقول ابن عربي: "والإمام الأكبر المتبع الذي إليه النهاية والمرجع وتنعقد عليه أمور الأمة أجمع [...] وكلّ إمام تحت أمر هذا الإمام الأكبر، كما أنّه تحت قهر القاهر القدير، فهو الآخذ عن الحق، والمعطي بحق في حق فلا تحزبوه

---

١. انظر عنقاء مغرب، ص ٦٠.

٢. انظر المعجم الصوفي مادة "إمام" و "ختم".

وانصروه"[1].

٢. نهج الإمام المهدي

يستند ابن عربي إلى حديث نبوي ينصّ فيه رسول الله (ص) على أنّ الإمام المهدي معصوم في أحكامه، يقول (ص): "يقفو أثري لا يخطئ" [2]. ويفسّر ابن عربي سبب عصمة المهدي في أحكامه ومفارقته للخطأ بأنّه لا يحكم "إلا بما يُلقي إليه الملك من عند الله، الذي بعثه إليه ليسدّده وذلك هو الشرع الحقيقي المحمّديّ الذي لو كان محمد (ص) حيّاً ورُفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلاّ بما يحكم هذا الإمام، فيعلمه الله أنّ ذلك هو الشرع المحمدي" [3].

وينتج عن ذلك أمران:

الأمر الأول.. ارتفاع المذاهب الفقهيّة من الأرض لانتفاء الحاجة إليها بوجود الإمام المعصوم في أحكامه. يقول ابن عربي عن الإمام المهدي: "يقيم الدين، ينفخ الروح في الإسلام، يعز الإسلام به بعد ذله ويحيا بعد موته [...] يُظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله (ص) لحكم به، فيرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخاص" [4].

الأمر الثاني.. يحرّم المهدي على نفسه القياس إتّكاءً على ما يأتيه من أحكام. وهذا لا يعني أنّه غير خبير بالقياس بل العكس يعلمه ليتجنّبه. يقول ابن عربي مبيّناً عرضة القياس للغلط، وأنّه لا يصحّ أصلاً دينياً للمهدي المنصوص على عصمته في الأحكام: "فالإمام يتعيّن عليه علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهي وبين ما يكون بطريق القياس، وما يعلمه المهدي - أعني علم القياس - ليحكم به وإنّما يعلمه ليتجنّبه (...) فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها" [5].

ويقول في السياق نفسه: "فإنّ القياس ممن ليس بنبيّ حكم على الله في دين الله بما لا يعلم، فانّه طرد

---

١. عنقاء مغرب، ص ٦١.
٢. الفتوحات ج٣، ص ٣٣٥ و ٣٣٨.
٣. الفتوحات، ج٣، ص ٣٣٥ و ٣٣٨.
٤. م.ن، ص ٣٣٧.
٥. م.ن، ص ٣٣٥.

علّة، وما يدرك لعلّ الله لا يريد طرد تلك العلّة ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله (ص) وأمر بطردها. هذا إذا كانت العلّة مما نصّ الشرع عليها في قضيّة فما ظنّك بعلّة يستخرجها الفقيه بنفسه ونظره من غير أن يذكرها الشرع بنص معيّن فيها، ثمّ بعد استنباطه إيّاها يطردها، فهذا تحكّم على تحكّم بشرع لم يأذن به الله. وهذا يمنع المهدي من القول بالقياس في دين الله. ولا سيما وهو يعلم أنّ مراد النبي (ص) التخفيف في التكليف عن هذه الأمّة، ولذلك كان (ص) يقول: "اتركوني ما تركتكم"، وكان (ص) يكره السؤال في الدين خوفاً من زيادة الحكم" [١].

القسم الثالث: أعمال الإمام المهدي.. دولة الخوارق

تظهر أعمال الإمام المهدي في التبديل الذي يجريه في أحوال أهل الأرض، وهذا التبديل لا يتمّ بناء على قدرات ماديّة فقط بل يظهر المهدي بالخوارق. لكأنّ دولته هي دولة تقوم على قوى روحانيّة ربانيّة، تتعدّى القوى الماديّة المعروفة في الأرض في زمانه وتنتصر عليها.. إنّها تشبه في الملك ملك سليمان (ع) وتتخطّاها في أمور، لأنّها مظهر مُلْك محمّد رسول الله (ص)، يقول ابن عربي: "ومحمّد (ص)... الرحمة للعالمين ذاتاً وصفاتاً، وتمام ملكه موقوف على ظهور المهدي" [٢].

وهذه القوة التي تطبع دولة المهدي تدعو إلى التفكّر في التصوّر الإسلامي للخلاص في آخر الزمان، وأنّه لن يتم إلاّ باتحاد الباطن بالظاهر، والتحقق بالقوة الخيّرة التي تقيم دولة الحق والعدل في مواجهة القوة التي تقيم الدولة الظالمة الجائرة.

ومن أبرز التغييرات التي يقوم بها المهدي في الأرض:

أ) من الجور إلى العدل.. وهذا التغيير بشّر به رسول الله (ص)، وشهد له بالصوابيّة والعدل. وقد سبق قول ابن عربي "إنّ لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً".

ب) من الضعف إلى القوة.. تبرز القوة الظاهرة كقيمة في زمن المهدي، ويصبح النصر علامة على التقوى والقرب وكلّ أشكال الولاية. يقول عنه ابن عربي: "يخرج على فترة من الدين، يزع الله به ما لا يزع بالقرآن (...) يمشي النصر بين يديه" [٣]. وفي سياق آخر يقول: "فهو [= ختم الولاية المحمّديّة] والقرآن أخوان،

١. الفتوحات، ج٣، ص ٣٣٧.

٢. بلغة الفواص، ورقة ٦٠.

٣. الفتوحات، ج٣، ص ٣٣٧.

كما أنّ المهدي والسيف أخوان" [١].

ج) من الجهل إلى العلم.. تعمّ المعرفة في زمن الإمام المهدي، لوجوده كمنبع عرفان في زمنه، وكذلك لانبساط اللطيف على الكثيف والروح على الجسد. يقول ابن عربي: "ويُعرف ما أشار إليه (ع) من عموم البركات عند ظهور المهدي، حتى يكلّم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وفخذه بما عمله أهله من بعده. وتُفتح القسطنطينية بغير سلاح إلى سائر ما ذكر (ص) لعموم انبساط اللطيف على الكثيف" [٢].

د) من الفقر إلى الغنى.. يقول ابن عربي: "يقسم [المهدي] المال بالسويّة، ويعدل بالرعيّة، ويفصل في القضيّة، يأتيه الرجل فيقول له: يا مهدي أعطني، وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله" [٣].

وبذلك تكون المعايير التي دافع عنها الصوفي وخاصة الفقر، قد تغيّرت لتغيُّر الزمان والإنسان، فالغنى أصبح أحد مقومات القوة، وبالتالي من كمال الإمامة.. ولا يجرح غنى اليدّ نقاءَ القلب من شهوة المال.

القسم الرابع: وزراء المهدي

تتكامل دولة المهدي بعدد من الوزراء، أصحاب قدرات مخصوصة، يعينونه على القيام بأعباء ملكه. يقول ابن عربي مخبراً عن أعداء المهدي ومبايعيه ووزرائه: "أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه. يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم. يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي. له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلّده الله" [٤].

وقد أفرد ابن عربي باباً في الفتوحات المكية هو الباب السادس والستون وثلثمائة، عنوانه: "في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الذي

١. م.ن، ص ٣٣٩.
٢. بلغة الغواص، ق ١٣٢ - ١٣٣.
٣. الفتوحات، ج٣، ص ٣٢٧.
٤. الفتوحات، ج٣، ص ٣٢٧.

بشّر به رسول الله (ص) وهو من أهل البيت" [١].

وهؤلاء الوزراء عددهم دون العشرة تأكيداً، لهم القدم الراسخ في الصدق، والمهدي أصدق أهل زمانه، فوزراؤه الهداة وهو المهدي، لذلك ينصره الله ومن تابعه، لأنّ النصر أخو الصدق حيث كان يتبعه [٢]. ويدلّل ابن عربي على التصاق النصر بالصدق بعدم انهزام المسلمين قط، كما أنّه لم ينهزم نبي قط ويرى ابن عربي أنّه حتى لو تقابل جمعان متناقضان في العقيدة، فالغلبة ليس لمن عقيدته حقّة بل الغلبة للصادق في قضيته وإن كانت باطلة.. لأنّ النصر أخو الصدق [٣].

ويتردد ابن عربي في إثبات عدد وزراء المهدي، ويربط عددهم بعدد سنيّ دولة المهدي. وحيث أنّ مدة إقامة دولته من خمس إلى تسع، فيكون وزراؤه لا أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة، لأنّه لكل عام في دولته "أحوال مخصوصة، وعلم ما يصلح في ذلك العام خُصّ به وزير من وزرائه" [٤]. ويُقتلون كلّهم إلاّ واحداً منهم.

ولا يظلّ ابن عربي متردداً في عدد الوزراء، بل يحسم بالرقم تسعة إثر لقاء حمل إليه تعريفاً دون طلب منه، يقول: "قيض الله واحداً من أهل الله تعالى وخاصته، يقال له أحمد بن عقاب اختصّه الله بالأهليّة صغيراً، فوقع منه ابتداءً ذكر هؤلاء الوزراء، فقال لي: هم تسعة، فقلت له: إن كانوا تسعة فإن مدة بقاء المهدي لا بدّ أن تكون تسع سنين" [٥].

إن ما استفاد ابن عربي من أحمد بن عقاب هو عدد وزراء المهدي، أما ما تحتاجه دولة المهدي من علوم ويقوم به الوزراء، وبغض النظر عن عددهم، فهي تسعة علوم لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك [٦] ويعرف ذلك ابن عربي دون الرجوع إلى أحد. وهذه العلوم التسعة هي:

١. نفوذ البصر.. وذلك "ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة في المدعو إليه لا في المدعو، فينظر في عين كلّ مدعو ممن يدعوه فيرى ما يمكن له الإجابة إلى دعوته

١. وهذا الفصل يبلغ عدد صفحاته حوالي ثلاث عشرة صفحة، وهي في الجزء الثاني من صفحة ٣٢٧ إلى ص ٣٤٠.
٢. الفتوحات، ج٣، ص ٣٢٩.
٣. م.ن، ص.ن.
٤. م.ن، ص ٣٣١.
٥. الفتوحات، ج٣، ص ٣٣١.
٦. م.ن، ص ٣٣٢.

فيدعوه من ذلك.. فإنّ المهدي حجة الله على أهل زمانه" [١].

٢. معرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء.. وهو قوله تعالى [الشورى/ ٥١] : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾. أما الوحي فهو ما يلقيه في قلوبهم على جهة الحديث، وأما قوله ﴿ أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ فهو خطاب إلهي يلقيه على السمع لا على القلب فيدركه من ألقي عليه فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك. وأما قوله ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ فهو ما ينزل به الملك أو ما يجيء به الرسول البشريّ الينا إذا نقلا كلام الله خاصة [٢].

٣. علم الترجمة عن الله.. يكون المترجم خلاقاً لصور الحروف اللفظية أو المرقومة التي يوجدها ويكون روح تلك الصور كلام الله لا غير، فإن ترجم عن علم فما هو مترجم [٣].

٤. تعيين المراتب لولاة الأمر.. وهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح، "فينظر صاحب هذا العلم في نفس الشخص الذي يريد أن يولّيه ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة، فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاّه، وإن رجح الولي فلا يضرّه، وإن رجحت كفة المرتبة عليه لم يولّه" [٤].. وهذا الميزان رمز لدور المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

٥. الرحمة في الغضب.. وهذا لا يكون إلا في الحدود المشروعة، لأن الإنسان إذا غضب لنفسه فلا يتضمن ذلك الغضب رحمة بوجه، أما إذا غضب لله ففضبه غضب الله سبحانه، وغضب الله لا يخلص عن رحمة إلهية تشوبه.. وفي هذا السياق قال أبو يزيد البسطامي: بطشي أشدّ لما سمع القارئ يقرأ [البروج/١٢]: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾. والسبب: إنّ بطش الإنسان بالإنسان لا رحمة فيه، أما بطش الله سبحانه فيأتي على رحمة سبقت. والمهدي لا يغضب إلا لله، فلا يتعدّى في غضبه إقامة حدود الله التي شرعها [٥].

٦. علم ما يحتاج إليه المُلْك من الأرزاق.. يعلم أصناف العالم ويوفر لهم الأرزاق

---

١. م.ن، ص.ن.

٢. م.ن ص.ن.

٣. م.ن، ص.ن.

٤. الفتوحات، ج٣، ص ٣٣٣.

٥. م.ن، ص.ن.

الروحيّة والمحسوسة [١].

٧. علم تداخل الأمور بعضها على بعض.. وهو معنى قوله [الحج/ ٦١]: ﴿يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ﴾ .. وهو علم التوالد في المعاني والمحسوسات [٢].

٨. المبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس.. وهذا يتعيّن "على الإمام خصوصاً دون جميع الناس، فإنّ الله ما قدّمه على خَلْقه ونصبه إماماً لهم إلاّ ليسعى في مصالحهم [...] فإذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيّته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنّه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل، ولا فرق بينه وبين العامة" [٣].

٩. الوقوف على علم الغيب.. وهذا الإمام "له اطلاع من جانب الحق على ما يريد الحقّ أن يحدثه من الشؤون قبل وقوعها في الوجود، فيطّلع في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن، فإن كان ممّا فيه منفعة لرعيته شكر الله وسكت عنه، وإن كان فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم وشفع وتضرّع، فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته" [٤].

****

وفي الختام.. أورد نصاً لابن عربي يظهر إيمان ابن عربي بخروج المهدي وانتظاره، وقناعته بأنّ رجال المهدي لا يمنعهم عن نصرته السدّ المُتوهّم بين الماضي والحاضر.. يقول [٥]:

"... فيا منظور الناظر، ويا من بظهوره بطش الملك القادر، ويا ولي الله، ويا خليفة الملك القاهر. أما انسلختَ من الأصلاب والأرحام، أما أُمرتَ بتبديل هذه الأحكام.. السموات والأرض ومَنْ فيهن بانتظارك، والوجود متشوّق إلى إسفارك. اللهم إنّا نؤمن بولايته، وخلافته، وإمامته، وهدايته، ولا نلحد فيه إلحاد الغافلين، ولا ننكره إنكار العالين، وننتظره مدّة حياتنا، إيماناً بك، وتصديقاً لرسولك. فلا تحرمنا إن لم تقسم لنا رؤيته أجر اتباعه. واكتبنا في عدد أنصاره وأشياعه".

---

١. م.ن، ص ٣٣٤.
٢. م.ن، ص ٣٣٥.
٣. الفتوحات، ج٣، ص ٣٣٦.
٤. م.ن، ص ٣٣٧.
٥. بلغة الغواص، ق ٦٤.

عالمية الخلاص وحتمية الظهور في الفكر السياسي

الدكتور علي أبوالخير[1]

مقدمة الخلاص في الأديان والأدبيات السياسية

إن فكرة " المنتظر " فكرة تكاد لا يخلو منها مجتمع بشري أو عقيدة دينية، فجذور الانتظار تضرب في أعماق التاريخ والمعتقد الديني، وهي فكرة مرادفة لمفهوم الخلاص، والخلاص شعور إنساني عام، وهو آتٍ من الشعور الديني، لأن الفكر الإنساني جاء في الأصل من الفكر الديني، وسوف نفاجأ بأن الفكر السياسي له نفس الشعور الإنساني في انتظار الخلاص، وما المحاولات الدءوب في الفكر السياسي الغربي المعاصر لنشر نظريات مثل نهاية العالم أو صدام الحضارات أو العولمة، ما هو إلا اختصار الطريق من أجل التمهيد لخلاص البشرية من مفهوم أحادي النظرة، وعنصري الشروح والتعليقات، لأن التبشير بنهاية العالم يعني وصول الإنسان للخلاص بالاندماج في الغرب، وهو نفس ما يشير للعولمة وصدام الحضارات من أجل سيادة الجنس الأبيض، فالخلاص إذن له وجود في الفكر السياسي رغم أنه فكر مغلوط، ولكن وبنفس الدرجة نجد تلك المفاهيم عند الشعوب الأخرى في فترات تاريخية، فكانت النظرية الشيوعية الجدلية تبشر الشعوب بالخلاص في شيوع الملكية، وهو ما تحاوله الرأسمالية الغربية الآن، ولكن تلك المحاولات السياسية لم تجد يوما ما يجمع الناس من حولها، لأنها ابتعدت عن الفكر الإنساني المرتبط بالوحي الإلهي، فالخلاص له امتداد روحي وديني وعقلي في أدبيات الأديان ووجدان الشعوب وضميرها، ولو نظرنا إلى فكرة المخلص الموعود

---

١. كاتب مصري

نجدها في الأديان السماوية واضحة أكثر من الديانات الوضعية والأفكار البشرية السياسية والاجتماعية، ولأن هناك إجماع بين الديانات السماوية على حقيقة ظهور المخلص يوما، كان علينا التأكد منه بالحقيقة لا المجاز، وسوف نجد أنه واحد في أدبيات الديانات، هو المهدي، الإمام محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، وهو ما يظهر لنا في هذا البحث، لأن عقيدة انتظار المهدي ليست حكراً على الديانة السماوية الإسلامية وإنما احتوتها الديانات السماوية الأخرى(اليهودية والمسيحية) لكن بلفظ المنقذ أو المخلص، والفكر الوضعي البشري فيه هو الآخر تصور إمكانية خروج منقذ أو مخلص يقود العالم إلى حيث الرخاء والعدل والطمأنينة وذلك للأسباب التالية:[1] ـ ١. إن عقيدة انتظار مخلص أو منقذ أو مصلح عالمي ينشر العدل والرخاء في ظهوره، وتتطهر الأرض من الظلم والقهر، من العقائد البارزة التي تؤمن بها العقائد أو الديانات الوضعية سواء أكانت سماوية أو فكراً إنسانيا وضعياً، حيث كان للظواهر الطبيعية والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية دوراً في ظهور عقيدة الانتظار، وقد اختلفت شخصية هذا المنقذ عند العقائد الوضعية، فنلاحظ مثلاً انه النيل عند المصريين القدامى، وتارة أخرى تمثلت شخصيته بالإله تموز عند العراقيين القدامى، وأخرى تمثلت في شخصية (كرشنا) و(رامي) عند الديانة الهندوسية، وبوذي عند الديانة البوذية، وزرادشت عند ديانة الفرس القديمة، وأخرى تظهر لنا بطبقة البروليتاريا عند المفكرين الماركسيين، أي أن كل الأدبيات تظهر حتمية ظهور المخلص بعد انتظاره، لأن فكر الإنسان مرتبط بما أودعه الله في عقل الإنسان ووجدانه، وإن تنكب هذا الإنسان في معرفة ماهية من ينتظر وموعد انتظاره. ٢. وهنا تلتقي العقائد الوضعية مع بقية الأديان السماوية الأخرى، كالديانتين اليهودية والمسيحية في عقيدة انتظار منقذ، والمنتظر المنقذ عند الديانة اليهودية هو المسيح المنتظر، وهو ليس النبي عيسى بن مريم (عليهما السلام) كما تعتقد به الديانة المسيحية، بل تؤمن الديانة اليهودية بأن الذي وعد به اليهود لم يأت، لذلك هم ما زالوا ينتظرون مجيئه ليحقق منجزاته الكبرى.[2]

٣. إن انتظار منقذ ومخلص لدى اليهود كان يأخذ أبعاداً وتيارات عديدة، فهناك تيار من يفسر انتظار المنقذ لظروف قاسية التي عاشها الشعب اليهودي أثناء وبعد السبي البابلي والذي أدى إلى اضطهادهم من الشعوب الأخرى، وتيار آخر يفسر بأن الانتظار هو فكرة غير أصيلة لدى الديانة اليهودية، بل مستمدة من الديانات الأخرى نتيجة لخضوعهم لها كالديانة الفارسية، أما الاتجاه الآخر وهم الأصح، هو الذي يفسر هذه الفكرة بأنها أصيلة وذلك لوجود كثير من النصوص القدسية في مصادرهم التي يعتقدون بها.

٤. تعتقد الديانة المسيحية، كاليهودية، بالمسيح المنتظر أو المخلص، لكنها تختلف

في مسألة المجيء، فالديانة المسيحية تؤمن بأن مجيء المنتظر قد تم على يد المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، لكن الذي ظهر بعد ذلك اعتقاد بأن مجيء المسيح المنتظر سوف يكون المجيء الثاني، وعليه فإن الديانة المسيحية تعتقد أن المسيح هو (المخلص) للشعب والمصحح لمسيرة اليهودية، وقد أطلق على هذا المخلص اسم (يسوع المسيح) أو ابن الله، وقد ورد ذكره في العديد من التنبؤات في كتاب العهد الجديد والتي تتحدث عن مخلص آخر الزمان،[٣] وقد تبنى الفكر السياسي الغربي هذا المفهوم وأصّله بحيث صار الخلاص بالمعنى السياسي وحده، ويظهر ذلك في دعاوى الاستعمار قديما والعولمة حديثا.

٥. إن عقيدة المسيح المنتظر احتلت مكاناً بارزاً في الذهن الأميركي المعاصر، وذلك من خلال المفهوم البروتستانتي الذي جعل العهد القديم مقدمة للعهد الجديد، أي أن التوراة أم الإنجيل، أو مبشرة به، فأتى ذلك من خلال ظهور العديد من الاعتقادات بالانبعاث اليهودي وبالعصر الألفي السعيد، وبظهور المسيح المنتظر في الوجدان الأميركي، حيث طوي الميل إلى الاعتقاد بأن عودة اليهود إلى فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية شرط ضروري لمجيء المسيح المنتظر، ومن ثم نجد الدعم الديني للفكر الوضعي الذي يجعل من الدولة الأمريكية تأخذ على عاتقها حماية اليهود والسعي للعودة بهم للأرض المقدسة في فلسطين.

٦. إن الديانتين اليهودية والمسيحية تلتقي مع العقائد الوضعية من حيث مضمون فكرة الاعتقاد بانتظار منقذ أو مصلح أو مخلص ينقذ البشرية من الظلم، وان اختلفت أسباب هذا الاعتقاد كما بينا سابقاً، جوهره يكمن في الاضطهاد والظلم والقهر، وقد أضافت الديانتان اليهودية والمسيحية أسباباً أخرى جعلت من مضمون فكرة الاعتقاد بالمنتظر فكرة أصيلة وذلك لوجودها في معتقداتهم وتعاليمهم ومصادرهم القدسية.

٧. تلتقي العقائد الوضعية والسماوية اليهودية والمسيحية مع الدين الإسلامي الذي يرى ضرورة الثورة العالمية ضد الظلم الذي أرتكب بحق الإنسان، وتعد عقيدة انتظار مخلّص أو منتظر منقذ للبشرية من الظلم واحدة من العقائد المهمة بل والأساسية عند المسلمين، والمنتظر عندهم هو الإمام المهدي (عج).[٤]

٨. إن عقيدة انتظار المهدي (عج) موضع اتفاق بين المذاهب والفرق الإسلامية، وذلك لأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي أوردت خبر المهدي (عج) وانتظار الفرج في ظهوره ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وردت عند كل من أئمة وعلماء السُنّة والشيعة.

٩. تعد عقيدة انتظار المهدي (عج) عند أهل السنة من العقائد المهمة، وهي حلقة الوصل بين العلامات الصغرى والعلامات الكبرى، فهي عندهم شرط من أشراط

الساعة الكبرى، وأن الإيمان ببعثه واجب شرعي، وهو أصل من أصول العقيدة وذلك لبلوغ الأحاديث التي ذكرت خبره حد التواتر، ومن ينكر ويجحد خبر المهدي (عج) يدخل قي دائرة الكفر ويخرج عن الملّة.

١٠. المهدي (عج) عند أهل السُنّة هو الإمام أو الخليفة الذي سيقود المسلمين، وهو من أهل البيت نسباً، حيث ستكون خلافته، حسب اعتقادهم، على منهاج النبوة، وهو رجل شاب من المسلمين من آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ولد الحسين بن علي وفاطمة (عليهما السلام) وهو لم يولد بعد، أسمه محمد بن عبد الله، أي أسمه على أسم النبي (ص) وأسم أبيه على أسم والد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

١١. يؤمن المسلمون الشيعة الأثنى عشرية بعقيدة انتظار المهدي (عج)، كما هو عند أهل السُنّة، حيث لا فرق بين الجميع في شخصيته ومواصفاته التي ذكرها الرسول (ص) ولا في علامات ظهوره ومعالم ثورته، لكن الفرق الوحيد هو في ولادته، حيث يعتقد أهل السنة أنه لم يثبت انه مولود وغائب، بل سيولد ويحقق ما بشر به النبي (ص)، بينما يعتقد الشيعة الاثنا عشرية بولادة المهدي (عج)، حيث ولد في بيت أبيه الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) في سامراء في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ

١٢. المهدي المنتظر (عج) عند الشيعة الاثني عشرية هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

١٣. أن للمهدي المنتظر (عج) عند الشيعة الاثني عشرية غيبتان، صغرى وكبرى، وأن سبب الغيبة يتمثل في ظلم الحكام وتضييقهم ومحاولاتهم في قتله، وكذلك قلة ناصريه.

١٤. يعتقد الشيعة الاثنى عشرية بأن الإمام المهدي (عج) تولى الإمامة بعد وفاة أبيه الحسن العسكري (ع) وهو صغير السن، وكان عمره آنذاك خمس سنين، لهذا تسمى بالإمامة المبكرة وقد برر علماء الشيعة هذه القضية بقولهم : إن الإمامة هبة يمنحها الله تعالى لمن يشاء من عباده ممن تتوفر فيهم عناصر الإمامة وشروطها، واللطف فيض الهي، فمن لطفه سبحانه وتعالى ورحمته أن يهيئ للإنسان سبيل الهداية، وكذلك إن إمامة المهدي (عج) لم تكن الحدث الوحيد من نوعه، فقد أوتي النبي يحيى (ع) الحكم صبياً، كذلك هو الحال مع النبي عيسى (ع)، وقد أضاف علماء الشيعة تبريراً آخر، وهو أن الإمامة المبكرة ظاهرة سبقه إليها عدد من آباءه (عليهم السلام)، كإمامة محمد الجواد (عليه السلام)، وإمامة علي الهادي (عليه

السلام) وإمامة الحسن العسكري (عليه السلام) والد القائد المنتظر (عج).

١٥. هناك إشكالية أثيرت على طول عمر الإمام المهدي (عج) وقد ورد عليها الباحثين من الشيعة الاثني عشرية من جانبين وهما: الجانب العقلي والجانب العلمي.

١٦. طرح الباحثون من إتباع الفكر السياسي الإسلامي الاثني عشري المعاصر سؤالا على أنفسهم وهو: ما الغاية من طول عمر الإمام المهدي (عج) ؟ وكانت إجابتهم متعلقة بجانبين هما: الجانب الأول يتعلق بشخصية الإمام لمهدي (عج)، وهي ضرورة إطالة عمره وذلك لأن عملية التغيير الكبرى تتطلب قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى قد بنيت شخصيته بناءً كاملاً، وبصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة المادية التي يقدر في اليوم الموعود أن يحاربها، أما الجانب الثاني فيتعلق بالمنتظرين للإمام المهدي (عج) وذلك لعدم وجود العدد الكافي من الأنصار من الناحيتين الكمية والكيفية أدى بالنتيجة إلى تأخر ظهوره وطول عمره (ع).

١٧. إن عقيدة انتظار المهدي (عج) على الرغم من أصالتها في الفكر السياسي الإسلامي إلا إن هناك من يرفض هذه العقيدة، وكانت مبرراتهم تتمحور بعدة جوانب منها: بأن المهدي (عج) هو عيسى بن مريم (عليهما السلام) استناداً إلى أحاديث ضعيفة، كذلك هناك من يبرر بأن أحاديث المهدي (عج) المروية عن الرسول (ص) كانت ضعيفة، ومن احتج بذلك كان (ابن خلدون)، وهناك من يرفض هذه العقيدة لأنه يعتبرها خرافة قد كونها الشيعة لكونهم قد تميزوا عن الفرق الإسلامية الأخرى وذلك لاهتمامهم المتزايد بهذه العقيدة، وأدت بالنتيجة إلى ظهور أدعياء البابية والمهدوية، ومنهم من يرفض عقيدة انتظار المهدي (عج)، وذلك لأنه يعتبرها مستمدة أو مقتبسة من مصادر خارجية كاليهودية، وبعض آخر يرفضها ويبرر أن هناك عوامل داخلية تتمحور بالظروف الاجتماعية والسياسية أدت بالنتيجة إلى ظهور هذه العقيدة التي تقوم بتدعيم العامل النفسي للناس وخلق نوع من المشروعية في نفوسهم، وعلى الرغم من ذلك ظهر الكثير ممن يرد على مبرراتهم ومنها: أن حديث لا مهدي إلا عيسى ابن مريم وهو حديث ضعيف لا يستند عليه، أما الرد على ابن خلدون فان هذا الشخص يعتبر من الشخصيات المؤرخة وليس محدثاً من أهل الاختصاص في تخريج الأحاديث المروية عن الرسول محمد، كذلك يمكن اختصار الردود عليهم هو في كثرة الأحاديث المروية عن الرسول (ص)، وتواترها بين فرق المسلمين كافة، والتي ذكرت خبر المهدي (عج) وانه من أهل بيته وانه يملأ الأرض عدلاً مثلما ملأت جوراً.

١٨. إن عقيدة انتظار المهدي (عج) قد تركت أثراً واضحاً في الفكر السياسي

الإسلامي المعاصر وذلك من خلال إنتاجها نظريتين هما : نظرية الانتظار السلبي ونظرية الانتظار الايجابي.

١٩. إن نظرية الانتظار السلبي هي المفهوم والممارسة الخاطئة لعقيدة انتظار المهدي عند المسلمين، فأصحاب الانتظار السلبي عند الشيعة الاثني عشرية يعتقدون بأن مسألة ظهور المهدي (عج) تعتمد على تحقيق (الشرط الموضوعي) ويعنون به : هو امتلاء الأرض بالمفاسد والمظالم، كذلك يعتقدون بأن العمل السياسي في غيبة الإمام المهدي (عج) ليس صحيحاً لهذا يدعون إلى إلغاء مشروع الدولة الإسلامية، وتعطيل مبدأي الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم في هذا الشأن عدة مبررات ومرتكزات يرتكزون عليها، وهي مجموعة من النصوص القرآنية والروايات المروية عن الرسول (ص)، والتي تم تفسيرها بشكل خاطئ، والتي تدعو، حسب اعتقادهم، إلى عدم الخروج على السلطان الجائر خشية من هلاكهم، لذلك فهم في هذا الجانب يشتركون مع أهل السنة، لكنهم يختلفون في سبب عدم الخروج، فأهل السنة لا يخرجون على السلطان الجائر وذلك خشية من الفتنة والفوضى التي ستحدث بين الناس في حالة إطاحتهم بالحاكم الجائر، وفي كل الأحوال فإن هذه الأمور تتعارض مع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعوا إلى عدم إطاعة الحاكم الجائر، إما خوفاً منه أو خشيةً من الفتنة، وذلك الأمر يؤدي إلى إبقاء الفساد وتكراره ويجعل الأمة بلا انتظار، لأن الانتظار الصحيح هو الاستعداد لخلق وصناعة المستقبل وفق القيم والمبادئ التي جاءت بها تعاليم الدين الإسلامي.

٢٠. إن نظرية الانتظار الايجابي هي المفهوم والممارسة الصحيحة لعقيدة انتظار المهدي عند المسلمين، فأصحاب الانتظار الايجابي عند الشيعة الاثني عشرية يعتقدون بأن ارتباطهم بعالم الغيب لم ينقطع، وأنهم بذلك يترقبون ظهور الإمام المهدي (عج) دائما وفي أي لحظه، كذلك يعتقدون إن انتظار الإمام لا يعني أن يتخلى المسلمون عن مسؤولياتهم وواجباتهم، بل الأمر على العكس من ذلك، بل دعوا إلى تهيئة الأرضية المساعدة لإقامة حكومة العدل فيربوا الأفراد والمجتمع ليكون مجتمعاً يسعى نحو الحق، كذلك دعوا إلى مقارعة الظلم، لذلك كانت نظرتهم إلى كل مسلم بأن يضحي في سبيل الإيمان والإسلام لكي يكون مستعداً في كل آن لاستقبال دعوة الإمام المهدي (عج)، وذلك بأن ينظم حياته بشكل لا يتناقض مع دعوة الإمام المهدي (عج)، لكي يكون مؤهلا للانخراط مع أتباعه وأنصاره ويقارع أعداءه بكل ثبات، وعليه فان هناك عدة تكاليف يلتزم بها المسلم أثناء مدة غياب الإمام المهدي (عج) وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة فريضة

الجهاد بشقيه الجهاد الابتدائي والجهاد الدفاعي، والعمل بالتقية في الظروف القاهرة التي لا يستطيع فيها المؤمن أن يعلن عن مواقفه صراحة، فهي صيانة للنفس والعرض والمال، لكنها تحرم في ظروف أخرى إذا ترتب عليها مفسدة أعظم، كهدم للدين أو قتل للنفس أو ضرر بالغ على المسلمين، كذلك من تكاليف المؤمن أثناء فترة غياب الإمام هو انتظار فرجه والدعاء بتعجيل ظهوره، وذلك لأن الصبر على انتظار فرج ظهور الإمام المهدي (عج) يعد عبادة وجهاداً للمنتظرين المؤمنين، حيث يعد عصر غيبة الإمام المهدي (عج) هو مدة لاختبار النفوس ضعيفة الإرادة التي لا تصبر على تحمل انتظار خروجه لذلك يحصل لديهم حالة من اليأس والقنوط في خروجه، فهم بهذه الحالة يفشلون في هذا الاختبار الإلهي، لذلك يجب على المكلف الصبر على انتظار وترقب ظهور الإمام المهدي (عج)، أما وجه الإكثار من الدعاء بتعجيل ظهوره لأن فيه تقوية للارتباط بالله سبحانه وتعالى، حيث تصنع في داخلهم حالة من الانصهار الروحي والوجداني مع الإمام المهدي (عج)، كذلك من تكاليف المؤمن أثناء فترة غياب الإمام المهدي (عج) هي التمهيد أو التوطئة العملية لظهور الإمام (عج)، أي بعبارة أخرى، تمهيد الأرض لظهور الإمام (عج)، ويتم ذلك عن طريق تهيئة كوادر مدربة ومؤهلة لنصرة الإمام المهدي (عج) وإعدادها بشكل صحيح عن طريق التوعية والتربية الإيمانية والجهادية وتهيئة الأجواء الفكرية والنفسية لاستقبال الإمام (عج)، كذلك لابد من تهيئة الآلية السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والإعلامية لثورة الإمام (عج)، وذلك لأن لهذه الثورة مهمة كبيرة تتمثل في مواجهة طغاة الأرض الذي يقفون بالضد من الإسلام، ومن تكاليف المؤمن أيضاً هي التعرف على علامات ظهوره (عج) وذلك لأنها تعدهم نفسياً وإيمانيا واجتماعياً لاستقبال ظهوره والقيام بمسؤولياتهم لنصرة ثورته، أما أهل السنة فهم يشتركون مع الشيعة الاثني عشرية في هذه التكاليف ووجوبها على المؤمنين في مدة عدم ولادته ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك دعوتهم إلى الجهاد الابتدائي والجهاد الدفاعي، حيث أنه على الرغم من إيمانهم بظهور المهدي (عج)، فهم لا يعلقون إقامة الفرائض المطلوبة منهم شرعاً على ظهور الإمام (عج)، كذلك لا يتركون العمل لإقامة الحكومة الإسلامية التي تحكم بما أنزل الله عليها من نصوص شرعية تدعو إلى حماية الدين والدعوة إلى نشره، كذلك الدفاع عن المسلمين ومقدراتهم في حالة وجود المهدي (عج) وعدم وجوده.[٥]

٢١.ساد اتجاه، نظرية الانتظار الايجابي، الذي يؤمن بإقامة حكومة إسلامية تقوم بتحكيم الشريعة الإسلامية، وقد ضم هذا الاتجاه نظريتين تختلف في الآلية التي تعين صاحب الولاية في الدولة ومصدر شرعيته، وهاتان النظريتان هما: نظرية

الشورى ونظرية ولاية الفقيه.

٢٢. نظرية الشورى هي إحدى نتاجات مدرسة الخلافة لأهل السنة وبعض اتجاهات مدرسة الأمامية لدى الشيعة الاثني عشرية، حيث تعد الخيار الأبرز لمدرسة الخلافة، وذلك لتأكيدها على وجوب الشورى على الحاكم والزاميتها له، وبالتالي تؤدي إلى الحد من الاستبداد والتحكم والسيطرة وتقليص دور حكم المستبد والاهتمام بدور الجماعة، لكنها في الوقت نفسه، لم تجد التطبيق الفعلي لها في العصر الحديث ولم ترتبط بنظام معين في دولة معينة إلا في تجربة الجمهورية الإسلامية في إيران، حيث تم التوصل إلى شكل من أشكال التنظيم السياسي الذي يوفق بين الانتخابات وبين مفاهيم الشريعة.

٢٣. إن نظرية ولاية الفقيه في الفكر السياسي الاثني عشري المعاصر تعني بأن الحكم ينحصر فعلياً في الفقهاء، ويمنع عمن سواهم في الاشتراك فيه، أي إلغاء الدور السياسي للأمة وذلك لأنها تتعامل مع فقيه منصّب من عند الله (عز وجل)، لذا لا يمكنها الاعتراض عليه أو انتقاد سياسته، ويطلق على هذه النظرية تسمية (نظرية ولاية الفقيه المطلقة)، أما نظرية ولاية الفقيه المقيدة، أي المقيدة بدستور، يمكن أن يطلق عليها تسمية (نظرية ولاية الفقيه والشورى)، حيث أنها نظرية تتوسط بين نظرية ولاية الفقيه ونظرية الشورى، فهي تشترط في ولي الأمر أن يكون فقيهاً ولكن يتم اختياره عن طريق الشورى، أي انتخاب الأمة له،وهذا هو الذي يمنحه شرعية ممارسة الحكم.[٦]

٢٤. إن نظرية ولاية الفقيه والشورى، هي النظرية الحاكمة فعلياً في النظام السياسي الإيراني المعاصر، على مستويي الدستور والتطبيق.

٢٥. تلتقي نظرية الشورى لمدرسة الخلافة مع نظرية ولاية الفقيه لمدرسة الإمامة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر في معظم الأهداف، وفي مقدمتها السعي إلى تشكيل حكومة إسلامية تصون مبادئ الدين الإسلامي وتدفع الظلم عن المسلمين وذلك بالمحافظة على حقوقهم، كذلك فإن بعض اتجاهات مدرسة الخلافة يشترط العلم بالفقه في الحاكم، وهذا الرأي يلتقي، كما هو معروف، مع المدرسة الأمامية الاثني عشرية في هذا الموضوع، مما يسهل تشكيل قاعدة لتوحيد الركائز بينهم٠٠٠أ٠هـ، ومن هنا ندرك أن أمر وجود المخلص يقيني في الفكر السياسي والديني على السواء، ولأن الإسلام هو آخر الديانات، فقد عرّف ماهية المخلص وحقيقته، كما دعا الناس لانتظاره الدائم. الخلاص وعلم المستقبليات والسياسة يتضح أن الفكر الإنساني ارتبط بفكرة انتظار المخلص، وهي الفكرة التي ألهمت البشر بما عرفه العالم مؤخرا بعلم المستقبليات ؛ وهو علم يقوم على أسس علمية متخذا من نظرية الاحتمالات الإحصائية منهجا استقرائيا في كيفية قراءة المستقبل

المنظور وغير المنظور؛ وهذا العلم قد يبدو متقاربا مع التنبؤ ؛ ولكنه يتخذ من التنبؤ أصلا علميا في قراءة المستقبل ؛ ويطبق هذا العلم على النمو السكاني والموارد البشرية والتخطيط لهما ؛ كما يشمل علم المستقبليات تحديد السياسات الداخلية والخارجية للدول ؛ وقياس ردود الأفعال عند الشعوب ؛ واستطلاع الآراء وحسابات التكلفة الاقتصادية والسياسة والبشرية على السواء ؛ ولكن العالم لم يصل لهذا العلم إلا مؤخرا ؛ والقرآن الكريم كان له السبق في هذا العلم ؛ وهو علم شامل لا يقتصر على الحياة الدنيا وموارد الكون ؛ يتعدى هذا العرف الدنيوي وحرص البشر على الرفاه الاقتصادي لينطلق في رحاب الدنيا ؛ فهو يطلب من الإنسان أن يستعمر الأرض ويضع الأسس العلمية في استغلال مواردها ؛ ثم يتحدث عن المستقبل الغيبي الذي اختص الله تعالى نفسه به كيوم القيامة والبعث والنشور ؛ وما بين الدنيا ويوم القيامة يأذن الله أن يندحر الشر ليعم الخير بني الإنسان ؛ وما يحدث هذا إلا بوجود من يقود المستضعفين لدحر الشر ؛ وهذا القائد هو ما قالت عنه اليهودية و والمسيحية بأنه المخلص ؛ ولكن الإسلام جاء ليحدد هذا القائد في شخص المهدي (عج) ؛ والذي يختلف في الرؤية والهدف عن مخلص اليهود والنصارى ؛ لأن اليهود ينتظرون مخلصا خاصا بهم يقيم لهم ملكا كملك داود عليه السلام ؛ وهذا المخلص اليهودي يكون من أهدافه حكم العالم والسيطرة عليه وتسخير الأمميين لخدمة قبائل إسرائيل ؛ في حين أن المسيحيين ينتظرون المسيح عليه السلام ليقيم ملكوت الرب ؛ ويحول اليهود إلى المسيحية ؛ ومن يأبى منهم يحق عليه القتل ؛ ولكن المهدي عليه السلام ننتظره نحن المسلمين ليقود المستضعفين المحرومين في العالم ليدحر الشر؛ ويعيد للتوحيد بهاءه الذي حجبه ظلم الإنسان ؛ ولأنه يحارب الشر العالمي ستكون هناك حرب كونيه قوى الشر مجتمعه وقوى الخير مجتمعه، ولأنها آخر الحروب يكون النصر للمؤمنين والمحرومين ؛ وذلك لأنها إرادة الله تعالى وما يتفق مع العدل والوعد الإلهي ؛ وكل ذلك من المستقبل الذي جاء به القرآن العظيم وثورة رسول الله (ص) مفردات المستقبل في القرآن الكريم كثيرة عن الغيب المستقبلي كيوم القيامة وعلاقات قيامها، كما أن كلمة غيب عندما تأتى في القرآن لا يقتصر مدلولها على معرفة ما غاب من المستقبل، دائماً تأتى بمدلولات مختلفة ؛ مثل غيب الذات الإلهية أو الإحاطة الكلية بالغيب أو الاستقلال بمعرفة الغيب،[٧] وعندما نزلت كلمة اقرأ على النبي المصطفى (ص) كانت تحدد ما في المستقبل من معرفة وعلم قام أساساً على اختيار الله لآدم في معرفة الأسماء، وعندما استنكرت الملائكة استخلاف آدم في الأرض استنكرت على معرفة ماضويه سابقه بأن هناك قبل آدم من سفك الدماء وأفسد في الأرض، والله تعالى عندما قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون كان سبحانه

يتحدث عن مستقبل آدم وذريته في الأرض، والأسماء التي تعلمها آدم هي أساس المستقبل القريب والبعيد، كذلك إن حوار الله تعالى مع الشيطان كان يدور حول الحاضر والمستقبل لا الماضي، والقرآن الكريم مليء بأساليب الشرط المستقبلية مثل : " فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره "،[٨] و " من جاء بالحسنة فله خير منها " [٩] و" ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار " [١٠] و" فإذا جاءت الطامة الكبرى، يوم يتذكر الإنسان ما سعى "[١١] و" إن تصبك حسنة تسؤهم "[١٢]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تتحدث عن المستقبل المنظور وغير المنظور في اشتراط موجود في القرآن الكريم، ولا يقتصر المستقبل هنا على الغيب وحده، بل جعل هذا المستقبل في الدنيا واستخلافها وعمارتها فعندما طلب يوسف عليه السلام من فرعون مصر أن يجعله على خزائن الأرض كان يتحدث عن مستقبل مصر الاقتصادي إذا تولاها فقال : " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم "[١٣]، فهو يعلم عن نفسه الأمانة فزكاها لأنه أدرك بإلهام غيبي بتفسير رؤيا الملك أنه ستحدث مجاعة في مصر والبلاد المجاورة لها، وحدد كيفية تجاوز هذه المجاعة المهلكة، وكل ذلك يخص الحاضر والمستقبل، ومرتبط بقراءة الواقع وبالإلهام الإلهي في وقت واحد متصل، ولذلك أخبر الله تعالى النبي المصطفى (ص) عما حدث ليوسف وإخوته فقال تعالى " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون " [١٤]، جعل الله ما حدث في الماضي ليوسف غيباً على نبيه محمد (ص)، مثلما جعل ما حدث مع مريم (ع) في الماضي غيبا فقال تعالى : " وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون "[١٥]، ارتبط المستقبل بالوحي الإلهي، وارتبط المستقبل بقراءة الواقع أيضاً، فقد وضع الله في كتابه أسس قراءة الواقع للوصول إلى المستقبل البشرى بأسره وهناك آيات كثيرة تؤكد هذه المداولات الثورية فيما جاء على لسان النبي (ص) فقال تعالى : " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف عاقبة المجرمين " [١٦]، وهذا السير مستمر في الحاضر أثناء نزول القرآن وفى المستقبل بعد النزول والآن وفيما بعد، فهو حديث مستقبلي متجدد صالح لكل عصر، وذلك لاعتبار عما حدث للأمم السابقة، لكي لا يتحول الاستقرار إلى جمود عقلي ونفسي، كما جاءت آية أخرى للحديث عن كيفية بدء الخلق، والنظر إلى الكواكب والنجوم والأرض لعمارتها، وقال أيضاً : " أفلم يسيروا في الأرض "[١٧]، و"فلينظر الإنسان مما خلق "[١٨]، " فلينظر الإنسان إلى طعامه "[١٩]، " أفرأيتم الماء الذي تشربون " [٣٠] و" أفرأيتم النار التي تورون " [٣١] وغيرها من تلك الآيات التي تجعل عقل الإنسان يتفاعل مع الكون الأحياء والأشياء، الجماد والحيوانات، الماضي والمستقبل، الغيب الإلهي، والغيب العلمي، وكله من عند الله تعالى، فهو كتاب معجز ومن دلائل

إعجازه أنه كلما تقوم الزمن وتقدمت العلوم والفنون، فهو باقي على طراوته وحلاوته وعلى سمو مقاصده وأفكاره، ولا يظهر فيه خطأ في نظرية علمية ثابتة، ولا يتحمل نقض حقيقة فلسفية يقينية. [٣٣] الإسلام والكتب السابقة والمستقبل الإسلام اعترف بصدق الدين اليهودي والدين المسيحي (وهو في حد ذاته موقف فوق البشر) كذلك اعترف الإسلام بأن التوراة والإنجيل هما كتابان شقيقان، وسابقان على القرآن، وأن الثلاثة موحى بتا من لدن الله سبحانه وتعالى، وفى أكثر من موضع كرر القرآن بعض الوقائع والأسماء التي وردت في التوراة والإنجيل، ولكن القرآن في نفس الوقت خلا من كل الأخبار والروايات المثيرة للشك أو الحرج، التي وردت في التوراة والإنجيل المتداولين اليوم بين الناس، ومن ثم فما من مسلم سيثور في ضميره ذلك السؤال الذي أزعج المسيحيين دهراً حول الأضرار التي ترتبت، أو المشاكل التي ثارت في المسيحية نتيجة تبنيها للنص التوراتي أو العهد القديم، فليس في القرآن، مثلاً، ما يوحى بأن خلق الأرض والسماء والكون تم منذ خمسة آلاف سنة أو عشرة آلاف سنة، أو مائة مليون،[٣٣] بل إن أية حقيقة يكتشفها العلماء عن هذا العمر، الذي يمتد بضعة ملايين مع كل اكتشاف جديد تنطبق على التصور القرآني أو لا تتعارض معه بينما استطاع علماء المسيحية استناداً إلى نصوص التوراة وحساب أعمار الرسل أن يحددوا " بالضبط " سنة خلق آدم وكانوا في غاية التواضع والزهد، فلم يتجاوزوا عدد أصابع اليد في حساب آلاف السنين التي عاشها الإنسان في هذا الكون.[٣٤] وليس في القرآن أن سيدنا لوط _ والعياذ بالله _ شرب خمراً وضاجع ابنتيه وهو الذي طلب هلاك خمس مدن كاملة بتهمة الانحراف الجنسي !. ولا أن المسيح " ابن الله " أو أنه صلب ثم قام ؛ ولا أن إبراهيم أغوى فرعون بزوجته لينجو هو بجلده، أو أن نوحاً لعن ابنه فأصبح أسود اللون، وعبداً لأخويه " غير السود " أبد الدهر !، كما أن الإسلام بثورته استطلع أن العقل المتنور في القرن الحادي والعشرين وما بعده لن يقبلها، بل ووضّح مواضع الشك لتجنب التفسير القاصر الذي طرحته المؤسسات الدينية قبل الإسلام ؛ فإذا كان الله قد خلق السموات والأرض في ستة أيام، فإن هذا التشبيه أو التعبير أوحى لمفسري التوراة والإنجيل بعقد مشابهة بين الزمن الإلهي والأسبوع البشرى، وبالتالي بين الله والإنسان ورأوا الله سبحانه وتعالى " يتعب " من " الشغل " طوال الأسبوع، فيرتاح في اليوم السابع، ولاشك أن القرآن لو تحدث كما فعل عن خلق الأرض في ستة أيام وسكت، لكان من الطبيعي أن يتأثر النص بتفسيرات العهد القديم والجديد، ولكن القرآن تنزه عن هذه المقارنة الساذجة بين أيام الله وأيام الأرض بين قدرة الله وجهد الإنسان فقالت الآية " وما أصابنا من لغوب " أي ما أصابنا من تعب.. وهو تعبير يبدو غريباً رغم صدقه، إذ أن إنسان

القرن الحادي والعشرين لا يتصور نسبة التعب أو الحاجة إلى الراحة لله سبحانه وتعالى، بل إن المسلمين الذين تلقوا عن الرسول مفهوم التوحيد الخالص، لابد أنهم قد تعجبوا ثم صدقوا وآمنوا من هذا النفي أو لزوم ما لا يلزم، فما كانوا قد أطلعوا على النص التوراتي الذي نسب لله التعب من العمل ستة أيام ومن ثم منحوا _ الله سبحانه وتعالى عما يصفون _ عطلة الأسبوع[٣٥] فلم يعرفوا سخافة التفسير الحرفي لنص خلق الكون في ستة أيام، ولذلك حرص على تنبيه الأجيال القادمة إلى نسبية الزمن لكي لا يخطئوا التفسير، فنبههم إلى أن اليوم قد يكون على الأرض ٢٤ ساعة، وفى بعض النجوم البعيدة ٢٤ ألف ساعة، ولذلك وضع القرآن أكثر من نص يؤكد نسبية الزمن مثل قولها : " وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " أو " في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " و" في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون " ونلاحظ أن هذا التعدد، يؤكد نسبية الزمن، وعدم التقيد بفترة محدودة، ويبرز الفارق عن النص الذي ورد في الإنجيل بأن اليوم مع الله مثل ألف سنة، فهي في الإنجيل محددة بألف سنة، وهى أيضاً تقرن ذلك بقدرة الله على انجاز ما يستغرق ألف سنة عند البشر، فهذا هو المعنى الذي يتبادر للذهن، بينما هي في القرآن لا يمكن أن يفهم منها إلا نسبية الزمن، لأنه سبحانه وتعالى ليس له معدلات متصاعدة في العمل فمرة ألف سنة، ومرة خمسة أضعاف بل الحديث يدور حول اختلاف الزمن لا اختلاف معدل الإنتاج. هذه نصوص لا تحتمل الشك في معرفة قائلها بنسبية الزمن، وإذا كان رجل الدين، يطالبه رجل العلم بتقديم تفسير للنص على خلق الأرض في يومين، أو الأرض والسماوات في ستة أيام، لأن جميع الحقائق العلمية تؤكد أن عمر الأرض يتجاوز بلايين البلايين من أيامنا هذه ؛ فإن رجل العلم مطالب بدوره بتقديم تفسير لمعرفة " محمد بن عبد الله " مواطن من مكة في القرن السابع الميلادي، بنسبية الزمن، ورده مقدماً على هذا السؤال بطرح تلك النسبية ! إن جميع الحقائق العلمية تؤكد استحالة وصول عقل بشرى إلى نسبية هذا الزمن بهذا الوضوح في القرن السابع الميلادي، ولا حاجة للقول بأن موقف رجل العلم هنا أكثر حرجاً من موقف رجل الدين ومن ثم فإن التسليم بوجود جهة غير بشرية عالمة بنسبية الزمن أقرب للعقل وأسهل في التصديق. قوة عالمة خارج الزمان والمكان وفوق مستوى علم العصر وكل عصر، هي التي أوحت بالقرآن، وجعلته فوق مستوى النقد في كل العصور. [٣٦] لقد تجنب القرآن التفاصيل، لأنه لم يكن في استطاعته مفاجأة الأجيال الماضية بحقائق علمية ستكشف بعد قرون، ولأنه تنزيل مقدس لم يقع في خطيئة الكذب. معجزة القرآن الدائمة أنه ما من حقيقة علمية متفق عليها اليوم أو في أي عصر تجعل المؤمن في حرج أمام نص قرآني متعارض معها، فيغمغم " إن الأرض تدور ولكن مادام الكتاب المقدس يقول لا، فهي لا تدور

"، أما الذين حرفوا التوراة والإنجيل فقد حلا لهم أن يدعموا مصداقية الكتابين، بدس ما اعتبروه حقائق متفق عليها في عصرهم، فكان أن أصبحت هذه الأساطير والنظريات حقائق مقدسة، وجزءاً لا ينفصم من الكتاب المقدس، فلما تقدمت المعارف والعلوم، وثبت خطأ هذه الأساطير والنظريات، شكك ذلك في مصداقية الكتاب المقدس باعتبارها من صميم حقائقه وكان ذلك الحرج الذي عاناه ويعانيه المؤمن بسبب التناقض ؛ ولكن الأهم من ذلك أن آيات القرآن تحرض المفكرين على تأمل السكون والحركة، ونسبية المعرفة، وقصور الحواس عن الإلمام بكل حقائق العلم، واختلاف الحقائق المحسوسة عن الحقائق المدركة بالعلم والعقل.. الخ. [٣٧] كيف استطاع الإسلام أن يتجنب هذا المأزق ؟ كيف أمكنه أن يعلن بشجاعة وصدق صحة الدينيين وانتمائهما لنفس المصدر في القرن السابع الميلادي ؟ وكيف يتحدث عن المستقبل الذي سيأتي بعد القرن السابع الميلادي بثلاثة عشر قرنا ؟لو كان الإسلام من تدبير بشر مهما كانت حكمتهم، لكان الأسهل عليهم، إعلان زيف الدينيين من الأساس، خاصة وأنهما لا عزوة لهما في جزيرة العرب، ولا ضرورة تحتم عليه مهانتهما، فالرسول لم يكن مضطراً لمهادنة أو كسب اليهود والنصارى. ولكن لأن الإسلام هو الدين الحق، كان لابد أن يشهد بالحقيقة، وهى صحة التنزيل على موسى وعيسى، ومن ثم صدور التوراة والإنجيل من نفس المصدر الذي أنزل منه القرآن وفى نفس الوقت القي بالتحدي المهول، وهو إعلان تزوير الكتابين المتداولين بين الناس في القرن السابع الميلادي !! إعلان أنهما تعرضا لتحريف وتعديل على يد البشر، مما يستحيل معه التمييز بين ما بقى من الوحي الأصلي وبين ما أدخلته الأهواء والتعديلات على يد الحكام والكهان إلا بتحكيم القرآن. " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه "[٣٨] و " وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه " [٣٩]، وهو " إدعاء " حرر الإسلام من كل ما لا يتفق مع تعاليمه، ولكنه في نفس الوقت كان ادعاءً خطيراً [٣٠]. لقد حدد القرآن علاقته بالتوراة والإنجيل حسب تلك الثورة التي انطلقت ببعثة محمد (ص) فهذا الادعاء الخطير بصحة نسب التوراة والإنجيل، ثم إعلان عدم مسئوليته عما أصابهما من تحريف له دلالات مستقبلية في وقتها وحاضره في وقتنا، وتعطى الإنسان على اختلاف دياناته نظرة عما سيحدث في المستقبل وذلك بانتظار هذا المستقبل، ولا يكون هذا الانتظار إلا لشخص حقيقي ومادي، حتى لا يفاجئ الناس بأي مدعٍ للمهدوية كما حدث في العصور الخالية، وكان من الحكمة الإلهية ألا يترك الناس بدون تحديد شخصية المهدي الذي سيظهر ليقود البشرية للخلاص، وذلك من علامات انتظار المستقبل • انتظار المستقبل إن الحديث عن المستقبل الغيبي في القرآن لا يعنى نفى انفراد الله سبحانه وتعالى بالغيب، وأصدق ما قيل في ذلك في

جواب الإمام على (ع) لرجل قال له : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فقال (ع) : " ليس هو بعلم غيب، وإنما هو علم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله سبحانه في قوله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام " فيعلم سبحانه ما في الأرحام، قبيح أو جميل، وسعيد أم شقي، ومن يكون في النار حطما أو في الجنان مرافقا، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم على جوانحي "[٣١]، وهو ما روى عن حذيفة بن اليمان قال : " قام فينا رسول الله (ص) مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى يوم الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه " [٣٢].

المستقبل والانتظار والوعد

ربط الله تعالى المستقبل بما يمكن تسميته بفلسفة الانتظار، وقبل الحديث عن هذه الفلسفة الانتظارية نورد بعض الآيات التي تتحدث عن الانتظار والوعد الإلهي لأولئك المنتظرين : " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون " [٣٣]. (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) [٣٤]. (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) [٣٥] (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون * ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) [٣٦]. (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين، قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون، فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون "[٣٧]. (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) [٣٨] (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) [٣٩]. (وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) [٤٠]. (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم آيات ربهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) [٤١]. (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) [٤٢] (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) [٤٣].(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

[٤٤]. (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) [٤٥].
تفاوتت آراء المفسرين في شرحهم لكلمة الوعد كل حسب رؤيته الفكرية والمدرسة السياسية التي ينتمي إليها هؤلاء ما بين مفسر للوعد بأنه يوم البعث والنشور أو مفسر لها بأن هذا الوعد يعنى تلك الفتوحات الواسعة التي حدثت في الصدر الأول للتاريخ الإسلامي إلا أن هذه المرحلة قد تميزت بالإضافة لهذه الفتوحات بمجموعة أخرى من الحوادث السلبية التي شوهت المزاج النفسي للمسلمين كافة وأدت حسب ما نعتقد إلى إطلاق مجموعة أخرى من الروايات التبريرية الاعتذارية[٤٦] والتي تحمل في ثناياها اعترافا ضمنيا بالواقع الأليم الذي عاشته الأمة؛ في الآيات هنا تتحدث عن انتظار معلق بوعد إلهي لابد أن يتحقق، بعضها يتحدث عن انتظار يوم القيامة، مثل الآية ١٥٨ من سورة الأنعام، أما الآيات الأخرى فإنها تتحدث عن شيء مستقبلي غير يوم القيامة، فيقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين، هنا يتحدى القرآن أولئك الحادين الكافرين عن أمر الله الذين طلبوا معجزة أو آية كونية يتحققون منها على صدق نبوته فيرد عليهم بأن الغيب عند الله وأنه سوف يعطيهم هذا المعجزة فيما بعد، في المستقبل لهم أو لأحفادهم أو لأمثالهم المنكرين لنبوة محمد، فقط عليهم الانتظار، قد تكون هذه المعجزة آية كونية، وقد تكون رجلاً مصلحاً، يقدم لهم هذه الدلالة الكونية عند يندلع الصراع بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله النبي الأعظم وأمته، والباطل لدى أولئك اليهود ومعهم قوى الاستكبار العالمي، وبالتالي يمكن ربط آيات الانتظار بالوعد الإلهي للمستضعفين بوراثة الأرض، والوعد الإلهي للمسرفين والمستكبرين واليهود جميعاً " ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء، وأهلكنا المسرفين "، هنا يدرك الذين أوتوا العلم من قبله أن الله منجز وعده فوعده مفعول في ديمومة إنسانية تستهدف انتظار من يبعثه الله ليصلح العالم من خلال حرب تدور رحاها بين كل قوى الإيمان مجتمعة، وقوى الاستكبار مجتمعة، وللدلالة على أن هذه الحرب قادمة أن الأديان السابقة تعيش على نبوءات توراتية تستهدف انتظار المخلص، فرغم علمية العقل الغربي، إلا أنه يعيش على أساطير فيها بعض ما تبقى من نبوءات تنتظر الملك النبي كما عند اليهود، والمسيح الموعود عند النصارى، وهى أفكار إذا خلصت من شوائبها إن المخلص لابد أن يكون من داخل دولة التوحيد، من فكرة ثورة الانتظار القرآنية، وأن يتجسد هذا المنتظر في شخص من أهل بيت النبي المصطفى (ص) وقد بشرت التوراة والإنجيل به عجل الله فرجه الشريف ؛ فهو الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ؛ والأرض هنا الكون بأسرة ؛ وهو ما يهم الإنسان في انتظاره ؛ الإنسان على اختلاف أديانه، خاصة المستضعفين من بني الإنسان.

المهدي عند أهل الكتاب والمستقبل

مما سبق يتضح وحدة المخلص في الأديان السماوية، بعد أن رأينا وجوده في الفكر السياسي الإنساني، ومن هنا نأتي بما يؤكد حقيقة أنه المهدي الموعود بالظهور بعد الانتظار، وهو محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، وهو المعود بالظهور، لأن الناس كما قلنا لابد أن يعرفوه، وقد جاء ذكره في كتب أهل الكتاب كما سنرى، ولقد كانت السياسة دوما هي التي تعمل جاهدة على إخفائه، سواء عند أهل الكتاب أو عند المسلمين أنفسهم، فلقد كان ملوك بني العباس ينتظرون ولادة الإمام الثاني عشر للقضاء عليه، ولذا أخفى والده الإمام الحسن العسكري ولادته عن الناس خوفاً عليه ولم يعلم به إلا الصفوة من أصحابه، وهذا ما يفسر لنا ما ورد في رؤيا يوحنا حيث قال : " والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت "[٤٧]. وشاء الله سبحانه أن يغيب وليه في أرضه (الإمام المهدي) عن أنظار الناس إلى وقت معلوم وساعة معلومة علمها عنده وحده (لا يجليها لوقتها إلا هو) وهذا ما عبرت عنه الرؤيا حيث جاء فيها : " فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من جديد، واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه "[٤٨]. وهكذا فإن غيبة الإمام المهدي (ع) قدر من الله تعالى فمهما طالت غيبته فهو في حماية الله وتحت ظل عرشه حتى يأذن له بالخروج وحمل راية الحق في مقابل تجمع الكفر العالمي تحت راية المسيح الدجال الذي نشهد تحركه في أيامنا هذه[٤٩]. وليس بعزيز على الله تعالى أن يُبقى وليه في أرضه حياً مخفياً عن أنظار الناس مدة طويلة من الزمن لا يعلمها إلا هو حتى يحين الوقت المعلوم فيبعثه ليمحق به الكفر والضلال ويقيم به دولة الحق والعدل فـ " إن المسيح الدجال شر مخبوء، ومن عدل الله تعالى أن يضع أمام الشر المخبوء خيراً مخبوءاً "[٥٠]. والشر المخبوء سيعمل جاهداً على إرساء قواعد الظلم التي تستقر عليها إلوهية العبيد، ومن يدعى الإلوهية لا يدعيها إلا على أقوام طحنها الظلم، وطحنتها الأهواء، والخير المخبوء سيعمل على تصفية كل مؤسسات الباطل وأجهزته التي هي مؤسسات وأجهزة الظلم والجور، ليضع أعلامه ويبسط أجهزته وبذلك تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ". إن المهدي حق، لأن الدعوة إلى الله قبل الانقلاب الكوني الأخير ستكون على أرض بها المسيح الدجال، وخروج المسيح الدجال يعنى إغلاق باب التوبة فلا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، والله أدرى بعبيده قبل أن يُغلق باب التوبة، والله أدرى بمن يرشدهم ويدعوهم إليه في أرض بها من يدعى ظلماً وكفراً وتجبراً أنه إله يعبد من دون الله ! ان التصدر للدعوة قبل إغلاق باب التوبة لابد له من مهدي ولنتدبر قوله تعالى : " ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم

صادقين ؟ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون، فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون " [٥١]. فهذه الآيات تحدثت عن يوم فتح ! فيه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ! وطالب تعالى رسوله بأن ينتظر وأخبره بأن أهل الكفر منتظرون ! هكذا ذكرت الآيات الكريمة العلاقات ! فما هو يوم الفتح هذا ؟ ان العاقل لا يقول بأنه كان في الماضي، لأنه لو قال بهذا لكان الذين دخلوا في الإسلام من بعده، لم ينفعهم الإيمان وبالتالي لم يقبل منهم الإسلام !. وقال ابن كثير في تفسيره لآية الفتح : " من زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش.. وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل " فمتى يكون يوم الفتح ؟ ولتحديد هذا اليوم لابد أن نبحث في العلامات التي تُغلق فيها أبواب التوبة، وهى التي قال فيها تعالى : " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً " [٥٢]. وهذه الآيات قال عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها، المسيح الدجال، دابة الأرض".[٥٣] أما عن طلوع الشمس وخروج الدابة فلم ترد أحاديث تبين ان للمسلمين معارك عالمية عندهما إنما المعارك والفتح سيكونان في علامة المسيح الدجال " [٥٤]. ويظهر من المصادر الإسلامية ومما ورد في كتب اليهود والنصارى من تفسير لهذه الرؤيا أن المسيح الدجال سيكون آخر عدو لله يقضى عليه الإمام المهدي (ع) ؛ وقد جاء في مصادر أهل الكتاب أن المسيح الدجال سيكون الرئيس العالمي لليهود والمسيحيين المرتدين[٥٥]؛ ويبدي المسيحيون له ولاء مطلقا [٥٦]؛ وسيقولون : هذا هو حقا المسيح الذي انتظرناه[٥٧]، وروي عن رسول الله في توقيت خروج الدجال : بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج المسيح الدجال في السابعة [٥٨]، واتفق أهل الكتب على توقيت ظهوره بعد فتح المدينة الواقعة على البحر؛ فقد قال ويسلي : بعد سقوط المدينة سرعان ما يظهر الدجال وسرعان ما يسقط ويهلك [٥٩] وقد روى أن رسول الله (ص) قال عن هذه المدينة، التي ستكون عنوان الفتح المظفر في زمن الإمام المهدي (ع)، أن جانباً منها في البر وجانباً في البحر، أي أنها تقع على شاطئ البحر ثم قال بأن جنود المهدي (ع) يفتتحوها بنداء لا إله إلا الله والله أكبر فإذا قالوا : " لا إله إلا الله والله أكبر " فيسقط أحد جانبيها الذي فيها ثم يقولون الثانية، لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذا جاءهم الصريخ أن المسيح الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون"[٦٠]. وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء : اليوم هو يوم الخلاص، القوة والملك لله ربنا وسلطانه لمسيحه " [٦١]. لقد عبر نبي الله أرميا عن هذا اليوم حيث قال : " فهذا اليوم للسيد رب الجنود

يوم نقمته للانتقام من مبغضيه " [٦٢]. ويوم الخلاص هذا أو يوم النقمة والانتقام من أعداء الله ومبغضيه على يد ولى الله فى أرضه الإمام المهدي المنتظر هو ما يعرف في المصادر الإسلامية بـ " الملحمة الكبرى " وفى الإنجيل الذي بين أيدي الناس اليوم باسم " معصرة غضب الله العظمى يوم الله القادر على كل شيء" [٦٣]، ويعرف عند اليهود في العهد القديم باسم " الخربة الأبدية " [٦٤]، وهى المعركة الفاصلة الكبرى بين قوى الخير والإيمان بقيادة الإمام المهدي المنتظر (ع) من جهة وقوى الكفر والضلال في العالم من جهة أخرى، وسيكون النصر الساحق والمؤزر من نصيب الإمام المهدي المنتظر (ع) في هذه المعركة التي لم ولن يعرف لها مثيل في تاريخ البشرية في الشدة والعنف، فقد روى عن رسول الله (ص) القول : " لا يرى مثلها.. " أو لم ير مثلها" [٦٥]. وقال عيسى (ع) : " لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ولن يحدث"[٦٦]. وبما يخص تلك الصيحة العظيمة التي تسمع في السماء إعلاماً بخروج الإمام المهدي (ع)، فقد روى الصدوق عن الإمام محمد الباقر (ع) أنه قال : " ومن علامات خروجه (أي الإمام المهدي) عليه السلام خمس علامات، وعد منها : وصيحة من السماء في شهر رمضان " [٦٧]. وعن الإمام الصادق (ع) انه قال : " الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان شهر الله _ وهى صيحة جبرائيل - إلى هذا الخلق "[٦٨]. وقبل حدوث هذه المعركة الفاصلة التي لا مثيل لها في التاريخ ستحدث معارك بين الإمام المهدي (ع) وطغاة المنطقة وخصوصاً ذلك المعروف بالسفيانى الذي سيرسل قوة عسكرية قوية للقضاء على حركة الإمام المهدي التي بدأها في مكة المكرمة، ولكن يُقضى على جيش السفيانى هذا وتُخسف به الأرض قبل تحقيق هدفه بالوصول إلى مكة، وهذا هو تفسير ما ورد في رؤيا حنا حيث قال : " فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماءً كنهر لتجعلها تُحمل بالنهر فأعانت الأرض المرأة، وفتحت فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه "[٦٩]. فالحية هي التنين رمز للطاغوت الذي سيحاول القضاء على حركة الإمام المهدي (ع) في بدايتها، وهذا الطاغوت هو طاغوت محلى مدعوم من الغرب الصليبي والصهيونية العالمية وذلك لوقف حركة الإمام المهدي المنتظر (ع) والقضاء عليها، وسيُعرف هذا الطاغوت المحلى باسم " السفيانى " كما ورد في الكثير من الروايات. وقد تم التعبير عن الجيش الذي سيرسله السفيانى إلى مكة للقضاء على قيام الإمام المهدي (ع) بالنهر نظراً لقوته وسرعة حركته، ولكن ما ان يصل إلى أرض الحجاز بين المدينة ومكة حتى تخسف به الأرض وتبتلعه كما جاء فى الكثير من روايات أهل البيت المعتبرة [٧٠] وأيضاً ما ورد في كتب أهل السنة[٧١]. ويبدو أنه بعد أن يتم القضاء بعد أن يتم القضاء على السفيانى ستغضب مراكز القوى الاستكبارية الصليبية والصهيونية في العالم ويجمعون قواهم للقضاء على القوة المؤمنة

الصاعدة بقيادة الإمام المهدي المنتظر (ع) وهذا ما عبر عنه صاحب الرؤية قائلا : " فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حربا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح[٧٢] ؛ والمرأة هنا هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد (ص) _ والأئمة الأطهار من نسلها هم الذين يحفظون وصايا الله تعالى وهم المكلفون بهداية الناس وحفظ دينه الحنيف من تحريف المحرفين وتأويل المتأولين ، ولذا فالمتمسك بولايتهم ومنهجهم ناج والمتخلف عنهم هالك. فهم أئمة الفرقة الناجية وأدرى الناس بكتاب الله وسنة رسوله. كما أن عبارة " نسلها (أي نسل فاطمة) الذين يحفظون وصايا الله " تفسر لنا حديث الثقلين والذي يدعوا المسلمين فيه إلى التمسك بكتاب الله وآل بيت رسول الله حيث سماهم الثقلين في قوله " أنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض...." [٧٣]. أما معنى العبارة الأخيرة الواردة في الرؤيا والتي تقول :" وعندهم شهادة يسوع المسيح " فهذا مما لاشك فيه فإن عيسى المسيح (ع) قد بشر بالإمام المهدي المنتظر (ع) وأيضا ما ورد في الكثير من الروايات حول نزول عيسى بن مريم (ع) آخر الزمان[٧٤] حيث سيصلى خلف الإمام المهدي)(ع) ويشهد له بأنه ولى الله في أرضه وسيكون الساعد الأيمن في حروبه مع القوى الصليبية في العالم. ويقال بأنه سيكسر الصليب بيديه الشريفتين.ولذا فإن مهمة عيسى المسيح (ع) عند نزوله ستكون الشهادة للإمام المهدي المنتظر (ع) بأنه ولى الله في أرضه وحجته على خلقه وسيعمل جاهدا من اجل إقناع العالم الغربي الصليبي بوجوب إتباعه والإيمان بما يدعوهم إليه، فإن أبوا إلا العناد والخلاف فإنه سيقف إلى جانب الإمام المهدي في حربه ضدهم. ولإتمام الفائدة لابد لنا [٧٥] من أن نذكر هنا ما ورد في الرؤيا التاسعة عشر من سفر الرؤيا ، حيث تحدث فيها عن عظمة ذلك القادر المنتصر الملقب بالأمين الصادق والمعين من الله تعالى من قبله للقضاء على أعدائه في حرب لم يشهد لها التاريخ مثيلا ؛ فقد جاء على لسان القديس يوحنا في رؤياه التاسعة عشر ما نصه : " ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس ابيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب ؛ وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس يعرفه احد إلا هو ؛ متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ؛ والأجناد الذين في السماء كانوا يتتبعونه على خيل ابيض لابسين بزا ابيض ونقيا ؛ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر وغضب الله القادر على كل شيء ؛ وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب ؛ ورأيت ملاكا واحدا واقفا في الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلا لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم لكي تأكلي لحوم ملوك

ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والجالسين عليها ولحوم الكل حرا وعبدا صغيرا وكبيرا ؛ ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليضعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التي أضل بها الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت ؛ والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس من الخارج من فمه وجميع طيوره شبعت من لحومهم [٧٦]. يرسم لنا صاحب هذه الرؤيا صورة حية عن معالم معركة حربية ضارية تشكل بحد ذاتها ملحمة حرب عالمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. ولكنها لن تدور هذه المرة فقط فيما بين القوى الاستكبارية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم كما حدث ذلك في الحربين العالميتين الأولى والثانية ؛ بل ستدور بين قطبين لا ثالث لهما مختلفين كل الاختلاف في الأهداف والعقائد. أما القطب الأول فستشمله قوى الكفر والضلال في العالم مجتمعه تحت زعامة طاغوت جبار تم الرمز إليه في هذه الرؤيا بـ " الوحش " وسيكون إلى جانبه شخصية متلبسة بلباس الدين وهى كاذبة، ولذا تم التعبير عنها في هذه الرؤيا بـ " النبي الكذاب ". وأما القطب الآخر في هذه المعركة فسيتشكل من القوى المؤمنة بالله تعالى والمخلصة له، يقودها ولى لله في أرضه الذي هيأه للقيام بمهمة القضاء على قوى الكفر والضلال في العالم، ونشر راية التوحيد والعدل في أرض الله، وهذا هو التبشير الإلهي بانتظار الفرج والدعاء إليه بتعجيله بعد أن عم البلاء وزاد الشقاء. وربما يقول قائل كيف يكون المهدي قادراً على نشر العدل في الأرض، ولم يستطع الرسول نفسه من نشر التوحيد في العالم، وهو سؤال دائماً ما يواجهه المؤمنون بعودة القائم، والرد عليه أن من ضمن معجزات الرسول الأعظم هو موجود المهدي من أمته ومن نسله، لأن رسالة السماء ختمت لأهل الأرض، ولابد من وجود محاولات صادقة لتمييز هذا الدين وثورته، مع التأكيد على أن المسلمين رغم ابتعادهم عن منهج النبوة وفساد ملوكهم وأخلاقهم ظلوا دوماً أكثر الأمم بعدا من تجسيد الإله، أو تصويره أو تخيله، فهو ليس كمثله شيء، وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد والذي لم يكن له ولى من الذل، ظل المسلمون حتى اليوم رغم ضعفهم وتشتتهم وفسادهم يعدون أنقى البشر في توحيد الله، وهذا من ضمن أسباب هجوم الغرب عليه بفكره المسيحي / الصهيوني، وعلينا القول إن الشعوب الغربية فيها من المخلصين للعدالة والحرية وكرامة الإنسان، ومن يرفضون الاستعباد والاستكبار، ولكن صانعي القرارات لديهم هم الذين يقبلون عامة الشعوب ليعطوهم أصواتهم، وصانعو هذه القرارات يأتون من العقيدة الأصولية التي تتخذ من منهج احتكار الحق وفرض الاستلاب سياسة دائمة لا تنفك تعمل على توسيع مجابهاتها مع دول

العالم. خلاصة البحث مما سبق نرى أن وجود المخلص حقيقي في الأديان السماوية، وحقيقي في الفكر السياسي، وحقيقي في الضمير الإنساني، وقد حاولت السلطات الدينية والسياسية حجب حقيقته وحجب هويته من أجل بقاء الظلم والاستبداد، ومن أجل ترسيخ مقولات ليس فيها نصيب من الحقيقة مثل تميز جنس عن جنس، ومن ثم التبشير بما لديه من أفكار لا تخدم البشرية بمقدار ما تفرق بين البشر على أسس وضعيه، وقد رأينا ذلك في دعوات توحيد الجنس البشري خلف العولمة أو الحرية أو الديمقراطية أو حقوق الإنسان، وكلها دعوات حق يراد بها باطل، وصدق الله العظيم " قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب، قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد "[٧٧].

مراجع البحث

١ _ ناهده محمد زبول ـ عقيدة انتظار المهدي في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر .
٢ _ نفسه
٣ _ نفسه
٤ _ نفسه
٥ _ نفسه
٦ _ نفسه
٧ _ عبدالغنى النابلسي _ اللؤلؤ المكنون في حكم الإخبار عما سيكون _ تحقيق عاطف وفدى _ مكتبة الرحمة المهداة _ المنصورة _ مصر _ ٢٠٠٤ _ ص,٧
٨ _ سورة الزلزلة / ٧.
٩ _ سورة النحل ٨٩.
١٠ _ سورة النمل / ٩٠.
١١ _ سورة النازعات / ٣٤ _ ٣٥.
١٢ _ سورة التوبة / ٥٠.
١٣ _ سورة يوسف / ٥٥
١٤ _ سورة يوسف / ١٠٢.
١٥ _ سورة آل عمران /٤٤
١٦ _ سورة النمل / ٦٩
١٧ _ سورة غافر / ٨٢ ؛ وتكررت في مقدمة آيات أخرى
١٨ _ سورة الطارق / ٥
١٩ _ سورة عبس / ٣٤
٢٠ _ سورة الواقعة / ٦٨
٢١ _ سورة الواقعة / ٧١
٢٢ _ محمدرضا المظفر ـ عقائد الإمامية _ منشورات مؤسسة الإمام الخوئي ـ لندن ـ ٢٠٠٠ _ ص٩٥.
٢٣ _ محمد جلال كشك _ خواطر مسلم _ البيت الحديث للنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ _ ص٣٥.
٢٤ _ بالحساب التوراتي ظهر الإنسان _ عام ٣٧٦٢ ق.م _ نفسه.
٢٥ _ خواطر مسلم _ ٦٦
٢٦ _ نفسه.
٢٧ _ نفسه.

٢٨ _ سورة النساء / ٤٦
٢٩ _ سورة البقرة / ٧٥
٣٠ _ خواطر مسام _ ص ١٠٣
٣١ _ نهج البلاغة _ ج١ _ ص١١.
٣٢_ صحيح مسلم _ ٨٩/٨.
٣٣ _ سورة البقرة / ١٥٨
٣٤ _ سورة يونس / ٢٠
٣٥ _ سورة يونس / ١٠٢
٣٦ _ سورة هود / ١٢١ _ ١٢٣
٣٧ _ سورة السجدة / ٣٠
٣٨ _ سورة الإسراء / ٥
٣٩ _ سورة الإسراء / ٧
٤٠ _ سورة الإسراء / ١٠٤
٤١ _ سورة الإسراء / ١٠٨
٤٢ _ سورة الأنبياء / ٩
٤٣ _ سورة الأنبياء / ٩٧
٤٤ _ سورة النور / ٥٥
٤٥ _ سورة الأنبياء / ١٠٥
٤٦_ علي أبوالخير ـ ثورة الكلمة المقدسة ـ مكتبة الرحمة المهداة ـ المنصورة ـ مصر ـ ٢٠٠٦ ـ ص ١٣٧
٤٧_ سفر الرؤيا ٤/١٢
٤٨_ الرؤيا ٥/١٢
٤٩_ بشائر الأسفار _ مصدر سابق _ ص٣٤٩.
٥٠_ المصدر السابق
٥١_ سورة السجدة ٢٨_ ٣٠.
٥٢_ سورة الأنعام ١٥٨.
٥٣_ رواه الترمذي
٥٤_ بشائر الأسفار _ ص ٢٥١.
٥٥_ عقيدة المسيح الدجال ص٢٨٣، نقلاً عن بشائر الأسفار.
٥٦_ المصدر السابق ص٢٨٣، نقلاً عن تفسير سفر دانيال / إيرنسايد ١٣١ ؛ بشائر الأسفار
٥٧_ المصدر السابق ٢٨٣، عن تفسير سفر دانيال / إيرنسايد ١٣٤.

٥٨_ أبو داوود ج١١١/٤، المدينة هنا هي غير " المدينة المنورة " ؛ بشائر الأسفار

٥٩_ عقيدة الدجال ٢٨٢، عن تفسير الرؤيا / ويسلى ١١٣ ؛ بشائر الأسفار

٦٠ _ صحيح مسلم / ج١٨ / ص ٤٣

٦١_ إن كلمة " مسيح " لا تطلق عند أهل الكتاب على الأنبياء فقط بل قد تطلق على ملك أو كاهن (انظر سفر اللاويين ٤:٣) وهذا اللقب قد يطلقونه على ملك أجنبي كما أطلقوه على الملك الفارسي كورش : هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما " (أشعياء ٤٥ : ١) من بشائر الأسفار إذاً كلمة " مسيحه في هذه الرؤيا لا تعنى عيسى المسيح (ع) بل من الأكيد أنها تعنى المهدي المنتظر.

٦٢_ سفر أرميا ١٠/٤٦.

٦٣_ الرؤيا ١٩/١٤ والرؤيا ١٥/١٩.

٦٤_ أرميا ٩/٣٥.

٦٥_ رواه مسلم ج٢٥/٢.

٦٦_ إنجيل متى ٢١/٢٤.

٦٧_ بشائر الأسفار نقلاً عن ما بعد الظهور / محمد الصدر.

٦٨_ المصدر السابق، ص ١٦٩.

٦٩_ رؤيا ١٥/١٢ _ ١٦.

٧٠_ راجع مستدرك الحاكم ج ٢٩/٤ والبحار ج ١٨٦/٥٢_ بشائر الأسفار.

٧١_ انظر كتاب " القول المختصر في علامات المهدي المنتظر " لأبى العباس أحمد بن محمد ابن حجر المكي الهيثمى ص٤٩ من وبشائر الأسفار.

٧٢_ رؤيا ١٧/١٢.

٧٣ _ الحديث مشهور جدا ومتواتر في كتب أهل السنة والشيعة على السواء

٧٤_ روى العلامة المجلسى في البحار ج٥٢ ص٢٨٣ في صحيحة في باب : " نزول عيسى عليه السلام ج٢ ص٢٥٦ " أن رسول الله (ص) قال : كيف بكم أو أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم "_ وبشائر الأسفار _ ص ٢٥٩.

٧٥_ بشائر الأسفار _ ص٢٦٠.

٧٦_ رؤيا / ١١_١٣

٧٧_ سورة سبأ ٤٨ _ ٤٩

دولة الموعود ومآزق الفكر السياسي

الباراديغم المهدوي باعتباره نهاية لتاريخ الاجتماع السياسي

ادريس هاني

مدخل

تقدم دولة المهدي الموعود من خلال ما توصلنا به من نبوءات ومظاهر دولته المنتظرة شريطا يكاد يكون متكاملا عن أحوال دولته وسياسته ومشاريعه، تزخر بدلالات التزامية كبرى، وتتمحور حول حقيقة طالما تشوق إليها البشر وشكلت حلمهم الدفين، بل والمعلن أحيانا. إنها دولة تلخص حلم البشر في القضاء على كل ألوان الظلم والجور وتؤسس لدولة العدالة بمعناها الفريد. ذلك لأن مسيرة البشرية الممتدة عبر آلاف السنين أكدت بأن خياراتها السياسية العادلة لم تعد تقوى على مواجهة أشكال المقاومات السلبية التي تعيق سير البشرية لتحقيق العدالة. حتى أن الأمر أصبح يتجه اليوم إلى نوع من ارتضاء النماذج القاصرة التي لا تبلغ بالاجتماع إلى حاق العدالة، بقدر ما تسعى إلى الإقناع والاقتناع بأن ليس في الإمكان أبدع مما كان، وبأن العدالة الاجتماعية والإنسانية غاية لا تدرك، وبأن المطلوب هو الرضى بالقدر المتيسر والإغضاء عن كل الحلول الحالمة والمشاريع الطوباوية التي يتعذر تحقيقها في دنيا البشر. فالظلم والجور غدا معضلة بنيوية، ودورته باتت مأزقا نسقيا. وإن أي حل لا يكون ثوريا سوف لن يحل معضلة الإنسان، وليس أي ثورة تقصد هاهنا في المقام، بل المقصود قيام ثورة كونية. بهذا المعنى تحديدا نفهم لماذا عبر الخبير الأمريكي ذات مرة عن الخيار الليبرالي بأنه نهاية التاريخ وعن الرجل الليبرالي بأنه خاتمة النوع. وبينما ساد الانطباع كذلك بأن دنيا البشر هي ساحة لتزاحم المصالح والصراع بحيث بتنا نسلم منذ ابن خلدون حتى اليوم بأن الأمر حتى لو تعلق بأرقى مستويات الديمقراطية لا يعدو مجرد نمط من التغلب السياسي أكثر نعومة من ذي قبل. وبأن العصبية والتغلب هما أساس

التسلط في الدولة الحديثة أيضا. إلا أن البعض لا يكاد يدرك من نموذج دولة الموعود سوى أنها ارتقاء بفكرة المستبد العادل إلى منتهاها.

وعليه تعين وضع ما به امتياز دولة الموعود وتحريرها من سلطة الإسقاطات المنهجية والأيديولوجية التي تتيحها النماذج السياسية الراهنة والتاريخية، باعتبار أن دولة المهدي هي في نهاية الأمر ليست نموذجا تاريخيا مستعادا، بل هي نموذج مستقبلي لم يطبق ولم يكن في مكنة الشروط التاريخية ما يسند هذا الحلم الذي يعبر عن رشد البشرية وقوة إمكاناتها. إنها بهذا المعنى تلخص كل آمال الأنبياء والرسل والمصلحين عبر التاريخ، إنها لحظة التطبيق الأولى لكبرى القيم الإلهية والإنسانية على الأرض، لذلك كانت وعدا، ليس للمسلمين فقط، بل هي وعد للبشرية جمعاء منذ آدم حتى يومنا هذا.

ما سنبحثه في هذه الورقة يتعلق بما هو محل تميز دولة الموعود وخصائصها لا سيما إزاء ذلك الشكل الذي توحي به عند النظرة الأولى، نعني المستبد العادل. وأيضا إبراز ملامح الجدة والمستقبلية والتاريخانية في هذا النموذج الرسالي المشرق. وأيضا توضيح جانب الخاتمية كأساس تغدو فيه دولة المهدي ضرورة أكثر من كونها ضرورة سياسية، بل ضرورة حضارية كونية؛ ضرورة يفرضها الاجتماع الإنساني. ليس من حيث أنها خاتمية الرسالة بل من حيث هي تمامها الذي لا يتقوم إلا بوجود إمام مخلص يحقق ما لم ينجز بعد. لذا كانت تمام النعمة.

دولة المهدي باعتبارها نهاية التاريخ

والمهدي باعتباره الرجل الأخير

ليس جزافا أن سمى فوكوياما محاولته الكلاسيكية : نهاية التاريخ والرجل الأخير قبل أن يخفف من غلوائها ويتراجع عن مضمونها الجزافي نحو من التراجع. إنها صياغة تحمل شحنة تحيل على أكثر أشكال الإيمان رسوخا في وجدان الإنسان الحديث. لقد قدمت اللبرالية نفسها تعبيرا عن التجسيد المقدس عن حلم البشر بالعدالة والحرية. واستمرت كذلك مع نجيبتها النيوليبرالية بوصفها نهاية تجسد هذا الحلم. هكذا استندت الليبرالية على تقديم نموذجها باعتبارها وعد الله على الأرض، ومظاهر عدن متحققة بقوة العمران وجاذبية هذا النمط الأبيقوري الذي جعلها تستقوي بمظاهر الاستهلاك والرفاهية والعيش الكرنفالي، مما يحجب كل أشكال العذابات والتدمير الممنهج للإجتماع والبيئة وسلطة التهميش لأغلبية البشر من أن يكونوا شركاء في الحد الأدنى من الثروة والموارد والخيرات. وهي بالتأكيد ضريبة هذه الكرنفالية الدائمة لعدد محصور من النوع يبني رفاهيته فوق عذابات أغلبية

المعمورة. العنوان الأخير هو نوع من الشماتة والسخرية المقنعة بهذه الملايين المعذبة والمهمشة في المراكز والأطراف، حيث راهنوا طيلة الحرب الباردة على نموذج أكثر عدالة لينقلهم إلى بعض من تلك الرفاهية التي يحتكرها الأقلون في عالم النيوليبرالية المشحون بكل قيم التغلب والسيطرة والقمع والتحرش بالسياسات الاجتماعية الضامنة لحرية وكرامة هذه الشريحة الأغلبية من المجتمعات. إن سقوط الاتحاد السوفياتي وانهيار سور برلين كانا نقطة الانطلاقة لهذا النوع من الطرحات التي تسعى إلى انتزاع الاعتقاد من وجدان البشر بإمكان انبعاث دولة العدالة الاجتماعية من نموذج ما هو بالتأكيد خارج تحكم الفكر السياسي النيوليبرالي. كذلك سعى فوكوياما للقول بأن النموذج اليوم هو هاهنا، وبأن الغلبة للمعسكر الشرقي هي الحجة البالغة على انتصار الليبرالية. بل هي نفسها ذلك الحلم الذي تنتظرونه. لذا كانت برسم تاريخانيته المغالطة نهاية تاريخ النماذج وكان الرجل الليبرالي والأمريكي هو الرجل الأخير.

لعله من المفارقة أن تسعى اللبرالية عبر الخطاب الفوكوياميي إلى فرض نموذجها الحالم بغلب الأيديولوجيا وتداعيات الهيمنة الآحادية عشية نهاية الحرب الباردة. وقد كان هذا منتهى الشطط في إرادة الهيمنة على الوجدان والعقول والضمائر، مع أن لحظة هذا الاستئثار الأيديولوجي كانت هي أسوء لحظة وألمها على المجتمع الدولي. هذا دون أن نتحدث عن تداعياتها المدمرة التي اتجهت بالعالم نحو مزيد من التفقير والتدمير حتى لتلك المكتسبات التي حققتها البشرية عبر نضالاتها الحقوقية والتحررية. لم يصاغ هذا النموذج الخلاصي الفوكوياميي في وجدان البشرية، بل لقد أريد له أن يصاغ في دوائر الهيمنة والشطط في الاستكبار.

لم يعد اليوم وبعد مرور سنوات على إطلاق هذا الخطاب الحالم ما من شأنه أن يدعم كل المسوغات المحشدة التي ساقها فوكوياما للدفاع عن صواب أطروحته. فلقد لجأ ككل ناسج أيديولوجي على أفكار منتزعة من سياقاتها ومقاصدها لدعم خيار لا يزال وراء كل أشكال التفقير والتدمير الممنهج للاجتماع الانساني. فحتى قبل بزوغ الرأسمالية، لم يكن الفقر يوما عاملا لتخريب الاجتماع الانساني وقيمه. لقد جاء التخريب مع شكل مزيف من أيديولوجيا الوفرة. تلك التي تعني بالملموس تقسيم العالم إلى فسطاطين: أحدهما ينعم بأقصى فرص الوفرة والآخر و هو القسم الأكبر يتأرجح بين الفقر وما تحت الفقر. لقد أظهرت الأحداث بؤس هذا الوعد الكاذب لايديولوجيا بقدر ما تنحت أيقونتها الايديولوجية بعناية، ترسم كاريكاتورا لنهاية دراماتيكية لكل أشكال الايديولوجيات. حقا إنها أيديولوجيا محتالة: أيديولوجيا

نهاية الايديولوجيات!

لقد سعى هذا الأخير عبر صياغة تلفيقية من فلسفات تتناقض في مبدئها ومنتهاها مع هذه النهاية السيئة التي اكتمل نشيدها عشية انهيار المعسكر الشرقي، إلى أن يصور النيوليبرالية كحركة طبيعية قدر لها أن تواجه كل هذه المضادات لتراتبية التطور التاريخي، ما جعلها انتصارا لطبيعة الاشياء. ففي محاولة تحريفية قصوى استعار هذا الأخير المنظور الهيغلي ليغطي على أزمتين بنيويتين في المشروع النيوليبرالي: الأولى تتعلق بفلسفة التاريخ الهيغلي التي ترى تاريخ البشر هو صيرورة غير منقطعة بحثا عن الاعتبار والكرامة. وهذا المنظور حتما لم يعد مؤسسا حقيقيا للنيوليبرالية بنكهتها الفيكتورية التي حولت مفهوم الاعتراف والكرامة لينحصر في أولئك السادة الذين امتلكوا على حين غفلة وبأي شكل اتفق قدرة التحكم بثرواة الأمم وأيضا مكنهم ذلك من الاستغلال الأقصى لعموم الخلق. فالرأسمالية في أطوارها النيوليبرالية اليوم هي لحظة عارمة تقوم على مولنة الكرامة واختزال الرقي في المراكمة التي عادة ما تقوم على المضاربات المالية الوهمية المدمرة للسياسة الاجتماعية والاقتصادية. وهذا ما يقودنا إلى الأزمة الثانية حيث لم يصدقنا فوكوياما حينما جعل من الفلسفة الهيغلية رجز أيديولوجيته النيوليبرالية. إن غاية الانسان ليست اقتصادية. وهنا تصلح الهيغلية مستندا ضد النزعة الماركسية. فليس بالإمكان أن نبرر أهمية الديمقراطية لو سقطنا في هذه النزعة المادية لتاريخ التقدم البشري. صحيح قد تكون الهيغلية برسم المادية الماركسية جدلا مقلوبا يمشي على الرأس. لكن تاريخ النيوليبريالية مع كل هذا الادعاء لم يكن يوما استجابة لهذه النزعة الهيغلية بقدر ما هو معانقة لهذه النزعة المادية ؛ المادية التي جعلت من الديمقراطية اليوم وسيلة للاجهاز على آخر ما تبقى من آثار للقيم والكرامة. لم تكن النيوليبرالية هي حصيلة نضال طويل من أجل الكرامة، بل هي نفسها ذلك الخطر المهدد للكرامة، وبالتالي هو ما يجب الانتصار عليه.

يقول فوكوياما مدافعا عن فكرته ومنزها إياها عن زيف الأيديولوجيا:

" وبالرجوع إلى سؤالكم وعن ما أشرتم إليه من أن نظرية نهاية التاريخ هي أيديولوجيا، فإني أقول: ليست أيديولوجيا بالمعنى الذي حملته تسمية أيديولوجيا منذ زمان، إن نهاية التاريخ هي أكثر من ذلك، إنها وصف وتحليل للأسلوب وللطريقة التي يتغير بها العالم ويطور بشكل أمبريقي نظامه السياسي في الزمان ".[1]

١. انظر الحوار الذي أجراه كاتب السطور مع فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ بعد مرور أكثر من عقد على إعلانها، مجلة الكلمة ، العدد ٤٧ ، السنة الثانية عشر ٢٠٠٥ ، بيروت

يحاول فوكوياما أن يقنعنا كما فعل في كتابه المذكور بأن ثمة رؤية أمبريقية للتاريخ يستند إليها هذا النوع من الوعد الكاذب بنهاية التاريخ عند أعتاب النيوليبرالية. والحق أن الأحداث التي رافقت هذا الاعلان لم تكن لتعزز من صدق هذه الاطروحة. إن حديثه الانشائي عن النماذج الواعدة في أسيا هي دليل على انتصار الليبرالية. وقد سعى لتبرير عظمة النموذج الاسيوي الذي قادته ثورة النمور الاسيوية، حتى لو اقتضى الحال ان يجازف هذه المرة ويقلل من نزعته الهيغلية ويتمسك بنزعة اكثر ايديولوجية وبراغماتية وهو يعزو الأبوية المنازعة لديمقراطية هذه البلدان إلى آفاق انتربولوجية خارج منطق التراتبية التاريخية التي أصر عليها منذ البداية أيما إصرار. إن فوكوياما لم يتأمل فارق النموذج لما يبرر سياسة القمع والاستبداد في المجال السياسي للنمور بكونها فرعا لأصول الأبوية، ذلك الارث الطبيعي للسوسيو- ثقافة السياسية لبلدان لا يهم حقا أن تكون مثالا يعزز انتصار عقيدة الانسان الأخير، طالما أن هذه الأبوية المناقضة لأصول الديمقراطية نفسها تتماشى مع الارتفاع المضطرد لمعدل النمو. وذلك حينما يستشهد هذا الأخير بكلام لكوان يوفان، رئيس الوزراء السانغافوري الأسبق" إن شكلا من الاستبداد الأبوي يتناسب أكثر مع التراثات والتقاليد الكونفوشيوسية في آسيا. والأهم أنه يمشي بشكل أفضل مع معدل النمو المرتفع، بالمقارنة مع الديمقراطية الليبرالية الغربية. فالديمقراطية في نظر لي كوان هي عقبة في طريق النمو"[1].

إن التاريخ هنا سيكف ان يكون بحثا عن الكرامة والاعتراف، بل هو تاريخ نشاط مادي ذي طبيعة استعراضية قابلة للانهيار الكارثي كما حدث قبل سنوات، وكما سيحدثنا أحد أبرز الفاعلين في اقتصاد المضاربات، والمتهم الرئيسي في كارثة الانهيار الذي شهدته اقتصادات النمور قبل سنوات، حينما يقول، ليس فقط عن هذه الاقتصادات التي أظهرت أن مضاربا واحدا في حجم سوروس يمكن أن يدفع بها إلى هاوية الإفلاس، بل عن عموم النموذج الرأسمالي لما قال:" إن انهيار السوق العالمية، سيكون حدثا مؤلما يسفر عن نتائج يتعذر تصورها، ومع ذلك أجد أن تصور الانهيار أيسر من تصور استمرار النظام الراهن"[2].

هنا الديمقراطية تصبح برسم هذه الرأسمالية الجامحة مجرد عارض غريب، وبأن الغرض متى تم ولو بدونها، فذلك هو المطلوب. ثمة مغالطة بخصوص هذه اللعبة القذرة التي تجعل من جموح غريزة التغلب والسيطرة، طبيعة للاجتماع

١. أديب ديمتري، دكتاتورية رأس المال، ص ٤١ ،ط١ ـ ٢٠٠٣، دار المدى، دمشق

٢. جون غراي، الفجر الكاذب،ص٧ تـ أحمد فؤاد بلبع، ط ١ ـ ٢٠٠٠، المجلس الاعلى للثقافة ومكتبة الشروق/القاهرة ـ كوالالامبور ـ جاكرتا.

أيضا. وليس غريبا ما قاله تشومسكي عن هذه اللعبة القذرة لمنطق السوق:
"إن مثلا من قبيل الديمقراطية والسوق مثل جيدة، طالما أن "ميل الملعب" يضمن فوز الناس الذين يجب أن يفوزوا. أما إن حاولت جموع الرعاع رفع رؤوسها، فيجب أن يضربوا إلى أن يخضعوا بشكل أو بآخر. في العالم الثالث غالبا ما يفي العنف المباشر بالغرض. أما إذا أثرت قوى السوق على امتيازاتنا المحلية، فسرعان ما نقذف بالتجارة الحرة في النار"[١].

الاقناع بأن النيوليبرالية ستنتصر لأنها التعبير عن طبيعة الاشياء، سيعيدنا إلى البداية الفيكتورية التي تراجعت فترة طويلة بفعل نضالات شهدتها اوربا. إنها اهتبال وحشي لفرص تاريخية تملك النيوليبرالية قدرة خارقة على استغلالها. لكنها لم تكن هي النهاية نتيجة صمودها الطويل، وليس بروزها لحظة الفراغ يعني أنها هي نهاية الاعتقاد. ان النيوليبرالية والرأسمالية لم تكن التعبير عن رفع القيود المكبلة للانماء، ولا هي معانقة سمحة لطبيعة السوق. بل كانت دائما نتيجة تدخل الدولة. بل يكون تدخلها في الغالب أشرس تدخل. يحدثنا جون غراي عن هذه الحقيقة بوضوح تام:
" إن السوق الحرة التي وجدت في بريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر لم توجد مصادفة كما أنها على نقيض التاريخ الاسطوري الذي يروج له اليمين الجديد لم تنشأ من تطور طويل غير مخطط، وإنما كانت صناعة يدوية للسلطة وفن الحكم"[٢].

لم يكن فوكوياما في حاجة إلى أن يعلم البشرية ماهية الليبرالية التي عرفوا كل مظاهرها السلبية واصطفافها ضد العدالة الاجتماعية وكوارثها الاجتماعية و الثقافية والبيئية. فإذا كان واقع الليبرالية قد صنع عوالم الفقر وما تحت الفقر سواء في المركز أو المحيط في عز حربه الباردة ضد خصيمه السوفياتي، فماذا لو خلا له المجال واستفرد بالاستكبار ولم يوجد له من رادع أو أن يوجد في هذا الصراع المدمر للبشرية من يخلق شكلا من التوازن يعيق استفراده بالنوع ويؤجل أجندته النهائية. وبالفعل إن سقوط الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة كان له الفضل في انهيار كل أشكال السياسة الاجتماعية ليس في الاتحاد السوفياتي فحسب، بل في أوربا التي أدخلت مجتمعاتها في دورة نيوليبرالية غير مقدور عليها بالنسبة للعقل السياسي الأوربي، مما جعل حركة الاحتجاج والثورة تنطلق هذه المرة من هوامش أوربا ضد ذلك النموذج النيوليبرالي الأمريكي الذي بات يتهدد الهوية

١. نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١، الغزو مستمر، ص ١٧١، تمي النبهان ، ط٢، دار المدى، دمشق ١٩٩٩
٢. المصدر ، ص ١٦

الثقافية والمقومات الاجتماعية لأوربا نفسها، تلك التي صدرت يوما نموذجها الاقتصادي والاجتماعي ليس على أساس عظمتها الليبرالية، بل على أساس سياستها الاجتماعية التي ظلت حتى حين مدينة فيها للنموذج النقيض، حيث كان للصواريخ الباليستية السوفياتية الفضل في حفظ هذه السياسة حتى لا يصبح للنموذج السوفياتي الاجتماعي جاذبيته تلفت انتباه مجتمعات أوربا الغربية.

يبدو أن النهاياتية تتحدد بآخر حلم بشري. فطالما ثمة ما لم يستنفذ من هذه الأحلام، ومادام أن ثمة مجموعة بشرية تنتظر ما هو أفضل، فذلك خير دليل على أن النهاية لا تكون كونية إلا إذا تحقق معها مخرج كوني لعذابات الشعوب وانحطاط الأمم. ومع ذلك يكون خطاب النهايات نظير ما رأينا من فرنسيس فوكوياما، على علاته وإسرافه واستعجاله أكبر دليل على أن ثمة نموذجا ما تنتظره البشرية دون أن تجد له طريقا ولا مثالا في هذا المعروض البشري المحكوم بنيويا بمظاهر الظلم والجور. أو لنعتبرها حكاية قرصان انتصب في وسط الطريق ليسرق من الموكب البشري ما تبقى لديه من حلم. ليس غريبا أن الرأسمالية سرقت الشعوب واحتلتها ونهبت مواردها. فاليوم تسعى لاحتلال وعيها وسرقة رأسمالها الرمزي المحتمل، سرقة مستقبلها بعد أن فعلت ذلك في ماضيها وحاضرها.

وإذا كان مظهر قومة الموعود هو القطيعة مع كل أشكال الجور والظلم وانطلاقا سمحا في آماد العدل والخيرات، فلا بد أن يكون آلة تحقيق ذلك هو قيام دولة عظمى، تتميز ليس فقط في استقوائها الإيجابي الذي لا قبل لدول العالم به، بل تتميز أيضا بحسن الإدارة وقوة الإنماء والتقدم بحيث تحمل استحقاقها في مظاهر نموذجها الذي سينسخ تلقائيا كل النظم السياسية التي سوف تبدو حتما في صورة بشعة يكاد المرء يعجب كيف صمد الجهل كله والظلم كله في هذه النماذج السياسية وكيف ظلت البشرية أسيرة لهذا الانسداد السياسي الأعظم. لكن قبل الحديث عن ميزات دولة المهدي وخصائص سياسته للمدينة الموعودة لا بد أن نقف عند نقطتين أساسيتين:

إحداهما تهدف تمييز دولة الموعود عن دولة الطوبا

والأخرى، أن انتصار دولة الموعود لن يكون بالضرورة انتصارا حربيا.

دولة الموعود ودولة الطوبا أية علاقة

ثمة ما هو مهم في دولة الطوبا، وهي ذلك الحلم الكبير الذي لم يبرح خيال الفلاسفة والحكماء، وهم يعبرون بصورة مثالية وذوق رفيع عما يختلج في قلوب البشر. إنها قصة الحلم بمستقبل أفضل ونموذج أكمل. لكن تفاصيل ما جاد به خيال أولئك جعلها قصة حلم فقط وليست حتمية من حتميات التاريخ. إن دولة الموعود هي كبرى الحتميات التي يفرضها منطق التاريخ نفسه. وهي كذلك بما أنها تقع في

حيز الإمكان لا تعاكس الضرورة المنطقية أيضا؛ تلك الضرورة التي يعززها أيضا منطق الإيمان. إن إطلالة سريعة على بعض أحوال المدن الخيالية تضعك أمام شكل من أشكال النقص والاعورار في تدبير المدينة يؤكد على أن منطلق النقص هو كامن في بنية الخيال نفسه وتصورنا للعدالة والحقوق. إن أي حالم بهذه الطوبا لم يفعل أكثر من تجسيد مظاهر ثقافته وخبرته ودرجة خصوبة خياله. لكنه لم يتمكن من ذكر إلا نموذج يستحق أن يوصف بأنه ليس له من الجدارة إلا أن يظل خيالا مستحيل التحقق. ودولة الموعود تحمل مظاهر استحقاقها في نموذجها ومن منطق التاريخ، بحيث ندرك لو قارنا بين كل أشكال الطوبا ودولة الموعود سنجد أن أرقى نموذج يرقى ويهذب حتى مخيلة الحالمين هي دولة الموعود كما سنجدها وحدها من بين هذه الدول الحالمة، تتوفر على ضمانات تاريخية وجغرافية ودينية. بل إنها لا تنتمي لجنس الأدب اليوتوبي ـ طالما هي متصلة بأزمة الراهن وطالما هي ليست مجهولة المكان والشروط بالجملة ـ لأنها ليست كما الطوبا: أي اللامكان، بل هي دولة موعودة بحتمية التاريخ وضمانة الوحي وتحقق الجغرافيا. إن دولة الموعود لها جذر تاريخ حققي وأيضا جغرافيا سياسيا للانطلاق وأيضا ضمانة دينية.

تضعنا الأخبار الاسلامية على محددات لتشخيص الموعود وتاريخانيته وجغرافيته. وقلت تاريخانيته احترازا من الالتباس الذي قد تضفيه عبارة تاريخه، لأن التاريخ بناء على النهي عن التعيين، أمر ثابت بالجملة ومتوقف على شرائط عدم التعيين لا يخرج الحقيقة من سياق التاريخ وفلسفته. لكن التاريخ هنا ليس محض كرونولوجيا بل هو فعل تراكمي تشارطي. وتاريخانية الظهور يعني أنها حتمية تاريخية متوقفة على جملة من الشروط.

ففي سنن ابن ماجة» (ج ٤ ص ١٥١ ط السعادة بمصر) قال: ذكر الحافظ أبو داود السجستاني في «سننه» (ج ٤ ص ١٥١ ط السعادة بمصر) قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبدالله بن جعفر الرقي، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن عليّ بن نفيل، عن سعيد بن المسيّب، عن أُم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: المهديّ من عترتي من ولد فاطمة". في منتخب كنز العمال: المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٩٦ ط الميمنية بمصر). روي من طريق ابن عساكر عن الحسين قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لفاطمة: إبشري يا فاطمة فإنّ المهديّ منك. روى بسنده عن عليّ بن هلال، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو في الحالة التي قبض فيها فإذا فاطمة عند رأسه فبكت حتّى ارتفع صوتها فرفع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إليها وقال: حبيبتي فاطمة ما الّذي يبكيك فقالت: أخشى الضيعة من بعدك فقال: يا حبيبتي أما علمت «إلى أن قال»: ومنّا سبطا هذه الامّة

وهما إبناك الحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما والذي بعثني بالحقّ خير منهما، يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ أنّ منهما مهديّ هذه الامّة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وانقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً الحديث[1]. حديث ابن عباس كما ورد في

المناقب: لعبدالله الشافعي: ص ٢١٥ وري بسند يرفعه إلى ابن عبّاس رضي الله عنه عن الحسين بن عليّ (عليه السلام)قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: إنّه منّي يعني المهديّ من ولد الحسين بن عليّ. عن عبدالله بن مسعود في صحيح الترمذي: ج ٩ ص ٧٤ الصاوي بمصر. حدّثها عبيد بن اسباط بن محمّد القرشي الكوفي، حدثني أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن بهذلة، عن زرّ، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: لا تذهب الدّنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطي إسمه إسمي. قال أبو عيسى: وفي الباب عن عليّ وأبي سعيد وامّ سلمة وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح. قال: وحدثنا عبد الجبّار بن العلاء، عن عبد الجبار العطار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله، عن النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: يلي رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي قال عاصم: حدثنا صالح، عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتّى يلي. هذا الحديث حسن صحيح.

عن عليّ (عليه السلام)

في كتاب الاعتقاد للبيهقي: (ص ١٠٥ ط كامل مصباح) قال:

حدّثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد (رحمه الله) أنبأنا حامد بن محمّد الهروي أنبانا عليّ بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا فطر

بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قال: لو لم يبق من الدّنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلا من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي. الخ.

عن تميم الدارمي في تذكرة الحفاظ: (ج ١ ص ٧٦٥ ط حيدر آباد).

قال: أخبرنا عبد الخالق [القاضي] وابنة عمّه ستّ الأهل بقرائتي عليهما ببعلبك قالا: أنبأنا البهاء عبد الرحمّن بن إبراهيم منوجهر بن محمّد، أنبأنا هبة الله بن أحمد، أنبأنا الحسين بن عليّ بن بطحاء سنة ٤٢٨، أنبأنا محمّد بن الحسين الحرّاني، أنبأنا

محمّد بن الحسن بن قتيبة أنبأنا أحمد بن سلم الحلبي، أنبأنا عبدالله بن السرّي المدائني عن أبي عمر البزّار، عن مجالد عن الشّعبي، عن تميم الدّرامي قال: قلت: يا رسول الله ما رأيت للروم مدينة مثل مدينة يقال لها: انطاكية، وما رأيت أكثر مطراً منها; فقال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: نعم وذلك أنّ فيها التوراة وعصى موسى ورضاض الألواح ومائدة سليمان في غار ـ إلى أنّ قال ـ: فلا تذهب الأيّام واللّيالي حتّى يسكنها رجل من عترتي، اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، خلقه خلقي، وخلقه خلقي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

في صحيح الترمذي: ج ٩ ص ٧٤ ط الصاوي بمصر. قال: قال عاصم: وأنبأنا ابو صالح، عن ابي هريرة قال: لو لم يبق من الدّنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي (يعني حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي) وانّما لم يذكره تعويلاً على ذكره في الحديث.

وقد رويت أخبار أكثر من ذلك وبطرق مختلفة تؤكد أن الموعود مشخصا لا مجرد فكرة في الرؤوس كما رأينا في الأدب اليوتوبي ورأينا لها نظائر عند من اختزل القضية والشخص في مشروع فكرة.

وأما من حيث المكان، فالأخبار تكاثرت في تعيينه ليس فقط في الاقليم أو البلدة فقط بل حددت حتى موطء قدمه الأول حين الخروج ومكان صلاته وظهوره. ففي«الأربعون حديثاً لأبي نعيم» الحديث السابع قال:

روى باسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: يخرج المهديّ في قرية يقال لها كريمة. وثمة روايات تتحدث عن خروجه بين الركن والمقام مما لا يخفى على مطلع على أحوال عصر الظهور.

تتجلى ضمانة الوحي في مجمل النبوءات التي زخرت بها التعاليم وحثت على الاعتقاد بها بوصفها وعد الله الذي لا يخلف الميعاد. وما تعبيرنا بالنبوءة في المقام إلا جريا على المتداول. وإلا فهي حقائق المستقبل التي ذكرتها المصادر الدينية الكبرى. إضافة إلى أنها عينت لها تاريخا مجملا متصلا بأشراط محتومة كما عينت لها جغرافيا مشهودة.

تظل دولة الطوبا مستحيلة التحقق بلا ضمانات. حيث لم يعد بها من تنزل وعده منزلة المحتوم. ولا تعينت جغرافيتها التي ستشهد نشأتها الأولى إلا في خيال الحالمين. إنها محض تعبير عن أحلام. لكنها أحلام تؤكد بأن ثمة حتمية لا مفر منها. أن تبلغ الأمم رشدها الحقيقي و تتكامل فكرة العدالة لتستصدر نموذجها الكامل

بقيادة الإنسان الكامل.

ثم إنها بما هي تعبير عن تصميمات أيديولوجية وثقافية خاصة بالحالم وبيئته الثقافية لا يمكن أن تكون بالضرورة كونية وفيها إسعاد كل البشر. بينما ليس في دولة الموعود ما يتعذر تحقيقه. وليس لها من خصوصيات إلا قصة الدين كما يطرحها تحدي الإلحاد. وهذا سينحل بمجرد أن يدرك العالم أن الدين ضرورة وواقع أكثر الحقائق برهانية وقوة في زمن الموعود.فالدين كان ولا يزال وسيظل الظاهرة الأبرز في تاريخ النوع. فإذا تحقق ذلك لم يعد في مظاهر دولته العادلة ما يجعل الحليم حيران. بل يصبح الإلحاد شذوذا وتفاهة وانحطاطا. فلن تزعج دولته يهوديا أدرك تعاليم موسى ولا مسيحيا أدرك تعاليم عيسى، حيث كان من المفترض أن يشهد الأنبياء على صدق دولة الموعود، ليؤكدوا لاتباعهم أنها هي نفسها دولة الوعد الموسوي والعيسوي. لكن عودة المسيح نفسها هي الدليل الكافي لذلك، حيث وجود المسيح الذي شكل عقدة مفصلية في الانتقال النبوي من الموسوية إلى العيسوية، سيثبت ذلك بضمانة قوة الموعود نفسه ويجعل الأبدال والأتباع من مختلف الأقوام. حيث من بني إسرائيل من سيدخل دولة الموعود وينصرونها؛ اعني الأمتين اليهودية والمسيحية. دولة الموعود تؤكد أن الأشرار الذين سيواجهون دولة الموعود هم أشرار الخلق ممن كان يتأسلم أو يتهود أو يتمسح، مما يعني أنها دولة الإنسان التي ستعيد وضع خريطة الطريق لتوزيع أمثل لقيمة الإيمان، فهي دولة الابتلاء الكبير. فخصومها قد يكونوا يهودا أو مسيحيين أو حتى مسلمين وغير دينيين، كما ان أتباعها سيكونون مسلمين ويهود ومسيحيين، إنها ليست قضية مسلمين فقط بل هي قضية العالم أجمع!

ففي رواية عن الإمام الباقر (ع):" فإذا اجتمع عنده عشرة آلاف رجل، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمن به وصدقه"[1].

أما من جهة الحروب ومظاهر العنف المقدس الذي تحدثنا عنه الأخبار، فهو لا شك عارض ستقوم به البشرية نفسها مع ظهور النموذج وتحققه على الأرض بقيادة الإمام المهدي ـ عج ـ بمعنى أن الحرب سوف تكون موقف الشعوب والأمم من عدوها الذي يبغي لها الاستمرار تحت وطأة الجور، وليس ذلك خيارا للإمام إلا من حيث هو الحل الأخير الذي ستفرضه أقلية قليلة من البشر، تريد أن يتأبد الشر في العالم حيث كتب الله أن للعدل المطلق دولة موعودة هي حجته على أن عالم الخلق قادر أن يظفر بتلك العدالة التي جاء من أجلها الرسل ودعا إليها صلاح الأمم دون أن تتحقق. إن عنوان الحرب أو السيف الذي وصفت به دولة الموعود، هو من

١. نور الأبصار للشبلنجي ج ٢ ص ١٥٥

باب التغليب لأمر اختص به الموعود دون سائر خواص الخلق من الأنبياء والأولياء[1]؛ أعني تنفيذه للحكم الواقعي في مقام القضاء.[2] فالعدالة المطلقة تقتضي أن لا يأخذ بالظاهر فيما هو يعلم الواقع. وأن لا يحكم بالبينات والأيمان فيما هو يدرك من أمر الجاني في حاق الواقع ما خفي عن الأنام. إن سائر الأنبياء والأوصياء كانوا على علم بما يفعل الخلق، ولكنهم لم يكونوا مأمورين بتنفيذ الأحكام على وفق ما يعلمون. وبذلك فقط تتحقق العدالة المطلقة ليس لأن الموعود سيحكم في مقام التقاضي بالعلم فقط، بل إن سيفه سيلحق كل من أتى جريمة حتى يدخل في قلوب الجناة الرعب، فلا يجرأ أحد على الإقدام على أية جريمة. إنه الردع والقانون يتنزل في مواردة دونما شطط ولا إخطاء الجاني.

عن الإمام الصادق (ع):" إذا قام قائم آل محمد (ع) حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ويخبر كل قوم بما استنبطوه"[3].

ليس سيف الإمام المهدي سيفا جبارا إلا من حيث هو تعبير عن جلال البارئ تعالي، ولكن لا ننسى قيمة الجمال لدولة الموعود التي بها ستصبح الأرض مسرحا لكبرى قيم العدالة والحق والخير، فتعتدل بها السياسة والمعاش، ويشذ فيها الباطل والجور والشطط. إن سيف المهدي قوة لا شطط فيها. سيف العدالة لا يحرفه عن مهمته نزوة عصم منها. فهو مأمور تجري حركته بعين الله، لأنه وعد الله ووليه الذي احتفظ به لهذه المهمة العظيمة وسدد خطوه، حتى كان له وليا وناصرا ودليلا وعينا.

يومها ستدرك الأمم قاطبة أي سيف هذا الذي يمتشقه أسد الله الموعود. ذلك لأنها ستشهد لأول مرة بعد تاريخ مرير من الجور أنه سيف في خدمة الحق و العدالة. لن يتطلع أحد إلى نموذج آخر بعد ذلك، لأن النموذج الأخير سيعلم الأمم أن

---

١. بعض الانبياء أو الاولياء حكموا بالواقع ولكن في مهام محدودة وفي ظل الغيبة مثل الخضر عليه السلام. لكن الامام المهدي عج سوف تكون تلك خاصية حكومته الظاهرة والدائمة والشاملة.

٢. تؤكد بعض الأخبار أن المهدي سيأتي فيما سيأتي به، بقضاء جديد. ولعل من أبرز مظاهر جدة هذا القضاء ليس محتوى العدل ومضمون الحقوق التي هي مدركة لكل البشر مولويا وإرشاديا وشكل على مدى قرون مقاصد بها يتقوم ضمير لاقانون نفسه ومفهوم العدالة. لكن ما هو جديد كل الجدة في قضاء المهدي ، أنه سيحكم بعلمه لا بالظاهر، وسوف يحل مفارقة القانون الظالم، ذلك القانون الذي يطبق بصورة متوحشة على من لا يملك أن يدفع عنه ظلم تطبيق العدالة بخلاف الواقع. إن قيمة التطبيق القانوني في عهد المهدي ليس في التطبيق المجرد بل التطبيق المشروط بالمطابقة الحقيقية للواقع ، ليس لأنه وحده من أدرك الواقع ، بل لأنه مأمور بتنفيذ الحكم الواقعي. وهذا أبرز عنوان الجدة.

٣. بحار الانوار ص ٥٢ ج ٣٣٩

فرصتهم الأخيرة هي ها هنا في ظل حكومة الموعود.

وكما جاء عن الإمام الباقر(ع):" دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء. وهو قول الله عز وجل: والعاقبة للمتقين"[1].

المهدوية وحتمية الطريق الثالث

يوقفنا تاريخ الفكر السياسي على ضربين من المخارج الرئيسية للاستبداد ونظام السلطان العاري. ولم يشهد تاريخ الفكر السياسي من مخرج حقيقي سوى منظورين سرعان ما استتب الأمر لأحدهما بعد أن أصبح الأول هو نفسه موضوعا للاستهجان والامتعاض. ونقصد بذلك مفهوم المستبد العادل ومفهوم الديمقراطية. وحتى وإن كانت معظم النظم السياسية المعاصرة لا زالت تدين لفكرة الاستبداد، فإن الديمقراطيات هي نفسها باتت تستنجد بسلطة المستبد حتى يرعاها، مما جعلها غاية في ذاتها وليست وسيلة لتحقيق العدل وتأمين الحقوق. إن فكرة المستبد العادل ما هي إلا مخرج من كل أشكال الطغيان العاري الذي عرفته البشرية ووسم تاريخها بالعنف والعبودية والانحطاط ومشكلة المستبد العادل في حكومة الموعود لا موضوع لها، لأن حكومته جاءت لتتجاوز معضلة أقصى ما بلغته البشرية في نظمها السياسية، أعني الديمقراطيات. فهي متجاوزة لنموذج المستبد العادل برتبتين، ما دامت هي متجاوزة لما كان متجاوزا لها، أي النظام الديمقراطي. ولعل الشبهة في المقام، أن حكومة الموعود يحكمها شخص واحد. وهذه الشبهة تخطئ مناط قيام النماذج والنظم السياسية وفلسفتها. لأن الديمقراطية نفسها لم تكن هدفا في ذاتها إلا بالقدر الذي تمكننا من بلوغ أفضل اختيار حر للحاكم. ليست الديمقراطية في نهاية المطاف وبكل المخارج التي لحقتها من أجل التقليص من صلاحيات الحاكم الفرد، مثل الانتخاب الدوري والفصل بين السلطات، إلا بحثا عن حكم العادل. وليس الانتخاب الحر نفسه هدفا في ذاته، بل من حيث هو طريق لاختيار الأفضل. فإذا كان الطريق إلى معرفة الأفضل غير هذا النموذج، فإنه المطلوب، لأنه الغاية. بل اختيار الأعدل هو قيمة القيم. إن مفهوم العدالة يتناقض مع الاستبداد بمعناه السياسي. فالعدالة في ظل هذا النموذج هي مصلحة المستبد بما هو أقوى وليست العدالة المطلقة التي تتحرك في الاجتماع السياسي الموعود على أساس العدالة والعلم والمهمة الرسالية. بل ليست أحكامها جزافية ولا أحكاما

١. الغيبة ، الطوسي ، ص ٣٨٣

مزاجية بل هي تنفيذا أمثل لقانون أمثل. وقد جاءت الديمقراطية لتعيد الاعتبار إلى حق الشعب في اختيار نموذجه وحكم نفسه بنفسه عبر آليات وهيئات تمثيلية تمارس الحكم والرقابة حتى تحاصر تشكل الاستبداد بالسلطة ولا حتى الاستبداد بسلطة من السلط المفصول بينها. لكن الجدل الذي شهدته ولا تزال المجتمعات حول نواقص الديمقراطية وفشلها بالارتقاء بالإنسان وحماية قيمه، بل كونها أصبحت وسيلة لتدمير القيم الجماعية بفعل تغول سلطة الفرد وفوضى الحريات وانهيار مفهوم الأسرة وما شابه، هو نفسه أصبح طريقا لا يقل ضراوة عن سابقيه، طريقا لأشكال جديدة من الطغيان والتدمير الممنهج لقيم الإنسان. إن الديمقراطيات اليوم في البلدان المتقدمة لا تخلوا من هذا النوع من الاستبداد الناعم الذي يجعل السلطة لا تفلت من أيدي بارونات المال والمتنفذين وأعوانهم. يلعب المال والمصالح الشخصية والفئوية دورا حاسما في اللعبة الديمقراطية. فالأمر كما يبدو تحول من نظم تفرض نفسها بالباطل والاستبداد القائم على القوة إلى نظم تسمح باللعبة السياسية، على شرط أن تكون لعبة بين أقوياء مسلحين بالمال والنفوذ وبين أشخاص منزوعي السلاح والقوة. لعبة يدرك الجميع أن مآلها الوحيد هو استبداد مقنع بالسلطة. إن دولة الموعود لا هي استبداد شخصي لأن مفهوم التشخصن أبعد من أن يكون سمة للإنسان الكامل المنزه عن الأنا. وكذلك هي أبعد من أن تجعل مصائر الخلق متوقفة على لعبة الديمقراطيات التي أوجدت أشكالا أخرى من الجور البنيوي، لا طريق للخلاص منه إلا مع قيام دولة الموعود. إن هذه الأخيرة هي إعلان صريح عن نهاية عصر المستبد العادل وعصر الديمقراطية، لأن عنوانيهما سينتفيان لا محالة بعد تحقق النموذج الأكبر؛ حكومة الإنسان الكامل. أعني حكومة تلتقي عندها مقاصد الخالق والمخلوق. يكون الاستبداد فيها ليس ذاتيا بل موضوعيا كما هي جملة الحتميات الطبيعية الأخرى. وإن الموعود سيحكم الناس في طريق العدل بقوة الحتميات الطبيعية. فإذا تحقق خروج الانسان الكامل وظهر، انتفى موضوع المستبد العادل كما لم يعد للديمقراطية موضوعا. فاختيار الأصلح مع وجود الإنسان الكامل، لن تكون حينئذ إلا وقاحة من الأشرار الذين سيكابرون رغم الصيحة ـ الإعلامية ـ التي ستجعل الموعود معروفا لدى العالم، لا يجهل استحقاقه أحد[1]. ولا شك أن الانتخاب الطبيعي في المقام هو العمدة التي ينتفي معها موضوع

١. تؤكد الأخبار على أن من المحتوم ظهور النداء أو الصيحة من السماء. وقد نفهم نحن الحدثاء أن مثل هذا الحدث معقول جدا في زمن الاتصالات والفضائيات التي تبث أخبار العالم بمختلف اللغات.هذا ما يزيده وضوحا كلام للامام الصادق ، حينما يعتبر أن كل قوم سيسمعون النداء بألسنتهم. ويزيده الامام الصادق وضوحا أكثر -

الاختيار الحر. ليست الديمقراطية هي النظام الأمثل والأخير بل هي أفضل من سواها مما في يد البشر. لكنها كانت دائما تأكيدا على تلك الحقيقة التي يتعين أن لا يمارس النسيان في حقها؛ هي كونها تقر بأن لا ضامن للعدالة في غياب نظام النبوة والانسان الكامل. وبأن دولة الموعود هي وحدها النظام الذي يحمل خصائص دولة النبوة والانسان الكامل المفقود.

هل هي دولة أم قومة

يتطلب الأمر عودا إلى المعجم السياسي للوقوف على مفهوم الدولة بمدلوله المعاصر. وحتما إننا ندرك أن الدولة لم تبرح حياة الاجتماع الإنساني منذ عرف الأشكال الأولى للتنظيم والإدارة العقلانية لجماعة بشرية ما. لكن هذا لا يمنع من القول أن مفهوم الدولة الحديثة برسم التعريف الويبري الشهير لا يغدو أن يكون إلا كما ذكرنا؛ التدبير العقلاني، حيث لا يسعنا تمييزه عن أي دولة في تاريخ النوع سوى بهذا الشمول والعمق والنضج العقلاني كما شهده تاريخنا الحديث. لذا كان الأمر سيكون صعبا لا بل متعذرا أن تقوم دولة الموعود في شروط تاريخية غير الشروط التي ينعم بها تاريخنا الحديث والمعاصر. إن الدولة بمعناها اللغوي تحيل أيضا إلى الجولة. ودولة الموعود هي خاتمة الجولات، وبالتالي خاتمة الدول. وهي منتهى التدبير العقلاني الذي لا يدع مجالا للاحتمالات الكبرى، لأن نضج البشرية بهذا النموذج سوف يتعدى كل أشكال النضج التي وسم بها تاريخنا الحديث منذ قررها كانط مجيبا عن سؤال "ما معنى التنوير".

إننا ندرك أن معضلة الاجتماع السياسي والذي فجر إشكاليات الفكر السياسي والاقتصادي، هو الندرة. فلو أننا سلطنا الضوء على كبرى نظريات الاقتصاد السياسي والعلوم السياسية والفكر السياسي، سنقف على تلك الحقيقة التي لا زالت تؤرق العقول: لدينا دائما في أي اجتماع سياسي أو جغرافيا سياسية عددا محدودا من المناصب والموارد والامتيازات. وحيث أصبح من الصعوبة بمكان تأمين الحقوق برسم الرفاهية لكل الشعب، إلا على أساس التوزيع الظالم للثروة وبالتالي النفوذ، فإننا سنجدنا دائما أمام ذلك المبدأ الأساسي والطبيعي الذي توارى بمخاتلة وراء مفهوم العقد الاجتماعي والديمقراطية ؛ أعني مبدأ القوة الذي هو العامل الوحيد الذي لا نزال نفسر به كل أشكال الاجتماع السياسي بما في ذلك الشكل

وإنه لعجيب أن كلما بدا غريبا على القدماء ازداد وضوحا عند الخلف ـ لما ذكر بأن قائمنا إذا قام مد الله لشيعتنا
في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يرون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه.ونظائر ذلك كثير

الذي ينتمي إلى دولة الرفاهية. وجود القوة الفئوية ووجود الندرة عاملان أساسيان في هذا الانسداد السياسي الأعظم.

تزعم دولة الموعود بأنها ستنطلق من هذين العاملين في تحقيق نموذجها. إنها من جهة تتحدث عن القوة، ولكن وحيث يتعذر غياب القوة فإن دولة الموعود تتحدث عن تمركز عادل للقوة. إن قوة المهدي لا تستمد فقط من القدرة على التغلب بوسائط بالغة الإعجاز. بل هي ارتقاء في الأسباب والسنن. لعل أهم مصدر لقوة المهدي هي قناعة الشعوب بقيمة النموذج الأمثل الذي سيجعلهم بعد يأس جماعي مرير يقفون على معنى جديد ومطلق للعدالة الاجتماعية. إن الإلحاد لا يملك كل هذه الخاصية من اليقين والقوة حتى يصمد أمام الحجة الكبرى للموعود أو يملك حتى من المصالح حينئذ ما يغري به دنيا البشر. فالمهدي سينمي دنيا البشر حتى يصل إلى كل ذي حق حقه، فلا مجال للابتزاز والمساومة باسم الدين. بل لا مجال أن يتعرى الإنسان من قيمه النبيلة ليكسب رهان المصلحة المشروعة. فدولة المهدي ستجعل المعاش متماهيا مع القيم. بل ستجعل غداء الإنسان قيما كبرى بعد أن يتشبع بحقوقه المادية ويدرك أنها لا تفرض عليه كل هذا الحرص والخوف من فوات الفرص. إن واحدة من مصاديق القوة المهدوية، امتلاكه الحجة الكبرى. فلا يظل صاحب دين في غمرة الشبه. فالناس هم أنفسهم سيثورون في وجه من عارض المهدي.

فعن أمير المؤمنين:" إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشا فخسف به بالبيداء، وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وأدخل في طاعته وإلا قتلناك، فيرسل إليه بالبيعة. ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وتنقل إليه الخزائن وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها"[1].

ولا ندري كيف سيتخلف عن دولته اليهود والنصارى وقد استخرج التوراة والإنجيل وأوضح أنه موعود العالم جميعا. بل كيف يظل الغرب المسيحي بعيدا عن هذه الدولة وقد تزامن ذلك مع نزول المسيح(ع). حيث لنزوله مغزى عميق. فهو أكبر شاهد على شرعية الموعود، لما يصلي وراءه ويبايعه.

عن عبد الله بن عباس، قال رسول الله (ص) :" والذي بعثني بالحق بشيرا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل

١. كنز العمال، ص ٢٦١ ج ٣

عيسى ابن مريم فيصلي خلفه"[1].

كل الأحداث والوقائع التي ستجري تباعا وتزامنا مع ظهور المهدي، تجعل قناعة الناس بدولته أكبر، وتفقد قوى الباطل شعبيتها المزيفة. لأن الناس ترفض بطبيعتها أهل الباطل، وهي لا تنقاد إليهم إلا إذا أجبروها على ذلك الشكل من الاستعباد بقوة البطش والابتزاز. فإذا تحولت سلطة السيف إلى المهدي ولم يعد في أيديهم ما يصلح للابتزاز، تحول الناس طوعا إلى حكومة العادل وتركوا الباطل بلا رجعة. فتكون الأغلبية خيرة، لأن الأغلبية بإنسانيتها خيرة، وكذلك الأغلبية برسم التهميش والفقر والاستضعاف ستدرك قيمة العدالة الموعودة. وتدرك أيضا أن دولة المهدي سوف تحتكر العنف العالمي على أساس مشروع العدالة الإنسانية. هذا بالإضافة إلى عدالة الإمام التي تضمنها عصمته بوصفها أعلى مدارك العدالة. فلا عدالة فوق عدالة المعصوم. بل إن قومة المهدي لن تكون إلا بعد أن يصبح الناس مؤهلين لاستيعاب أزمتهم وانحطاطهم فتتجه أفئدتهم لنموذج آخر جديد وحاسم. وهذا يتحقق على خلفية تفاقم خيبات الأمل وانسدادات الفكر السياسي وبداية التطلع إلى طريق ثالث حتمي لكنه مستحيل في ما بين يد البشر من مقدمات مضادة. فحينما تملأ حكومة المهدي ثغرات النظم السياسية سيدرك العالم أنه الأعدل لا محالة. بل سيدركون متأسفين أنهم كانوا ظالمين لأنفسهم أو كانوا مخدوعين عبر تاريخ من الجهل والطغيان والانحطاط السياسي. إن حكومة المهدي قد تستوعب كل إيجابيات نموذج المستبد العادل وكل إيجابيات الديمقراطية، لكنها ستتجاوز كل ثغراتهما. ومن هنا كان لا بد للناس أن يجربوا إيجابيات المستبد العادل والديمقراطيات وأيضا يقفوا على ثغراتهما ليدركوا قيمة حكومة المهدي. فقوة دولة الموعود هي قوة نموذجه. ورعب المهدي هو ضد حراس ثغرات نموذج المستبد العادل وثغرات الديمقراطية التي هي سبب بؤس الإنسان وعامل تدمير للعدالة الإنسانية. ليس فقط أن دولة المهدي هي تجاوز للنظم السياسية الوضعية، بل هي تجاوز للتطبيقات الفاسدة للنظم الدينية وثورة على التحريفية. فهي نموذج مستقبلي وليست نموذجا سلفويا.

ففي غيبة النعمان ذكر رواية التيملي، قال: حدثني أخواي محمد وأحمد ابنا الحسن، عن أبيهما، عن ثعلبة بن ميمون، وعن جميع الكناسي جميعا عن أبي بصير، عن كامل، عن أبي جعفر(عليه السلام) أنه قال: " إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وإن الاسلام بدا

١. فرائد السمطين، الجويني ص ٣١٢ ج ٢

غريبا وسيعود غريبا كما بدا، فطوبى للغرباء ".
وكذلك، أخبرنا عبدالواحد بن عبدالله بن يونس قال: حدثنا محمد بن جعفر القرشي، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قال: حدثنا محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنه قال: " الاسلام بدا غريبا، وسيعود غ؟؟؟ ا كما بدا فطوبى للغرباء، فقلت: اشرح لي هذا أصلحك الله، فقال: [مما] يستأنف ا؟؟ اعي منا دعاء جديدا كما دعا رسول الله(صلى الله عليه وآله) "[1].

دولة العدالة ودولة الوفرة

ليست دولة الموعود هي فقط دولة العدالة التي بها تطمئن النفوس وتندك الفوارق الباعثة على كل أشكال الصراع والاستغلال. بل هي أيضا دولة الوفرة الحقيقية القائمة على أساس الوفرة بمدلولها الاستغراقي وليس الطبقي. لقد كانت دولة علي بن أبي طالب هي المجلي الحقيقي للأزمة التي ظهر أن ليس لها مخرج إلا في دولة الموعود. وذلك حينما قال في النهج:

" الله الله في الطبقات السفلى من الناس".

أو لما قال أيضا:" ما رأيت من نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع".

أو لما قال:" ما جاع فقير إلا بما متع به غني"

وقوله:" وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها. وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع".

إن دولة الموعود تؤكد على أن لحل مشكلة الفقر وإدخال البشرية في حالة من الاستقرار المادي والاستهلاك الجماهيري الحقيقي، يقتضي الأمر النهوض بجملة عوامل بدءا بترشيد أمثل لنمط الانتاج وعدالة قصوى في التوزيع وثروة هائلة تكفي حاجيات المستهلكين. فهي تناهض الظلم الاجتماعي في التوزيع والظلم القائم على نمط الانتاج وأيضا تناهض اقتصاد الندرة وتعد بمستقبل الوفرة الاقتصادية للنوع.. ولذا فإنها أكدت على وفرة الموارد وتغيير النموذج وتأمين النفوس واعادة الاعتدال الى النفوس، حيث ان من أسباب اهتزال العدل هو فقدان العدل في النفس وشيوع أنماط انتاج فاسدة سرعان ما جعلت الاقتصاد ينمو بخلق حاجيات وهمية على

١. غيبة النعماني ص ٣٢١ تحقيق: على اكبر الغفارى

حساب سلامة الاجتماع والبيئة، فيصبح الانسان خادما للاقتصاد وليس العكس. إن دولة الموعود تخطئ كل التوقعات التي تقررها الهيئات والخبراء في مجال الاقتصاد والبيئة. إن التوقعات تشير إلى تراجع في الموارد الطبيعية. إحدى أهم المؤشرات تؤكد على نضوب مهول في مصادر الطاقة، مضافا إلى ارتفاع معدل التصحر مضافا إلى أزمة المياه وارتفاع الحرارة وتراجع المساحات الخضراء، وبالتالي تقلص مصدر الاكسجين ، ويزداد الامر سوءا حين الحديث عن ثقب الاوزون والمشاكل التي يسببها التلوث المستدام والتخريب الممنهج للبيئة دون أن نتحدث عن مخاطر الاقدام على حرب نووية. إننا حسب هذه التوقعات أصبحنا أمام مستقبل كارثي للكوكب، فكيف تكون دولة الموعود لا تزال تعدنا ببيئة نظيفة وموارد هائلة كما لو كانت كل هذه التوقعات مجرد هواجس خرافية ليس لها رصيد من الحقيقة. والحق أن الانسان ما يزال بصدد ترميم ما أمكنه من أزماته. حتى أنه ما أن يحل مشكلة حتى يغرق فيما هو أنكى وأمر. ففي الفكر السياسي ما زالت الديمقراطية التي باتت أمل المجتمعات الرازحة تحت نير النظم الفردية والطغيان السياسي، هي نفسها مصدر استغلال لا يزال يحول دون السعي إلى بدائل يفرضها الاحساس بعدم انسداد الآفاق أمام نظم أكثر ضمانا للحرية والعدالة. وكذلك ظلت البشرية في مستوى الاقتصاد السياسي رهينة تصورات خاطئة في تقدير الثروة ورهينة انسدادات في تدبير الموارد البشرية. على الرغم من كل المعارضة التي أبداها نقاد الاقتصاد السياسي ضد النسق الرأسمالي اللاأخلاقي، استطاعت الرأسمالية أن تنتصر في نهاية المطاف، باعتبارها النظام الأكثر قدرة على الصمود حتى الآن رغم ما يحمله في طياته من أزمات بنيوية. لعل انتصار الرأسمالية على كل مناهضاتها بما في ذلك نقيضها الأشرس، المعسكر الاشتراكي، دليل على أننا وصلنا عصر الانسداد. اذا كان فوكوياما رأى في هذا الانتصار تكريسا لليبرالية وتوابعها ـ في مقدمتها اقتصاد السوق ـ بعد أن غطى على كل أزماتها البنيوية، فهو لم يفعل أكثر من أن يقدم شهادة على هذا البؤس الذي يشكل ظاهرة عالم يعيش يوما بعد يوم على إيقاع فريد من التفقير. يتساءل كبير الرأسماليين المضاربين جورج سوروس كيف أمكن هذا النظام الاستمرار حتى اليوم. فانهيار " السوق العالمية سيكون حدثا يسفر عن نتائج يتعذر تصورها، ومع ذلك أجد أن تصور هذا الانهيار أيسر من تصور استمرار النظام الراهن"[1].

لم يهزم النظام الرأسمالي المهيمن معارضيه ،على فظاعة توحشه، لأنهم لا

١. جون غراي، الفجر الكاذب، ص ٧

يحملون البديل القادر على الإحلال محله بجدارة، ولا لأنهم حاربوه بوسائل أقل نظافة منه. بل لعله حاربهم بأقذر ما لديه. من المؤكد أن الأزمات التي واجهت الرأسمالية كادت تعجل برحيلها لولا التدخل السافر للدولة في حمايتها وتمكينها. لم تكن الرأسمالية حقا مساوقة للطبيعة إلا إذا اعتبرنا تشجيعها على الجشع وعبادة المال والنزعة الأنانية هي هذه الطبيعة الانسانية التي تزعم الرأسمالية مسايرتها. وقد صدق جورج سوروس حينما عزى انتصار الغرب إلى أمر آخر غير رأسماليته. ففي رأيه أنه " من المناسب أن نعزو انتصار الغرب إلى حقيقة أنه مجتمع منفتح أكثر من كونه مجتمعا رأسماليا"[1].

لم تستطع الماركسية على الرغم من أنها قدمت تحليلا نقديا للنظام الرأسمالي لعله الأهم من كل النقود، لأنها لم تستطع أن تضع اليد على المشكل الحقيقي، وهو أن النسق الرأسمالي بما أنه نسق متكامل يستطيع أن يحتوي أزماته بما في ذلك الأزمات التي تصورتها الماركسية عللا تامة برسم نظرية الأزمات. هكذا استطاع هذا النظام تحييد أو تعطيل النشاط البروليتاري وصرفه عن فكرة التموقف التاريخي الجذري من النظام الرأسمالي. كما طورت الرأسمالية الكثير من أساليبها، ما أبطل مفهوم الثورة الشيوعية التي لم يعد لها أي معنى لا سيما بعد انهيار معسكر كامل قام على أساسها. حاولت الماركسية أن تجد الحل في التطور الطبيعي للرأسمالية الذي ينتهي بها إلى حتمية الانفجار. لكن الرأسمالية عرجت على مسارات أخرى جنبتها كل المخاطر التي تكهنت بها الماركسية. الأمر يتعلق بالأثر الأوديبي بالمعنى الذي ذهب إليه بوبر في إبطال النبوءة. إن القيم الأخلاقية الماركسية التي استقوت بها الحركة الماركسية في نضالها ضد النظام الرأسمالي لا يمكن أن يدان بها هذا النظام، لأنه لم يستدعيها منذ النشأة الأولى ولا يمكن محاكمته بشيء لا يعنيه في صميم النسق. كان لا بد على الماركسية أن تبحث خارج هذه المنظومة عن سند تستقوي به في إعلان ثورتها. لقد استندت على الضمير الداخلي للرأسمالية فيما هي نسق نصب نفسه خارج مفهوم الضمير الاخلاقي في الاقتصاد. ولأن الماركسية نفسها راهنت على الرأسمالية في استدماج كل الانماط الأخرى ما قبل الرأسمالية انتظارا لانسدادها الحتمي. مع ذلك كان للاجهاز على الحقيقة الدينية الدور الأكبر في جعل الماركسية عاجزة عن إيجاد ضامن أخلاقي. يتساءل أندره كونت سبونفيل إن كانت الرأسمالية أخلاقية. سيضطر هذا الأخير رغم إلحاده غير المبرر أن يسلك طريقا كانطيا لإحلال الاخلاق المجردة أو القانون الاخلاقي محل

١. جورج سوروس ، خرافة التفوق الأمريكي، ص٩٢ ، ط ١ ٢٠٠٦، مطبعة فضالة / المحمدية ـ المغرب

الدين كضامن من خارج النسق لنوع من الاخلاقية ـ ethique ـ بدل الاخلاق ـ moral ـ بين الاخلاق كفعل للواجب وبين الاخلاقية كفعل باعثه الحب. هذه عودة مبطنة للقيم الدينية نفسها مع تمثل حالة من خفة اليد. أي خلع كل صفات وقيم الدين على هذا الشكل المثالي من الاخلاق. يعيدنا ذلك إلى النكتة نفسها التي واجه بها شوبنهاور القانون الأخلاقي الكانطي. أخلاق بلا ضمانات. لكن كان رأي هذا الأخير صائبا في فضح انسداد النظام الرأسمالي الذي جعل إنماء الثروة ليس فرصة للفقراء المحتاجين، بل هي فرصة سانحة فقط للاثرياء. أليس هذا هو مبدء بيروث: المال يولد لمال. نعم. وإذن صح قول الباحث:" أفضل وسيلة لكي تصبح ثريا في بلد رأسمالي هو أن تكون ثريا"[١].

نحن أمام تحصيل حاصل. إنماء وحشي للثروة قد يتيح منافذ وفرصا على المستوى الفردي تستطيع أن تتباها بها الرأسمالية المخاتلة لإغراء الغالبية العظمى التي رسم لها سقفا من الاحلام لن تخرج منه أبدا. لكنها الكارثية على المستوى الجماعي. يجب على الأغلبية الساحقة في هذه السوق الداروينية التي تبتلع الصغار والمتوسطين باستمرار أن تتطلع لتعمل أكثر ولكن في الوقت نفسه عليها أن لا تصل إلى مبتغاها حتى لا تتحسن أحوالها لتبرح نطاق الشغيلة.

غياب العدالة وسورة الأزمات البنيوية للاقتصاد الرأسمالي وتكاثر السكان وتراجع الموارد وتلوث البيئة وانفجار وضعية الشركات العابرة للحدود في ظل عولمة جارفة لكل أشكال القوانين التي تحمي نظم التكلفة السياسية والاجتماعية والبيئية، كل هذا يعني أن الفقر هو صناعة رأسمالية بامتياز. إن الانسداد الأعظم لم يطال الفكر السياسي فحسب، بل إننا أمام ضرب كارثي من الانسداد الاعظم في الاقتصاد السياسي. على الرغم من أن تساوي البشر في معدل الاستهلاك الجنوني وتحول الأمم جميعا إلى مصاف الأمم المصنعة الكبرى يظل حلما ساذجا في ظل الشروط المجحفة التي يفرضها النظام الرأسمالي على الدول الفقيرة أو تلك السائرة في طريق النمو ـ ذلك لأن الأمر لا يتطلب كثير تأمل ـ فالفقر والتخلف هو الذي يؤمن الهامش الأمثل للمركز. إننا جميعا جزء ضروري ووظيفي للرأسمالية. فهي لا تقوم بالمركز فقط، بل تكتمل بوجود هامش مهدور المصير. وهذا الأخير ليس مسألة جزافية، بل هو صنيعة النسق الرأسمالي الذي بقدر ما يتيح للمركز نموا مضطردا فأيضا يعمل على تأميل تفقير مضطرد للهامش. لكن دعنا نحلم قليلا مع

١. اندره كونت سبونفيل، هل الرأسمالية أخلاقية؟ ص ٧٨ ـ تـ بسام حجار، دار الساقي ، ط١ ـ ٢٠٠٥ بيروت

هذا النظام ونسايره في أحلامه تلك. فحتى لو أصبحنا جميعا في هذا العالم مصنعين في مستوى الدول العظمى فإن ذلك سيكون كارثة على البيئة لا تتحملها البتة. إن نمط الانتاج ونوع الطاقة المستهلكة اليوم في هذه الصناعات تنذرنا بمستقبل كارثي. لا يوجد من يخطئ هذه الحقيقة حتى من أولئك الذين يتحايلون للامتناع عن دفع التكلفة البيئية. إن الطبيعة كما يقولون متسامحة تتحمل كل الاختلال البيئي الناتج عن التدخل الخاطئ للانسان وسوء تدبير الموارد الطبيعية. يقولون أيضا إن الطبيعة ستعود لتوازنها متى كف هذا الأخير عن التدخل. نقول هذا مؤكد ما لم يستمر الاستنزاف. ولا ندري هل حقا نحن أمام ذلك المصير أو المستقبل المشترك الذي بشرت به التنمية المستديمة، وهل في سياق هذا التدبير الخاطئ والجنوني للبيئة سنسمح للأجيال القادمة ببعض من هذا الامتياز. هذا حقا لا يهمنا الآن بقدر ما يهمنا الوقوف عند فكرة التسامح البيئي وعلاقة ذلك بالجواب عن وضعية دولة الموعود. لا نريد أن نضع أرقاما لتوصيف الحالة المزرية للطبيعة اليوم ولا ما هو متوقع غدا. لكن السؤال الذي يظل مطروحا: هل دولة الموعود تستطيع أن تفي بكل وعودها في مستقبل ينذر بالمأساة البيئية. قد يكون لفكرة التسامح البيئي قدرة على تفسير ذلك. لكن ماذا لو لم يعد في مكنة الطبيعة أن تغفره للانسان بعد أن تنفذ مواردها أو يفسد مناخها بصورة لا تطاق. هذا إنما يفيدنا، بأن دولة الموعود سيكون لها موعد مع العالم قبل استفحال الوضع البيئي بصورة لا رجعة فيها ولا تسامح. إن الطاقة اليوم تعد بنضوب، وحسنا أن يكون ذلك سببا في انطلاقة جديدة للبحث عن طاقة بديلة ونظيفة. إن مظاهر دولة الموعود تؤكد على أنها دولة تنعم بآخر مستويات التقنية النظيفة. بل إن كل ما تعد به يؤكد على أنها دولة تخضع لنمط اقتصادي مختلف جذريا، بحيث لا مكان لنظرية التفقير والأزمات وما شابه ذلك. وبالتأكيد لا مجال لأي شكل من أشكال الملتوسية هنا، ما دامت الموارد ستتضاعف في نموها أكثر من الحجم السكاني. إن دولة الموعود تؤكد على أن الموارد ستظهر بشكل لم يسبق له مثيل. فالمستقبل واعد بالرفاه. لذا علينا أن نتأمل بعضا من تلك الروايات التي تقول مثلا[1]:

ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة أن الرسول ـ ص ـ:" لا تقوم الساعة، حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته. وحتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه : لا أرب لي به".

---

١. لمزيد من الاطلاع انظر السيد محمد الصدر ، تاريخ ما بعد الظهور ، ـ بيروت ص ٥٤٣ج ٣ ط ٢ ـ ١٩٨٧ ، دار التعارف للمطبوعات و السيد القزويني ، الامام المهدي من المهد إلى الظهور، ص٣٩٩ ، ط١ ـ ٢٠٠٥ منشورات لسان الصدق ، قم المقدسة

ـ أخرج الحاكم عن أبي سعيد، عن الرسول ـ ص ـ " يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة".

ـ روى الصدوق عن الامام الباقر:" القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوي له الأرض وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الارض خراب إلا عمر".

ـ يروي المجلسي قول علي بن أبي طالب:" ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه".

ـ يروي الشافعي عن أبي سعيد الخدري عن الرسول ـ ص ـ :"تتنعم أمتي (في عصر المهدي) نعمة لم يتنعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدع الارض شيئا إلا اخرجته".

ـ في عقد الدرر عن النبي ـ ص ـ :" وتزيد المياه في دولته وتمد الانهار وتضاعف الارض أكلها".

مثل هذه الروايات ونظائرها فاضت بها المتون الاسلامية، يجب استيعابه خارج اللغة والنمط الحضاري الذي ذكرت فيه مثل هذه النبوءات. فأفضل وسيلة لمزيد من الاستيعاب هو إعادة تأمل مضامينها في ضوء النموذج الحضاراتي المعاصر. إنها قضايا موجهة لنا أكثر مما هي موجهة للأسلاف. ومن هنا فمثل هذه المظاهر تؤكد على أن دولة الموعود غير معنية بالتكهنات آنفة الذكر، تلك التي تنذر بعودة الندرة والتلوث والفقر والمجاعة والمستقبل الكارثي للانسان. إنها تؤكد بذلك على أنها باراديغم مختلف تنتهي معه رحلة الاجتماع السياسي وتقف عنده أيضا محاولات الاقتصاد السياسي. إن المستقبل البشري والاجتماع السياسي الانساني لا يمكن أن يقرأ بصورة إيجابية فيما تؤكده تقارير تنتمي إلى العقل السياسي والاقتصادي الذي بات واضحا أنه لا يملك ما يقوله عن المستقبل سوى ذلك الشكل من التحذير والترهيب. لكن يظل دائما السؤال الذي يطرح و طرحه مشروع، حول إمكانية إعادة تطهير الاجتماع الانساني والبيئة من الفساد في دولة الموعود؟

ندرك أن العملية لا تقتصر على أحياز ضيقة ولا حتى على حيز المؤمنين. الامر يطال الكوكب برمته ومن عليه. لا ننسى أن دولة الموعود هي كونية. وعملية كهذه

ليست محصورة ويسيرة، بل هي انقلاب حضاري وبيئي سيجعل العالم أمام نمط مختلف عن كل ما سبقه. إنها ثورة الانسانية المنتظرة بقيادة الموعود. قراءة الاخبار في شموليتها تؤكد على أن ارتفاع معدل الأمن إلى أقصاه وغياب الندرة ونهاية سلك الأزمات البنيوية في الاقتصاد وشعار دعه يعمل دعه يمر الذي لن يظل كما في النظام الرأسمالي شعارا لطبقة من المتنفذين وأيضا ليس شعارا يتحلل به المستثمر من كل التزاماته الاجتماعية والاخلاقية..كما يؤكد على ارتفاع في مستوى التحسن البيئي ونظافة وسائل الانتاج وتغيير نمط الاستهلاك وكل هذا مع وجود عدالة كافية لتوزيع الثروة بالقسط، جدير بخلق مناخ صحي لانطلاق اقتصاد كبير وتحقق قدر هائل من الوفرة للنوع.

ثمة كما أكدنا تحولات جذرية ستطال الثقافة والأنماط وهي كما يظهر من الاخبار تتحدد في:

أنماط استغلال البيئة

يتقوم النمط الراهن في شكل ضار من الاستغلال للبيئة بلغ ذروة الشطط والمسألة البيئية اليوم والتقارير التي تطلع علينا ليل نهار دليل كافي على أن الأمر لم يعد يتحمل مزيدا من الاستهتار.لا سيما وأن معدل أوكسيد الكاربون يتزايد بصورة جنونية مهددا البيئة وهو مسؤول عن درجة ارتفاع حرارة الارض والتأثير السلبي على طبقة الأورزون وما ينتج عن ذلك من فيضانات وحرائق للغابات والتصحر...في مقابل ذلك تنهض دولة الموعود على سياسة مختلفة وجادة في هذا المجال، قوامها: الاستغلال الأمثل للطبيعة والاستغلال الأنظف للطاقة.

إن استغلالنا للطبيعة لا زال ضعيفا للغاية بحيث لا يغطي الطلب. ومثل هذا لا يشكل أزمة حقيقية في نمط الانتاج المعاصر طالما أن معضلة المجاعة لا تصيب إلا الطبقات السفلى من المجتمع أو المجتمعات الفقير في العالم. فأنماط الانتاج الراهنة ليس فقط أنها تواجه مشكلة تقنية في تأمين الطلب الحقيقي للنوع، بل إن السياسات الانتاجية تفرض عبر سلطة الاحتكار أن لا يتم البحث عن بدائل لا في التكنولوجيا ولا في أنماط الانتاج، من شأنها أن تهدد بنية الارباح والامتيازات التي تحرسها سياسة الاحتكارات الكبرى.

أنماط الاستهلاك

اذا كان نمط الاستهلاك اليوم هو تعبير عن منتهى غياب ليس الاخلاقية فقط

عن الاقتصاد بل العقلانية التي طالما بشرت بها السوسولوجيا الحديثة. لقد تجاوز نمط الاستهلاك المعاصر كل الحاجيات الحقيقية للانسان، بل كدنا نرى انقلابا في سلم المقاصد العقلائية للنوع، منذ أصبح الانسان برسم الاستهلاك الجنوني اليوم يستهلك من السموم والأزبال ما يعرض الصحة العالمية لوضعية حرجة. لم يعد في معايير المستهلك أن ثمة ضروريات يجب أن تفوز بالمقام الأول في الاعتبار. فالتحسينيات استوعبت باقي القيم، لا بل إننا أصبحنا أمام شكل هجين من الضروريات؛ ضروريات وهمية تنتج باستمرار، تؤمن صيرورة الاستيلاب الامثل للانسان، تجعله كائنا عاجزا عن وجود ذاته واستقلاله ومعناه خارج هذه الدورة العدمية للاستهلاك اليومي. يحدثنا طويلا جون بودريار عن هذه الحقيقة بصورة أكثر كاريكاتورية، حينما يحاول أن ينجز تشريحا لما يسمى بـ"homo oeconomicus". الحكاية مصاغة كالتالي:

" كان في وقت ما انسان يعيش على سبيل الندرة. ومن خلال العديد من المغامرات والأسفار عبر العلوم الاقتصادية التقى مجتمع الوفرة. فتزوجا وأصبح لهما الكثير من الحاجيات"[1].

هذه الجمالية نفسها التي كان يتمتع بها الامو ـ ايكونوميكوس، كما تغنت بها الحكايات الكلاسيكية لم تعد موجودة في هذا المناخ الجنوني الذي تحول فيه الاستهلاك من أمر نحدده ونبحث عنه إلى أمر مفروض في الصيرورة المحتومة لهذا النمط الاستهلاكي الذي منح قوام الكوجيتوا الجديد: أنا أستهلك إذا أنا موجود. بل أصبح الأمر غاية في التفاهة: أرني قمامتك أقول لك من تكون. الاستهلاك للاستهلاك، تلك هي عقيدة شخص آخر يبشر به هذا النمط الخطير من الاستهلاك، أعني ما أسميه بالكائن الأونطو ـ ميتري. كناية عن كائن تتحدد أنماطه ومصائره بحسابات الانتاج والربح والخسارة والعرض والطلب. كائن تحدد ماهيته قبل وجوده، بل يبرر وجوده باكتمال ماهيته وقابليته للاندماج في دورة اقتصادية لا وجود لبداياتها ولا لنهاياتها. إنها دورة لا تقبل إلا بالمسوخ.

إن دولة الموعود بما أنها تلخص آمال البشر ومتطلبات الرشد البشري، كفيلة بإحداث هذا الانقلاب الأعظم في نمطية الاستهلاك. هذا أمر ممكن جدا ما دام أن هذا النمط من الاستهلاك هو الابن البار لنمط الانتاج والنسق الرأسمالي المتوحش

1. jean baudrillard, la societe de consomation: ses mytes ses structure ,p93editions denoel,1970

نفسه. وهذا سيعد بعودة العقلانية في الاستهلاك يتحرر بموجبها الانسان من سطوة التشيء والاستيلاب. حيث يصبح الاستهلاك تعبيرا عن حاجيات حقيقية وعقلانية لا مجرد انخراط في دوامة غير معقولة من الاستهلاك للاستهلاك. ويتقوم ذلك أيضا بتخليق الاستهلاك، وهو ما يجعل الاستهاك أيضا في خدمة الانسان ويعزز ماهيته ككائن خلق للتسامي العقلي والروحي وليس كائنا يبحث عن منتهى متعته في متاهة الاستهلاك والتشيئ والاستيلاب كما تتحدث اليوم فلسفات الانسان. ولعل القواعد المنظمة لهذا النمط التخليقي من الاستهلاك هي :

ـ لا تستهلك إلا ما كان ضروريا حقا أو حاجة تجد فيها كمال العقل والروح وسلامة البدن..

ـ لا تستهلك للاستهلاك..

ـ لا تستهلك ما فيه فساد البدن والروح والعقل..

ـ لا تستهلك ما ليس في مقدور أغلبية الناس استهلاكه..

هذا القدر من المحددات لا يتحقق إلا في ظل دولة الموعود لاكتمال أخلاقها ونمو مداركها العقلية والروحية. إن ما تكشف عنه هذه الدولة من خيرات لا يعني أن الاستهلاك أضحى أكثر جنونية. بل إن الانسانية يومها مشغولة فيما هو أعظم من ذلك. أعني ذلك المعنى الانساني السامي الذي يجعل الناس تكتفي بحياة التقشف رغم الوفرة، لأن ما سيأتي به الموعود ليس مجرد كنوز لن يجد لها طالبا من فرط فائض الانتاج، بل قيمة ما سيأتي به أنه سيحرر الانسان من مقولة أنطوان مونتكرتيان :"

إنما الانسان ولد لكي يعيش للعمل المستمر والاحتلال" إلى المعنى الأسمى للانسان بوصفه خلق لعبودية الخالق لا لعبودية القطاع والعمل في ظروف مزرية. كما خلق لتعمير الأرض لا للاحتلالات الجائرة التي تستعبد في طريقها الأمم وتخضع لقوانين التخليف والتفقير. أجل إن زمان الموعود زمان مختلف، وذلك لأن أنماط السلطة ستشهد تحولا جذريا. لا عجب في ذلك إذا تأملنا قولة لجده علي بن أبي طالب في النهج:" إذا تغير السلطان تغير الزمان".

وعليه ستكون دولة الموعود خاتمة المطاف في تاريخ النوع وليس بعدها من نموذج جدير بالانتظار. إنها نهاية تاريخ الاجتماع السياسي والنموذج المأمول. ذلك هو الحد المعروف من مستقبلنا المشترك.

ختاما

لدي شئ أقوله في نهاية هذه الورقة: إن البحث عن حلول لإنسانيتنا من داخل صيرورة الهدر التي يفرضها النسق المتغلب في حياتنا هو أمر مشروع ومطلوب لإيجاد ما هو أمثل دائما من داخل النسق. لكن هذا لن يحل مشكلة البشرية المتأرجحة في أزمات بنيوية. قد يتراءى للبعض أننا نحلم، لكن حلمنا هو واقع مؤجل يملك من المسوغات والضمانات أكثر من أي خيار آخر. إن ما بين أيدي الناس اليوم سياسات واقتصادات لا تملك إلا أن تصنع الجور والفقر، ولا تملك إلا أن تنذر بمستقبل مظلم وكارثي ملؤه الرعب واليأس. وأمام هذا القدر المحتوم لأنظمة سياسية واقتصادية، ليس أمام البشرية المعذبة إلا أن تحسن الإطراق والسمع لذلك النداء الذي لا يحمل سوى بشرى جميلة للاجتماع الانساني. وإن دولة الموعود حتما لن تحرر المظلومين من شخوص ظالمين فحسب، بل ستحررهم من نموذج ظل فيه الظالم والمظلوم كلاهما ضحية نموذج فاسد، جعلهما حقا في حاجة ماسة إلى ذاك المخلص.

دور المؤمنون الممهدون في العولمة التي هي من علامة الظهور

محمود جابر

المقدمة

من ينظر في آفاق الأرض تأخذه رعدة من خوف من هول ما يقع بالناس أفرادا وجماعات.. ودول. ففي أرقى دول العالم حضارة وتقدم يعيش ملايين الناس بلا طعام ولا مأوى يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، لم توفر لهم هذه الحضارة الإنسانية المادية والتقدم العلمي سوى كل شقاء، وراء هذا الإهدار للإنسانية تقف نظم وجماعات شديدة النهم والشره للمال والنفوذ والسيطرة بشكل يثير الرعب ويدفع الفرائص للارتعاد. الحياة اليوم أصبحت على فوهة بركان يوشك أن ينفجر.

في عالمنا المعاصر يموت طفلٌ دون سن العاشرة جوعاً كل سبع ثوان، وغالبا ما يكون ضحيةً لضرورة وحيدة يفرضها سادة العالم هي ضرورة الربح بلا حدود. إن سادة العالم الجدد هم أصحاب رؤوس الأموال العالمية، فمن هم ومن أين يستمدون سلطتهم وكيف نقاومهم ؟ هنالك نهَّابون في قلب السوق العالمي هم أصحاب البنوك وكبار مسؤولي الشركات العابرة للقوميات ومديرو التجارة العالمية. إنهم يراكمون الأموال، يهدمون الدولة ويخربون الطبيعة والبشر.

وهنالك مرتزقة مخلصون يخدمون أولئك النهَّابين في قلب منظمة التجارة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

وربما قاطعني أحدهم معترضا ومستنكرا وماهو الجديد تحت الشمس ؟؟ فالدنيا منذ بدأ الخليقة، عفوا منذ خروج آدم من الجنة والإنسان يعيش في كبد وضيق وتسوقه نوازع شهوانية _ إلا من رحم ربى وقليل هم -، فمن شح الأغنياء وتسلط

المتسلطين وافتراء المفترين، ألا تعلم أن الإنسان الأول قتل أخاه ظلما وعدوانا وبغيا بغير حق ولم تفلح كل محاولات أخيه له في أن يجعله يعدل عن ظلمه وقتله له... فالفساد ظهر في البر والبحر بما كسبت ايدى الناس.. فما الجديد لديك حتى تسود هذه الصفحات بالأفكار التي نلوكها منذ سنين دونما فائدة ؟؟

وربما لا أختلف مع هذا المعترض شكلا فهذه الحالة يمكن أن نصفها بالقنوت أو طول الانتظار للاصطلاح (فتنة الانتظار).. وهذه الفتنة يمكن للمعرفة أن تقضى عليها متحليين بشعار " إن الصبر مفتاح الفرج ".

أيها القارىء الكريم... ألا تتفق معي انه رغم وجود الشر منذ أن خلق الله الإنسان بيد أنه ظل محدود، وانه اليوم خرج من محدوديته وأصبح ذائع الصيت وواسع الانتشار، وأن أمراض العالم الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية أصبحت متشابهة إلى حد التماهى والتطابق، وان الأمراض الفتاكة والخطرة أصبحت تضرب بالإنسان وتنتقل من طول العالم وعرضه إضافة إلى انتشار الجريمة وأصبح العنف والإرهاب سمة غالبة على أصحاب المذاهب الفلسفية والعقائدية مضفين عليها طابع القداسة والجهاد يمدح فاعله...

وأصبح لكل ألوان هذا الشر طابعا معولما، ألا تتفق معي أن ما يحدث اليوم هو أن الأرض قد امتلأت جورا وعدوانا وظلما بالمعنى الذي ورد في روايات النبي الأعظم (ص) في هذا الخصوص وان الذي مضى كانت موجات من الشر ثم الخير ثم الشر ثم الخير وشر فيه دخن وخير فيه دخن ،على النحو الذي نصت عليه بعض الروايات ، بيد أننا نعيش اليوم مرحلة جديدة من مرحلة الحياة الإنسانية أصبح الشر فيها شرا مطلقا معولما، وأن العدل والسلام أصبح اليوم رغبة ملحة لدى كل أهل الأرض... فمن أفسد الأرض ؟؟

ربما الإجابة هنا من السهولة بمكان فنقول إن الذي افسد الأرض هم هؤلاء الطغاة والمستبدين والمستكبرين الذين يريدون أن يستأثروا بكل شيء على حساب اى شيء.

وهنا نطرح سؤالا آخر وهل الجماعات والمؤسسات العاملة في إطار الإصلاح ومنع الاحتكار والاستئثار قادرة على لعب هذا الدور " أن تملأ الأرض قسطا وعدلا وسلاما"؟ والإجابة بالطبع لا.

والسؤال الواجب الإجابة عليه : ولماذا ؟

نقول بما أن هذا الفساد ليس بالفساد المحدود في جماعة أو مساحة جغرافية، وحتى ولو تعدد مساحات الشر القديم فإنها كانت وما تزال مختلفة عما يحدث اليوم حيث أن أهل الشر والباطل اليوم مجتمعين على قلب رجل واحد وبينهم من الروابط ما يُعجز الأفراد والجماعات والدول على إصلاحه ولهذا فان الأمر اليوم يحتاج إلى

معالجه فوق قدراتهم وتقنياتهم وهذا مالا يتوفر للضعفاء التي هي سمة غالبة للمصلحين، ولان هؤلاء المصلحين مهما تعددت أشكالهم وألوانهم ومذاهبهم وطرائقهم هم واحد من ثلاثة :

الأول : ضعيف ذو قيم ودين وأخلاق ودين يبحث لنفسه ولغيره عن مكان تحت الشمس وعن دولة الحق والعدل مناديا بان قانون الله هو دعوة للمستضعفين ضد المستكبر، لأن المستكبر لا يمكن أن يستكبر ما لم يكن حوله من يعبده. لهذا لا بد من التوجه إلى الناس حتى لا يعبدوا الطغيان، لأن من شأن الإنسان أن يطغى حين يؤمن به الناس. ومشكلتنا لن تحل بدون أن ينتشر الوعي بين الناس بالتاريخ وسننه. ولا جدوى من الأعمال لأنها تنكر وفق قانون ما بالأنفس ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. (الممهدون).

الثاني : قوى يدعى أنه صاحب قيم حسنة ويحاول أن يفرغ دعوة المستضعفين من مضامينها ويفرق بين الناس.

الثالث : ضعيف ينشر الإصلاح والخير ومقارعة الظالمين بيد انه ضل طريقه واتخذ منهجا لا يدفع شرا ولا يجلب خيرا وهؤلاء أصحاب المدارس التي اتبعت السبل.

ولان الفريقين الثاني والثالث لن يقدموا لهذه الإنسانية شيء من قليل أو كثير من النفع _ فضلا أنها تشارك ايجابيا في الضر _ للمعرفة الحقيقية لطريق العدل والإحسان والسلام فأننا سوف نقتصر حديثنا على الفريق الأول " الممهدون " الذين يرفعون شعار " إن الفرج قريب وأن الصبر مفتاح الفرج ".

هؤلاء الذين وصفهم الله في كتابه العزيز " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين " التوبة ٣٢- ٣٣. وهم منتظري عباد الله الصالحين الذين يأتون مع صاحب العصر والزمان وإمام الأئمة مولانا المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وينطبق عليهم قوله تعالى " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكرى أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" الأنبياء ١٠٥.

وعليه.. فهذا البحث المعنون بـ" دور المؤمنون الممهدون في العولمة التي هي من علامة الظهور " والذي سوف نسير فيه وفق محاور ثلاثة هي :

المحور الأول : عولمة الشر وامتلأ الأرض جورا وعدوانا

الدوافع _ المظاهر _ الآثار.

وهو إثبات أن العولمة التي تعنى الامتلأ المطلق للشر والجور هي التي جاءت في حديث النبي (ص) " لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جورا وظلما وعدوانا".

المحور الثاني : دور الممهدون في تعبيد طريق الإمام (ع) والتمهيد لخروجه الشريف ودور الجمهورية الإسلامية الإيرانية كدولة استرشاد إمامية ممهده.

هؤلاء الممهدون هم من سيمهدون السبيل لدولة صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف) من أجل إقامة الدولة الإنسانية أو المجتمع العالمي الخير الذي حلم به البشر وتجلى في رؤى الأنبياء والمبشرين والأوصياء والفلاسفة والمصلحين، ذلك المجتمع الذي سينعم فيه الإنسان بالخيرية المطلقة والعدالة الكلية، وستنتهي معه كل مظاهر الخلل البشرى وكل تعاليم مدارس التيه، والرؤى الجزئية والمبتسرة، حينها يأتي الحق ويزهق الباطل ويصبح صبح الحق أبلج كما هو يوم أن خلق الله السماوات والأرض.

وقد تعرضنا للنقاش السريع لإشكاليتين في هذه الدراسة الأولى إشكالية العولمة والشر، والإشكالية الأخرى إشكالية الانتظار والعالمية الحقة.

والحمد لله في الأولى والآخرة

الباحث

عولمة الشر وامتلأ الأرض جورا وعدوانا

العالم بجمعه، أغنيائه و فقرائه، شعوبه و بلدانه، شبابه و شيوخه، معنى بما هو متوقع من انتقال إلى مرحلة جديدة و انخراط في نظام عالمي جديد، و التفاعل مع مقدمات و إفرازات تلك الحركة السريعة التي تسمى(العولمة).

كل ذلك بمثابة _ القدر المحتوم _ لا مفر منه و لا مناص عنه و لا خيار للبشرية إلا في أطرها، في القلب منها، خاصة وأن تلك التطورات تتناول كل جوانب الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ،و الثقافية و الحياتية ،و الحاضرة و المستقبلية.

(وهي عملية تاريخية مستمرة في حياة البشرية ،لن تتوقف إلا بتوقف الإنسان عن الحياة و العيش على الكرة الأرضية).[1]

أما كوفي عنان- أمين العام للأمم المتحدة السابق، فقد شبه الكرة الأرضية في ظل العولمة بأنها ستصبح مثل سفينة صغيرة، الكل فيه مسئول عن الجزء، و الجزء فيه مسئول عن بناء الكل، و الضعيف فيه يقوى بالقوي و القوي منهم يحمي الضعيف.

إذا من تكون هذه(العولمة) التي شغلتنا بعدما كنا قد ألفنا النوم منذ الولادة ! هل هو شبح أم ملاك؟ هل الكوننة آت إلينا خيرا أم شرا ؟.

هذا ما سوف نحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة، لعلنا نصل إلى الموقف و نقرر هل نفتح الباب و نستقبلها بالأحضان، أو نحصن مواقعنا من الداخل و الخارج، شرط أن لا نقف مكتوفي الأيدي وهل هناك أكثر من عولمة ؟؟

١. صلاح بدر الدين ، القضية الكردية أما التحديات ، السلام ، العولمة . رابطة كاوا للثقافة الكردية ١٩٩٩.

المنشأة التاريخية للعولمة

لقد شاعت كلمة (عولمة) على ساحة الفكر في المنطقة و العالم منذ العام ١٩٨٩م وهو العام الذي شهد انهيار الاتحاد السوفيتي، و يرى آخرون، برجوعها إلى بطون و أعماق التاريخ القديم ،لتقضي على أية خصوصية أو جدة أو أصالة فيها، قبل عصر الديانات الكبرى و إلى إمبراطوريات العظمى كالإسلامية أو الرومانية، أو في نظام البروليتاريا لدى ماركس، و غيره من النظم الأخرى.

وتناول الباحثون و المثقفون العولمة في سلسة طويلة من الكتب و الدراسات و الندوات، لتحليل هذه الظاهرة. ولم تتوصل كل هذه المحاولات إلى نقاط مشتركة واحدة، حول تعريفها و مضمونها و أهدافها.إن الاتجاه إلى توحيد بلاد العالم، كان على الدوام هدفا يراود أحلام الكثير من الحكام و المثقفين، و حتى الرسل الذين قاموا بنشر رسالة واحدة على كل العالم ،و لكل البشر. و قد عمل الحكام على تحقيق هذا الهدف بوسائل شتى، سواء بالطرق السلمية أو العسكرية.

و هناك من يقول أن نزعة العولمة وجدت منذ عهد الفراعنة، و قد ورثها الإسكندر المقدوني الذي عمد إلى الحروب لتوحيد الشرق و الغرب، و جاءت بعد ذلك الإمبراطورية الرومانية.كذلك المسيحية هي ضرب من ضروب العالمية، و والدولة العربية الأموية في المشرق أو الأندلس والعباسية في توسعاته الإمبراطورية خلال القرون الخمسة الأولى كانت أيضا تنشر عولمة عربية قرشية. و أن أوربا عندما بدأت غزواتها الاستعمارية في القرن السادس عشر الميلادي كانت تفعل ذلك بادعاء أنها تنشر الحضارة بين الشعوب المتخلفة، لتحقيق العالمية و هذا ما تفعله اليوم الدول الكبرى وأمريكا لنشر العولمة.

تعريف العولمة

لو فتشنا عن معنى كلمة (العولمة) في المعاجم اللغة العربية الكلاسيكية، لما و جدنا لها أثرا، لأن الكلمة دخلت حديثا في لغة الضاد كترجمة عن الكلمة الفرنسية "mondlisation " التي هي بدورها ترجمة محرفة عن الكلمة الإنجليزية globalization و لهذا يفضل بعض الباحثين العرب من ذوي الثقافة الإنجليزية، كلمة كوننة بدلا من عولمة.

و إذا أردنا أن نأتي بتعريف علمي مقبول لكلمة عولمة فأننا سنجد أن مثل هذا الأمر هو مسألة بالغة الصعوبة و الدقة، و ذلك لثلاثة أسباب رئيسية :

أولا: أن هذه الكلمة، هي حديثة جدا في قاموس اللغة العربية، و مفهومها لم يستقر بعد. ويرى أغلب الباحثين أن مفهوم العولمة لا يزال من قبيل الفرضية، وهو فرضية. لأن الاتساع في تناول العولمة و أصلها و تعميمها أو تعميم ما قد ينتج

منها، أمر غير مستقر علميا، و هذا إقرار بعدم وضوح العولمة و الإحاطة النظرية و العلمية بها خصوصا أنها مازالت في طور التكوين و التبلور، و غير مكتملة الملامح و النتائج.

ثانيا: أن مفهوم العولمة ذو محتوى شامل، و ذو تأثير فعال على حياة جميع الأمم و الشعوب و الثقافات الوطنية و المثقفين أيضا، لذا لا مجال لأن يقف صاحب التعريف موقفا حياديا منه، بل عليه منذ الوهلة الأولى أن يقف معه أو ضده.

ثالثا: أن مفهوم العولمة، مثله في ذلك، مثل مفهوم البيئة، لم يتوقف عن التمدد و التوسع بشكل رهيب. فلقد بدأت العولمة كنظرية اقتصادية محضة، تستهدف "فرض النظام العالمي الجديد " في الاقتصاد فحسب. و لكنها سرعان ما مدت أذرعتها الأخطبوطية إلى النواحي الوطنية و القومية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية أيضا، في مرحلة عقد أو عقدين من الزمان، كما يقول د. ناصر الدين الأسد في بحثه الموسوم " الهوية و العولمة "، ولهذا ربما لم يكن المفكر العربي المعروف " محمد عابد الجابري " مخطئا عندما وصف العولمة بأنها : (نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، أنها نظام عالمي يشمل المال و التسويق و المبادلات و الاتصال، كما يشمل أيضا مجال السياسة و الفكر و الايدولوجيا ".

و نستنتج من التعاريف السابقة، بأنها ليست نظرية اقتصادية فقط، مثل مؤسسة الجات (gatt) أو وريثتها (منظمة التجارة العالمية) و إنما هي نظرية للقولبة الأحادية. و هي في هذا تتجاوز حدود الاقتصاد و المال، لكي تفرض أنماطا معينة من النظم و الإيديولوجيات التي لا يمكن لأية قوة وطنية أو محلية السيطرة عليها.

وقد وصفها أحد الاقتصاديين الغربيين عن حق بأنها (سماوات مفتوحة، و محيطات مفتوحة، و الحواجز الجمركية لا وجود لها، و العلم بلا وطن، و رأس المال كذلك، و زيادة في حرية العمالة و رؤوس الأموال و الأفكار عبر العالم بأسره، مما يؤدي في النهاية إلى تحويل العالم إلى قرية كونية.

و لا يخفى ما يحمله هذا التصور من اعتداء على الدولة الصغيرة أو النامية و نهب لثرواتها الطبيعية و خيراتها، و تحويلها إلى _ سوبر ماركت _ كبير، يتم إغراقه بمنتجات الدول الصناعية الكبرى، تحت دعاوى الحرية الاقتصادية، و الاعتماد المتبادل بين الدول ، و هي بالتالي من نتائج العولمة السلبية التي سوف تتكرر بأشكال مختلفة، إذا ما أراد لها الكبار أن تكون وسيلة للسيطرة و نفي الآخر.

تجليات النظام العالمي الجديد : (العولمة)

معضلات العولمة (الكوكبة): إن المشكلات المرتبطة بالعولمة (الكوكبة)هي تلك التي نالت تسمية المشكلات العالمية. و قد جهد الكثيرون في ذكرها و تعدادها، و في تصنيفها، منذ حوالي عقدين، و هي مشكلات مثل قضايا الطاقة و البيئة و الثروات الطبيعية إجمالا، في مواجهة احتمالات النضوب و الغذاء و الأمن الغذائي، و الصحة و الرعاية الصحية و التحضر أو التمدين، و قضايا العلم و البحث العلمي، و الثورة العلمية _ التكنولوجية _ و المسائل المرتبطة بالمعلومات و المعلوماتية، و ثورة الاتصالات، و قضايا الحرب و السلام، و مشكلات الإنسان و العصر، و قضايا التربية و التعليم، بما ينسجم مع متطلبات و مستجدات العصر، و قضايا الثقافة و الفكر، و قضايا غزو و استيعاب و استثمار الفضاء الخارجي، و المحيط المائي العالمي و منعكسات ذلك.

مما يمكن إذن النظام العالمي الجديد، و كما يقول الدكتور طيب تزييني : (يعمل على ابتلاع كل شيء، و إعادة بنائه سلعيا من أجل تشكيل ما يمكن تسميته "السوق الكونية " و إلى إيجاد حكومة عالمية تحت هيمنة أمريكية أو بريطانية أو فرنسية، و إقصاء الدولة الوطنية)

و يتحدث الدكتور عاطف عواد في بحث بعنوان (الأدب العربي و تحديات العولمة) عن مشاكل النظام العالمي الجديد : (يبدو لي الآن أننا أمام نمط جديد من الاستعمار و لكنه مختلف فقد كان بالإمكان أقامة حوار ثقافي من نوع ما في ظل النظام الاستعماري القديم، و لكن آلة الاستعمار الحالي غير التي خبرناها، و ما يرسله نظام العولمة، يختلف عن كل أشكال الحضارة السابقة، و تتميز بنقلة نوعية لجعل العالم كله سوقا اقتصادية، تهيمن عليه عدد من الشركات). و يطالب بالدفاع عن الأدب العربي الذي يعتبره دفاعا عن الأمة العربية ضد العولمة.

العولمة وتجليات الآلهة الوثنية (الآثار)

في كل مراحل التاريخ خبرنا أن الدهريين ليس لهم إله إلا المال والثروة لذلك تراهم يمسكون بمفاصل الثروة والسلطة فنفوسهم يسكنها الشح وقلوبهم وممارساتهم شديدة القسوة والاستبداد، وهنا سوف ترى دهريو العالم الجديد وهم يعدون العدة للسيطرة على العالم من خلال أساليب شيطانية لدفع الناس إلا الافتقار والعوز والحاجة وهم بهذا يعيدون عصر العبيد الذي وضع النبي الأكرم وآل بيته(صلوات الله وسلامه عليهم) كل التعاليم والقواعد والممارسات التي يأخذها البشر حتى يتخلصوا من هذا المرض العضال الذي أصاب الإنسانية في مراحل عمرها،

بيد أن هؤلاء الدهريين لا يريدون أن يكونوا أحرارا بين أحرار ولكن هم يفضلوا أن يكونوا نخاسيين في سوق نخاسة كبير رقعته العالم كله.

فقد اعتمد مخططو العولمة الاقتصادية إلى طريقة الاستعباد بمبدأ يسمى (الصدمة) وهى فلسفة شيطانية تعتمد على القوة، وتتعلق بكيفية تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية، وهي فلسفة تؤمن بأن خير سبيل وأفضل وقت لفرض أفكار السوق الحرة الراديكالية، هو بعد حدوث صدمة كبرى. وقد تكون تلك الصدمة كارثة طبيعية، وقد تكون هجوماً إرهابيا، وقد تكون حرباً ولكن الفكرة أن هذه المحن والأزمات، وهذه الكوارث، وهذه الصدمات تطوع المجتمعات برمتها، وتربكها وتجعلها تفقد قدرتها على التحمل، ثم تنفتح نافذة كتلك التي تنفتح في زنزانة التحقيق.

وقد تم استغلال تلك الصدمة لتمرير سياسات السوق الحرة، ونشر الخصخصة، وتعزيز رأسمالية الكوارث،هكذا يستغل الرأسماليون الكوارث وعذابات الفقراء وإذا القينا الضوء على مجموعة من الحوادث لمعرفة هذه الفلسفة وكيف يتم توظيفها واستغلالها في كافة أقطار المعمورة، فإذا نظرنا إلى إعصار كاترينا في مدينة نيواورلينز في ولاية لويزيانا الأمريكية. ففي ٣١ أغسطس/آب ٢٠٠٥ كان نحو ٨٠% من هذه المدينة قد غمرها الفيضان، حيث بلغ ارتفاع المياه في بعض المناطق أكثر من خمسة أمتار. وعلى أثر ذلك تم إخلاء نحو ٩٠% من سكان جنوب شرق لويزيانا في عملية إخلاء لم تشهد لها الولايات المتحدة مثيلاً من قبل، ولكن كيف كان وقع هذه الكارثة التي دمرت أجزاء كبيرة من مدينة نيواورلينز، على بعض الساسة والمنظّرين الاقتصاديين الأمريكيين المتنفذين؟

يقول عضو الكونجرس الجمهوري ريتشارد بيكر، الذي ينتمي إلى تلك المدينة، لجماعة من أنصاره "لقد نظفنا نيواورلينز أخيراً من المساكن الشعبية. لن نكن نستطيع فعل ذلك، ولكن الله فعله". وكان جوزيف كانيزارو، أحد اشد المستثمرين ثراء في نيواورلينز، قد عبّر عن عاطفة مشابهة، إذ قال: "اعتقد أن لدينا الآن صفحة بيضاء لنبدأ من جديد وبتلك الصفحة البيضاء تتاح لنا فرص كبيرة جداً".

أما فريدمان رائد مدرسة شيكاغو فيرى الأمور يجب أن تتم بجذرية شديدة و بدلاً من إنفاق جزء من مليارات الدولارات المخصصة لإعادة البناء، في إعادة بناء وتحسين نظام المدارس العامة القائم في نيواورلينز، ينبغي على الحكومة أن تزود العائلات بصكوك يمكن إنفاقها في المؤسسات الخاصة، التي يتوخى العديد منها الربح، والتي ستتلقى دعماً مالياً من الولاية. وعليه كتب فريدمان، إن من المهم جداً ألا يكون هذا التغيير الأساسي مؤقتاً ولسد الفراغ بل أن يكون "إصلاحا دائماً". وقد انتهزت شبكة من بيوت الخبرة اقتراح فريدمان وتقاطرت على المدينة بعد

العاصفة. ودعمت إدارة جورج دبليو بوش خططها بملايين الدولارات من أجل تحويل مدارس نيواورلينز إلى مدارس خاصة يمولها الجمهور وتديرها هيئات خاصة وفق الأسس والقواعد التي تراها ومثل هذه المدارس تخلق شروخاً عميقة في المجتمع الأمريكي، ويتجلى ذلك في نيواورلينز أكثر من سواها، حيث ينظر إليها العديد من أولياء أمور التلاميذ الأمريكيين من أصل أفريقي، باعتبارها وسيلة للتراجع عن مكاسب حركة الحقوق المدنية، التي ضمنت لجميع التلاميذ مستوى واحدا من التعليم. أما بالنسبة إلى فريدمان، فإن المفهوم الكلي لنظام المدارس التي تديرها الدولة ينضح بالاشتراكية. وينحصر دور الدولة في نظره في "حماية حريتنا من أعدائنا المتربصين وراء بواباتنا، ومن زملائنا المواطنين والحفاظ على القانون والنظام، وفرض تطبيق العقود الخاصة، وتعزيز الأسواق التنافسية". وبكلمات أخرى توفير رجال الشرطة والجنود أما كل شيء آخر، بما في ذلك توفير تعليم حر ومجاني، فهو تدخل جائر في شؤون السوق. خصخصة التعليم وفي تباين حاد مع السرعة الفاترة التي تم بها إصلاح الحواجز والسدود، وإعادة الحياة إلى شبكات الكهرباء، جرى بيع نظام المدارس في نيواورلينز بالمزاد العلني بسرعة ودقة لا مثيل لهما إلا في الجيش. ففي خلال تسعة عشر شهراً، وبينما كان معظم سكان المدينة الفقراء لا يزالون خارجها، كان قد تم استبدال نظام المدارس العامة في نيواورلينز بصورة تامة تقريباً، بمدارس خاصة يديرها القطاع الخاص. فقبل إعصار كاترينا، كان مجلس التعليم يدير ١٢٣ مدرسة عامة، أما الآن فهو يدير ٤ مدارس عامة فقط ولم يكن في المدينة قبل تلك العاصفة سوى سبع من أمثال تلك المدارس الخاصة، أما الآن فيوجد منها ٣١ مدرسة، وكان المعلمون في نيواورلينز ممثلين في العادة في اتحاد قوي، أما الآن فقد انفرط عقد ذلك الاتحاد وتم إنهاء خدمة جميع أعضائه البالغ عددهم ٤٧٠٠ عضو. واستؤجر بعض المعلمين الأصغر سناً للعمل لدى المدارس الخاصة المذكورة، وبرواتب أقل، أما الغالبية العظمى من المعلمين فلم تُستخدم. وهكذا أصبحت مدينة نيواورلينز المختبر البارز في المجتمع الأمريكي، لاستخدام المدارس الخاصة المذكورة، على نطاق واسع. وقد ذكر بحماس معهد (المشروع الأمريكي)، وهو بيت خبرة يؤمن بفكر فريدمان، أن "إعصار كاترينا قد أنجز في يوم واحد.. ما عجز مصلحو نظام المدارس في لويزيانا عن فعله بعد سنوات من المحاولة". أما معلمو المدارس العامة، الذين رأوا الأموال المخصصة لضحايا الفيضان تُحوّل لمحو معالم نظام عام واستبداله بنظام خاص، فقد كانوا يصفون خطة فريدمان بأنها "اغتصاب أراضٍ تربوي".

هذه المجموعات التي تدعو إلى الغارات المنسقة على المجال العام في أعقاب الأحداث الكارثية المدمرة، إضافة إلى التعامل مع الكوارث باعتبارها فرصاً مثيرة

بالنسبة إلى السوق، "رأسمالية الكوارث".

وعودة على بدء إن مقالة فريدمان، عن نيواورلينز كانت توصيته الأخيرة في مجال السياسة العامة، فقد توفي قبل أقل من سنة على ذلك التاريخ أي في ١٦ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٦ في الرابعة والتسعين من العمر. وتبدو خصخصة نظام المدارس في مدينة أمريكية متوسطة الحجم، من المشاغل المتواضعة لرجل كان ينعم بالثناء عليه ويوصف بأنه رجل الاقتصاد الأهم في نصف القرن الماضي، والذي كان من بين مريديه العديد من الرؤساء الأمريكيين، ورؤساء وزراء بريطانيا، وأفراد النخب الحاكمة في روسيا، ووزراء المالية البولنديين، وطغاة العالم الثالث، ووزراء الحزب الشيوعي الصيني، ومديري صندوق النقد الدولي، وآخر ثلاثة من رؤساء بنك الاحتياطي الأمريكي. ومع ذلك فإن تصميمه على استغلال الأزمة في نيواورلينز من أجل الدفع قُدما بنسخة أصولية من الرأسمالية، كان وداعاً ملائماً من قبل الأستاذ الذي لا حد لنشاطه، والذي لا يتجاوز طوله ١٥٥ سنتيمتراً، والذي وصف نفسه وهو في أوج تألقه بأنه "واعظ من طراز قديم، يُلقي موعظة يوم الأحد".

كان فريدمان وأتباعه المتنفذون، على مدى أكثر من ثلاثة عقود، يستكملون ترسيخ استراتيجية محددة، مفادها انتظار وقوع كارثة كبرى، ثم بيع أجزاء من الدول بالمزاد العلني لجهات في القطاع الخاص، بينما يكون المواطنون لا يزالون مذهولين من الصدمة، ثم الإسراع في جعل هذه "الانقلابات" دائمة. يقول فريدمان في مقالته تلك: "إن الأزمات فقط سواء كانت حقيقية أو محسوسة هي التي تخلق التغيير الحقيقي. فعندما تحدث تلك الأزمات فإن الإجراءات المتخذة تعتمد على الأفكار المتوفرة، وتلك فيما أعتقد مهمتنا الأساسية: أن نوجد بدائل للسياسات الموجودة، وأن نبقيها حية ومتوفرة إلى أن يصبح المستحيل من الناحية السياسية، حتمياً من الناحية السياسية".

فأتباع فريدمان يدخرون أفكار السوق الحرة، وعندما تقع أزمة من الأزمات يكون أستاذ جامعة شيكاغو مقتنعاً بأهمية العمل بسرعة خاطفة، لفرض تغير لا يمكن الرجوع عنه، قبل أن يثوب المجتمع الذي عزلته الأزمة إلى رشده، ويعود إلى الخضوع "لاستبداد الواقع الراهن" وهو يقدر أن "أي إدارة جديدة لديها ستة إلى تسعة أشهر تستطيع خلالها أن تجري تغييرات كبرى، وإذا لم تغتنم الفرصة لتتصرف بصورة حاسمة خلال تلك الفترة، فلن تتاح لها فرصة أخرى مماثلة". وذلك شكل آخر مرة من أشكال نصائح مكيافيلي الذي يرى ضرورة تحقيق الإصابات على الفور ودون تريث. استغلال الصدمة وقد تعلم فريدمان كيف يستغل الصدمة أو المحنة الواسعة النطاق.

وفي أواسط سبعينات القرن الماضي كان فريدمان يعمل مستشاراً لدى الدكتاتور التشيلي، الجنرال (أوغستو بينوشيه)، فلم يكن التشيليون في حالة صدمة فقط في أعقاب انقلاب بينوشيه العنيف، بل كانت البلاد كذلك تعيش صدمة التضخم الحاد، وقد أشار فريدمان على بينوشيه أن يفرض تحولاً سريعاً جداً في الاقتصاد خفض الضرائب، وتحرير التجارة، وخصخصة الخدمات، وخفض الانخفاض الاجتماعي، ووقف تدخل الحكومة وتحكمها بكثير من الأمور، وأخيراً رأى التشيليون حتى مدارسهم العامة تستبدل بمدارس خاصة يمولها كفلاء. وكان ذلك أشد عملية تجميل رأسمالي تمارس في أي مكان، وأصبحت تعرف باسم ثورة "مدرسة شيكاجو"، لأن العديد جداً من رجال الاقتصاد لدى بينوشيه كانوا قد درسوا على يدي فريدمان في جامعة شيكاجو. وقد تنبأ فريدمان بأن سرعة وفجائية وحجم التحولات الاقتصادية سوف تثير ردود فعل نفسية لدى الجمهور "تسهل إجراء التعديل". وقد ابتدع عبارة تصف هذا التكتيك المؤلم، وهي "معالجة الاقتصاد بالصدمة" وفي عشرات السنين التي تلت ذلك، عندما كانت الحكومات تفرض برامج كاسحة لتحرير السوق، كانت المعالجة الفجائية بالصدمة، هي الأسلوب الذي تختاره. وقد سهل بينوشيه إجراء التعديل، باستعماله علاجات الصدمة الخاصة به، وكانت هذه تمارس داخل زنازين التعذيب العديدة الخاصة بنظام بينوشيه، ذلك التعذيب الذي كان يحيق بأجساد من يعتبرون أميل من غيرهم إلى اعتراض سبيل التحول الرأسمالي. وقد رأى كثيرون في أمريكا اللاتينية رابطة مباشرة بين الصدمات الاقتصادية التي أوصلت ملايين الناس إلى حضيض الفقر، ووباء التعذيب الذي كان عقاب ألوف الناس الذين كانوا يؤمنون بوجود نوع مختلف من المجتمعات.

وبعد ثلاثين سنة من استعمال هذه الأشكال (الصيغ) الثلاثة من الصدمة التي طبقت في تشيلي، عادت هذه الصيغة إلى الظهور من جديد، بعنف أشد بكثير، في العراق. فأولاً، جاءت الحرب، التي كان الهدف منها هو "السيطرة على إرادة الخصم، وأحاسيسه وإدراكه وجعل الخصم عاجزاً بالمعنى الحرفي عن الفعل أو الرد". وبعد ذلك جاء علاج الصدمة الاقتصادية الجذري، الذي فرض، بينما كانت البلاد لا تزال تحت لهب النيران، من قبل المبعوث الأمريكي بول بريمر وذلك بالخصخصة الشاملة، والتجارة الحرة بصورة كاملة، وخفض الضرائب بنسبة ١٥%. وخفض حجم الحكومة على نحو دراماتيكي.

ومن الولايات المتحدة الأمريكية إلى تشيلي ومن العراق إلى اندونيسيا جنوب شرق آسيا نجد تجليات العلاج بالصدمة على طريقة العولمة الرأسمالية الأمريكية فعندما وقعت كارثة تسونامي المدمرة، وشهدت نسخة أخرى من المناورة ذاتها، حيث تقاطر المستثمرون الأجانب والمقرضون الدوليون على استغلال جو الذعر

وتسليم الخط الساحلي الرائع برمته إلى المقاولين الذي سارعوا إلى بناء المنتجعات الضخمة، ومنعوا مئات الألوف من السكان الذين يعيشون على الصيد من إعادة بناء قراهم قريباً من الماء، وقد أعلنت الحكومة الاندونيسية في ذلك الوقت إذ قال ناطق باسمها "في انعطاف قاس للقدر، قدمت الطبيعة لنا فرصة فريدة، فمن رحم هذه المأساة العظيمة سيولد موقع سياحي ذو مرتبة عالية"، ففي الوقت الذي ضرب فيه إعصار كاترينا مدينة نيواورلينز، وبدأت جوقة الساسة الجمهوريين، وبيوت الخبرة، والعاملين على تطوير الأراضي واستغلالها الحديث عن "الصفحات البيضاء" والفرص المثيرة، كان واضحا أن هذا هو الأسلوب المفضل الآن لدفع أهداف تكتلات الشركات الكبرى إلى الأمام، وهو: استغلال لحظات الصدمة الجماعية للانخراط في هندسة اجتماعية واقتصادية جذرية. ومعظم الناس الذين ينجون من كارثة مدمرة يريدون عكس فكرة الصحيفة البيضاء، فهم يريدون إنقاذ ما يمكن إنقاذه والبدء في إصلاح ما لم يدمر، كما يريدون توكيد علاقتهم وارتباطهم بالأماكن التي كونتهم، وكما قالت أحدى المنكوبات في مدينة نيواورلينز "عندما أعيد بناء المدينة أعيد بناء نفسي". ولكن رأسماليي الكوارث لا يعنيهم إصلاح ما كان.

ففي العراق، وسريلانكا واندونيسيا، ونيواورلينز، بدأت العملية التي تسمى زوراً باسم "إعادة البناء" بإنهاء المهمة التي بدأتها الكارثة الأصلية، وذلك بمحو ما تبقى من المجال العام والمجتمعات التي اقتلعت، واستبدالها، قبل أن يتمكن ضحايا الحرب أو الكارثة الطبيعية من إعادة تنظيم أنفسهم وتعزيز مطالبتهم بما كان لهم. و يمكن أن نسوق قول رئيس أحدى الشركات الأمنية في العراق، وهو ضابط سابق في وكالة الاستخبارات المركزية: "بالنسبة إلينا، وفر لنا الخوف والفوضى فرصة ذهبية"، وهو يشير بذلك إلى أن الفوضى التي سادت العراق بعد الغزو، ساعدت شركته الأمنية المغمورة والتي تفتقر إلى الخبرة، على اقتناص ١٠٠ مليون دولار من الحكومة الأمريكية على هيئة تعاقدات، وتصلح كلماته، أن تكون شعاراً للرأسمالية المعاصرة فالخوف والفوضى هما المحفزان على كل قفزة جديدة إلى الأمام. قوة الصدمة والرعب العسكرية، ويمكن أن نقارب ما بين الأرباح الهائلة والكوارث العظيمة في أرجاء العالم.

ولكن الأمر تغير سنة ٢٠٠١. فعندما وقعت هجمات ١١ سبتمبر/ أيلول، وفي غضون سنوات قليلة فقط، وسع هذا المجتمع مجال سوقه من محاربة الإرهاب، إلى حفظ السلام الدولي، إلى توفير الشرطة المحلية، إلى الاستجابة للكوارث الطبيعية المتزايدة. والهدف النهائي للشركات التي تشكل لب هذا التجمع، هو إدخال نموذج الحكم من أجل الربح، الذي يتقدم بسرعة طاغية ضمن الظروف غير

العادية، إلى صلب عمل الحكومات اليومي، أي خصخصة الحكومة في واقع الأمر. ولكي تشغل إدارة بوش مجمع رأسمالية الكوارث، أوكلت إلى جهات من خارج الحكومة، ومن دون إجراء نقاش عام، تنفيذ الكثير من المهام الحساسة، من توفير الرعاية الصحية للجنود، إلى التحقيق مع السجناء، إلى جمع البيانات والمعلومات عن كل إنسان. وليس دور الحكومات في هذه الحروب التي لا تنتهي، هو دور المدير الذي يدير شبكة من الشركات المتعاقدة، بل هو دور رأسمالي المشاريع والمجازفات ذي الجيوب الواسعة، حيث تقوم بتوفير الأموال اللازمة لتأسيس هذا المجمع، والتحول إلى اكبر متعامل معه في الخدمات التي يقدمها.

ففي سنة ٢٠٠٣ سلمت الحكومة الأمريكية ٣٥١٢ عقدا إلى شركات لتقوم بأداء مهمات أمنية، وفي أغسطس/آب ٢٠٠٦، كانت وزارة الأمن الداخلي الأمريكية قد أصدرت أكثر من ١١٥ ألفاً من مثل تلك العقود و"صناعة أمن الوطن"- التي لم تكن مهمة من الناحية الاقتصادية قبل سنة ٢٠٠١- تشكل الآن قطاعاً رأسماله ٢٠٠ مليار دولار. وفي سنة ٢٠٠٦، كان معدل إنفاق الحكومة الأمريكية على الأمن الداخلي ٥٤٥ دولارا لكل أسرة. وكان ذلك مجرد الجبهة الداخلية للحرب على الإرهاب، أما الأموال الحقيقية فهي التي تنفق في خوض الحروب في الخارج، فإلى جانب العقود مع شركات توفير الأسلحة، التي شهدت تصاعد أرباحها الهائل بفضل الحرب في العراق، تشكل صيانة الجيش الأمريكي واحدة من أسرع اقتصاديات الخدمات نموا في العالم. وهنالك بعد ذلك، الغوث الإنساني وإعادة البناء، فقد غدا الغوث وإعادة البناء من أجل الربح، اللذان كانت بواكير استعمالهما في العراق، النموذج الدولي الجديد، بصرف النظر عما إذا كان التدمير الأصلي قد حدث من حرب عدوانية، مثل هجوم "إسرائيل" على لبنان سنة ٢٠٠٦، أو بسبب إعصار. ومع شح الموارد والتغير المناخي اللذين يولدان سيلا متعاظما من الكوارث الجديدة، تصبح الاستجابة للطوارئ سوقا ناشئة، إن إحدى الميزات الرئيسية لهذا النهج المابعد حداثي، هي انه بمعطيات السوق، لا يمكن أن يفشل. وكما قال احد المحللين الاقتصاديين، معلقا على أرباح شركة خدمات الطاقة، هاليبرتون، خلال ربع سنة، والتي كانت مرتفعة بوجه خاص "إن وضع العراق أفضل، مما كان متوقعا"، وكان ذلك في شهر أكتوبر/تشرين الأول. ٢٠٠٦، أعنف شهر في سجلات الحرب، بلغت خسائر المدنيين العراقيين فيه ٣٧٠٩ قتلى، ومع ذلك يصعب على مالكي أسهم تلك الشركة ألا يكونوا فرحين بالحرب التي درت ٣٠ مليار دولار من العائدات على شركتهم وحدها. وفي غمار تجارة الأسلحة، وجنود الشركات الخاصة، وإعادة البناء بهدف الربح وصناعة الأمن الداخلي، فإن الذي برز نتيجة صيغة علاج الصدمة التي سارت عليها إدارة بوش بوجه خاص

في مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر/أيلول، هو اقتصاد جديد معبر عنه بوضوح تام، وقد بُني في عهد بوش، ولكنه يوجد الآن بمعزل عن أي إدارة بعينها، وسيظل صامداً بثبات، إلى أن يتم تحديد أيديولوجية الشركات التسلطية التي تشدّ أزره، وعزلها وتحديها، وهذا المجمع يخضع لهيمنة الشركات الأمريكية، ولكنه دولي، مع جلب الشركات البريطانية لخبرتها في مجال آلات التصوير الأمنية التي ترصد كل شيء، والشركات "الإسرائيلية" لخبرتها في بناء الأسيجة والجدران ذات التقنية العالية، وصناعة الأخشاب الكندية التي تبيع البيوت الجاهزة التي تفوق أسعارها نظيرتها المنتجة محلياً عدة مرات. إن خصخصة الحرب والكوارث متوافق مع أرباح صناعة التأمين التي تصاعدت بنسبة ضخمة (والتي بلغت رقماً قياسياً هو ٦٠ مليار دولار في الولايات المتحدة وحدها)، ومترافقاً كذلك مع الأرباح الفائقة لصناعة النفط (التي تنمو مع كل أزمة جديدة).

إن واحدة من أهم الإشكاليات التي تواجهنا كباحثين هي العلاقة التي تربط النهم للثروة وإفقار الناس والمهدي (عجل الله فرجه الشريف)، بيد أن هذه الإشكالية تحتاج إلى شيء من التدقيق حتى نستطيع حلها. إن أعداء المهدي هم أعوان الشيطان وحزبه وهم الذين سوف يشكلون أركان دولة المسيح الدجال ووزرائه، ولكن معركة الزيف والباطل لا يخدمها الأحرار بل العبيد سواء كانوا أرقاء فعليين أو عبيد مال وثروة وجاه، لهذا هم يرون أن الثورة التي أحدثها النبي الأكرم (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) حين وضع التشريعات التي هدت الإنسانية إلى تحرير العبيد، ومن ثم فإن هذه السياسات لا تصب في مصلحتهم وتجردهم من الجند المفترض أن يكونوا جندهم في معركة النهاية وتحسم المعركة لغير صالحهم، فهم يعملون بكل ما أوتوا من قوة حتى يكونوا ممهدون لدولة الشر وللمسيح الدجال حتى يستعبدون الناس ويعيدونهم عبيدا تحت وطأة العوز والفقر والحاجة، ومن ثم فهم بهذه السياسات يضمنون أنهم سوف يجدون جندا في حاجة دائما لتأمين حياتهم وهذا ما سيدفعهم لان يكونوا معهم في جيشهم رغما عن رغباتهم وطمعا في الفوز بالحياة وإن كان للمسيح الدجال ممهدوه وهم دائبين في العمل وفق برامج من أجل الانتصار في معركتهم، فما هو دور ممهدي الإمام (عجل) حتى يستحقوا شرف صحبته ومعاصرته ؟.

المحور الثاني : دور الممهدون في تعبيد طريق الإمام (ع) والتمهيد لخروجه الشريف.

الممهدون أو المنتظرون هم أولئك الذين أمنوا بإمام العصر وصاحب الزمان منذ ميلاده الشريف وحتى غيبته الصغرة وهم منذ غيبته الكبرى (سلام الله عليه) يعملون ويجدون ويتواصلون في أناة وصبر وتضرع وعباده من اجل أن يمن الله

عليهم ببركته وشرف صحبته (سلام الله عليه وعلى آبائه)، ليسوا فئة واحدة في العلم والقدرة والتخصص، فإذا علمنا أن أغلب النصوص التي جاءت فيه (سلام الله عليه وعلى آبائه) جلها نصوص تقريبية تتسق مع مفاهيم الناس ومعارفهم في هذا الظرف دون أن تنقص من صحة الخبر أو تزيده، من هنا يجب علينا أن ندرك التطور الذي حدث على كافة الأصعدة سواء في العلوم العلمية أو الإنسانية وأن إمامنا (سلام الله عليه وعلى آبائه) سيمهد له خيرة أهل الأرض في كل العلوم وأنه سوف يكون خير أهل الأرض خبرة وعلما وتقدم، وأن الزمان لن يرجع إلى الوراء لان هذا يصدم معارفنا وعقولنا، فلأرض منذ أن خلقها الله وخلق الإنسان عليها في تطور معرفي دائم ومستمر وهى مستمرة ودائما إلى أن يشاء الله .

من هنا يجب أن ندرك أن المنتظرين والممهدين ليسوا أناس قبعوا في الزوايا والخلوات وانقطعوا عن العالم في حالة انتظار.. كلا، إن المنتظرين والممهدين الذين يؤمنون حق الإيمان ببشارة النبي الأعظم (صلى الله عليه وعلى آله) يجب أن ينشطوا في كل مناحي الأرض ومجالاتها من أجل أن يكونوا جندا حقيقيين يستحقوا شرف الصحبة وعلوا المكانة.

الدولة الإسلامية الإيرانية :

نستطيع أن نفهم وبجلاء من خلال استقرأ الأحداث أن إقامة دولة إسلامية يضطلع فيها الولي الفقيه برعاية الناس وحمايتهم وطرح أنموذج تقريبي لما يجب أن تكون عليه دولة الحق، وإذا كانت النصوص تحرم على الموالى لآل البيت(سلام الله عليهم أجمعين) أن يشتركوا في الحكم أو أن يطلعوا به، فإذا استقرأنا روح الشريعة الغراء نجد أن هذه النصوص تحرم أن يعمل الموالى في دولة ظالمه أو يمكن الظالمين من رقاب الناس، بيد أننا نرى كما رأى سماحة الإمام روح الله الخميني (رضوان الله عليه) أن الدولة الإسلامية ما هي إلا واحدة من المشاريع الكبرى للانتظار التي تقدم للناس أنموذجا لدولة الحق وتحمى الناس وتنشر المعارف الإسلامية الحقة دون لبس أو تزيف، كما إننا إذا علمنا أن دول الباطل سامت الناس سوء العذاب وشوهة أفكارهم وإرادتهم وعاملتهم كعبيد وجعلت مال الناس محرم عليهم فعاش الناس قرون وقرون لا يضمنون حق الحياة فكيف بحق الثورة والمعرفة، وبناء عليه قد نرى أن بشارة الخرساني هذه تؤيد أن يخرج من وسط هذه الدولة الإسلامية على وجه الحقيقة من يؤيد صاحب العصر. وأن تكون هناك فئة على مستوى العام تنظم وتعد وتعطى الميزانيات وتلحق علماء وأفذاذ لان يلتحقوا ببرامج عمل وعلوم وتطوير من أجل أن يمتلكوا نواصي العلم والمعرفة وأن يلاحقوا التطور وأسباب العلم من أجل تحقيق الخروج وهذا الخروج لن يكون إلا للذين يقفون أما الأمر الإلهي بنفع الناس بموقف العبد المطيع الذي يقول سمعنا

وأطعنا.

الطاقة النووية الإيرانية

في مشروع الدولة الإسلامية التي نظر لها روح الله الخميني (رضوان الله عليه) هي دولة الحق والتي سوف يتكالب عليها شياطين الإنس والجن من اجل طمس هذه الدولة وطمس هذا الأنموذج الحق فكان لزاما عليهم (مؤسسي الدولة) أن يعدوا هذه الدولة لحرب دروس من كل نوع ولون، لذا إذا كانت معايير القوة في الدول تقاس بحجم ما تمتلكه هذه الدولة من القوة والنفوذ فكان لزاما عليهم أن يمتلكوا كل ألوان المعرفة الموصلة للقوة وإلا كانوا مقصرين ومذنبين، من هنا نرى أن السعي من اجل امتلك مصادر للطاقة النووية هو تحقيق للطاعة وليس تحقيقا للطغيان والعلو في الأرض والفساد وان اى تقصير في حيازة هذه القوة والنفوذ هو تقصير في الطاعة وليس فقط، وأيضا إذا أخذنا قاعدة استراتيجية هامة وهى أن التلويح بالحرب يمنع الحرب ،من هنا ندرك أن امتلاك مثل هذه الطاقة لدى أولئك الممهدون يمنع محاولات الغرب والشرق من أعوان المسيخ الدجل من محاولة تخريب أو ضرب هذا الانموج الانتظارى.

الختامة

منذ أن خلق الله خليفته على الأرض اقتضت حكمته تعالى أن يكون البشر فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير، وظل الصراع بينهما مستمر ومستعر فيغلب أهل الحق تارة ثم ينقلب أهل الباطل عليهم أخرى، وفريق أهل السعير أخلاط وألوان شتى منهم عبدة الأحجار وعبدة النجوم وعبدة الشياطين وعبدة المال وعباد أنفسهم وهواهم وجميعهم يعمل في خندق واحد وان اختلف خطابهم وأشكالهم إلا أنهم يتجاذبون ويتقاربون كما يتقارب الحديد وزبره إلى المغناطيس. وكذا أهل الجنة فهم كل من صفى نفسه من كل مخلوق سوى الله وهم في رباط إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، واقتضت حكمته تعالى أن تتطور البشرية في المعارف والعلوم، وقد أصبحت هذه المعارف والعلوم واحدة من أدواة حسم الصراع، لذا كان وجوبا على أهل العلم وأهل الحق أن يسعوا في الأرض ويتفكروا في هذه العوالم والمعارف من اجل أن يجدوا للحق أداة للنصر وهذا هو العمل الذي امرنا الله أن نقوم به وقال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

هذا العمل هو الذي يتفاضل به الناس بعضهم على بعض، وعودة على أمر المهدي والممهدون نعلم أن صاحب العصر سيستخدم هذه المعارف وهذه العلوم في

تنقله الشريف وفى اتصاله بجنده ووزرائه وفى حربه كما انه يحتاج إلى ساسة متنورين أصحاب خبرات وسيرة حسنة حتى يتولوا أمر الناس نيابة عنه في الأقطار والأمصار، ومن العبث أن نقعد عن هذه المعارف وهذه التجارب دون أن نتمرس فيها ونتعلم من اخطأ السابقين ولا نكون أمثال الكافرين.

كما انه سيحتاج إلى جند وقادة ويجب أن يكون هؤلاء الجند أكفاء ومتمرسين حتى يستحقوا هذا الشرف... وسنظل نعدد كل المجالات والمهن والمعارف التي لا يجوز لنا أن نتخلف عن فقه الانتظار دون أن نقطع في سبيله خطوة واحدة، ونحن من خلال هذه الورقات ندعوا أن يكون هؤلاء المنتظرين رابطة دولية من أجل أن تكون حالة الانتظار حالة عالمية وليس فقط وعلى أن يكون هؤلاء المنتظرون هم أصحاب المعارف والعلوم وان يكون لهم السبق في كل شيء.

والله اعلم